قرة عيون الموحدين

في تحقيق

دعوة الأنبياء والمرسلين

(تعليقات على كتاب التوحيد)

تأليف

العلامة الشيخ

عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

(١١٩٣ - ١٢٨٥هـ)

تحقيق

أ. د. الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان

كلية الشريعة في الرياض

دار عالم الفوائد

للنشر والتوزيع



(تعليقات على كتاب التوحيد)

تأليف

العلامة الشيخ

عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

(١١٩٣ - ١٢٨٥هـ)

تحقيق

أ.د. الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان

كلية الشريعة في الرياض

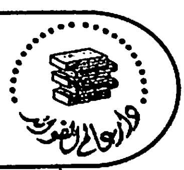
دار عالم الفوائد

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م



دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

مكة المكرمة - هاتف ٥٤٧٣١٦٦ - ٥٣٥٣٥٩٠ فاكس : ٥٤٥٧٦٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّه ليس شيءٌ من الدين أعظمَ من التوحيد؛ فهو الدين القويم والصراطُ المستقيم، ومنهاج الفلاح، وسببُ كل صلاح، وسبيلُ الطمأنينة وعنوان الوحدة، والوسيلةُ الكبرى إلى الهداية والقوة والسيادة، قال الله تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف: ١٣]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢]؛ ولذلك كان التوحيد فاتحةَ الدين؛ قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وأولَ ما دعا إليه الأنبياءُ والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا

أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وإذا تأمَّلت القرآن: وجدتَ غالبَه التوحيد[1]. فهو سرُّ القرآن ولُب الإيمان[2]، والضمان لدخول الجنة؛ كما قال النبي ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»[3].

وكان من نعم الله تعالى على هذه الأمة: حفظُ عقيدتها الإسلامية عذبةً نقية صافية من كل شائبة سليمة من كل عوج؛ وذلك بحفظ القرآن والسنة، وكتب أئمة الإسلام، ونصرة التوحيد.

فجاءت دعوةُ الشيخ، العالم الجليل محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى محققةً لهذه الغاية؛ بما قدمته من دعوة إسلامية خالصة، وجهد حثيث في تبصير الناس بدينهم وعقيدتهم. مع ما جابهه من مُعانده ومخاصمه، كان شعارُه فيها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ

(١) ابن عبد الهادي، التمهيد ١٠٤. وفي مدارج السالكين للإمام ابن القيم ٣/ ٤٥٠: بل نقول قولًا كليًا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد؛ شاهدة به داعيةٌ إليه. وانظر ابن تيمية، جامع المسائل ٦/ ١٣٠.

(٢) ابن تيمية، قاعدة في الوسيلة ٣٠٩.

(٣) أخرجه مسلم، في الصحيح رقم ٢٦، وأحمد، في المسند ١/ ٦٥ من حديث عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٤-٦٧] فصفح عن المعاند، وحلم على الجاهل، حتى آب الناسُ إلى الحق وأسفرت الحقيقةُ، وارتفعت رايةُ التوحيد بعد طول تجاهل.

وهذا الكتابُ الذي أقدم له: ما هو إلا ثمرةٌ من ثمار هذه الدعوة الصالحة، وجنى من جناها. فالحمدُ لله على ما منَّ به من تحقيقه ومقابلته على أصوله الخطية، وخدمته بما يليق به.

وقد قدمتُ له بمبحثين، **أحدُهما: ترجمةُ المؤلف الشيخ عبد الرحمن بن حسن.**

وفيه خمسةُ مطالب:

المطلب الأول: اسمُه ومولدُه وأُسرته ونشأتُه.

المطلب الثاني: شيوخُه ورَحلاته وتلاميذُه.

المطلب الثالث: أخلاقُه وسجاياه.

المطلب الرابع: أعمالُه وثناءُ العلماء عليه.

المطلب الخامس: وفاتُه وأولادُه ومؤلفاتُه.

والمبحث الثاني: كتابُ قُرَّة عيون الموحّدين.

وفيه خمسةُ مطالب:

المطلب الأول: عنوانُ الكتاب والتوثيق.

المطلب الثاني: موضوعُ الكتاب والمنهج.

المطلب الثالث: طبعاتُ الكتاب.

المطلب الرابع: وصفُ النسخ المعتمدة.

المطلب الخامس: منهجُ التحقيق، ونماذج من النسخ الخطية.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحُسنى وصفاته العلا أنْ يجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاه، وأن يرزقنا الصدق في القول والعمل والإخلاصَ في السر والعلن.

وأن يرحم هؤلاء العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار، الذين ذبُّوا عن سنة رسول الله ﷺ، ونافحوا عن الحق، وصابروا وصبروا وجاهدوا في الله حق جهاده. وما زال الناسُ ينهلون من أعمالهم الخيّرة وسيرتهم العطرة وتاريخهم المجيد، ويغترفون من مؤلفاتهم الجليلة وتُراثهم الأصيل ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان

المبحث الأول

ترجمةُ المؤلف الشيخ عبد الرحمن بن حسن

وفيه خمسةُ مطالب:

المطلـــب الأول: اسمُه ومولدُه وأُسرته ونشأتُه.

المطلـب الثـاني: شيوخُه ورَحلاته وتلاميذُه.

المطلـب الثالـث: أخلاقُه وسجاياه.

المطلـب الرابـع: أعمالُه وثناءُ العلماء عليه.

المطلـب الخـامس: وفاتُه وأولادُه ومؤلفاتُه.

المطلب الأول
اسمُه ومولدُه وأُسرته ونشأتُه(١)

اسمُه: هو الشيخُ الجليل والعالم النبيل، شيخ مشايخ مشايخنا، أبو محمد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سُليمان بن علي بن مُشرَّف. من الوهبة، من بطون تميم(٢).

مولدُه: ولد في بلدة الدِّرعية القريبة من الرياض عام ١١٩٣هـ.

أسرتُه: نشأ في أُسرة علمية عُرفت بالصلاح والتقوى، فجدُّه الأعلى الشيخ سُليمان بن علي (ت ١٠٧٩هـ) من فقهاء نجد في زمنه، وجدُّه الأدنى الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) إمامُ الدعوة الإسلامية في نجد في القرن الثاني عشر.

نشأتُه: تربى في حِجر جده الشيخ محمد بعد وفاة والده.

فاعتنى به ورعاه أحسن رعاية، ولمَّا شب وترعرع أخذ عنه وعن أعمامه، وحفظ القرآنَ قبل سن العاشرة.

---

(١) ينظر في الترجمة: المؤلف، مجموعة الرسائل والمسائل ٢/ ٢٠-٢٤، وابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٩١، ٢/ ٤١، ٤٦، وابن عيسى، عقد الدرر ٥٤-٦٢، وإسماعيل باشا، إيضاح المكنون ٢/ ١٧٢، وابن قاسم، الدرر السنية ١٢/ ٦٠، والزركلي، الأعلام ٣/ ٣٠٤.

(٢) ذكر ابنُ لعبون، في تاريخ نجد ٣١، وابن عيسى، في التاريخ ١٧: أنَّ الوهبة، من بني عَدي بن عبد مَناة بن أدّ بن طابخة.

وما زال يتفيأ ظلال هذه الأسرة الكريمة، حتى أدرك علمًا جمًّا، مع ما حباه الله تعالى من الذكاء والفطنة والألمعية والصبر على طلب العلم.



المطلب الثاني
شيوخُه ورَحلاته وتلاميذُه

شيوخُه: تلقّى المؤلفُ العلمَ عن طائفة من العلماء، في كل من نجد ومصر(١)، ومنهم:

١ - جدُّه، الإمام محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ)(٢)، وقرأ عليه: كتاب التوحيد من أوله إلى أبواب السحر، وجملةً من آداب المشي إلى الصلاة، وحضر له مجالس كثيرة: في تفسير ابن كثير، وصحيح البخاري، ومنتقى الأحكام.

٢ - عمُّه، الشيخ حُسين بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٢٤هـ)(٣).

وقرأ عليه، وحضر قراءة جملة كثيرة: من الحديث والفقه.

٣- عمُّه، الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٤٣هـ)(٤)، وقرأ عليه وحضر قراءة جملة كثيرة: من الحديث والفقه.

---

(١) ينظر في أسانيده وروايته عن شيوخه: المؤلف، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٢/ ٢٠-٢٤.

(٢) ينظر في ترجمته: ابن غنام، روضة الأفكار والأفهام ١/ ٣٦، والمؤلف، الدرر السنية ٩/ ٢١٥.

(٣) ينظر في ترجمته: ابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٨٦

(٤) ينظر في ترجمته: ابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٨٨.

٤- عمُّه، الشيخ علي بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٤٥هـ)[١]، وقرأ عليه، وحضر قراءة جملة كثيرة: من الحديث والفقه.

٥- الشيخُ حمد بن ناصر بن معمَّر (ت١٢٢٥هـ)[٢]، وقرأ عليه: في مختصر الشرح، والمقنع، وغيرهما.

٦- الشيخ حُسين بن غنَّام (ت ١٢٢٥هـ)[٣]، وقرأ عليه: شرح الفاكهي على التتمة في النحو.

٧- الشيخ أحمد بن حسن بن رَشيد الحنبلي (ت ١٢٥٧هـ)[٤]، وقرأ عليه: شرح الجزرية للقاضي زكريا الأنصاري.

٨- الشيخ عبد الله بن علي سُويدان (ت ١٢٣٤هـ)[٥]، وأجازه بجميع مروياته، وسنده إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وهو أكبر من لقي بمصر من العُلماء.

٩- الشيخُ حسن بن درويش القويسني (ت ١٢٥٥هـ)[٦]، وحضر عليه: شرحَ جمع الجوامع للمحلي في الأصول، ومختصر السعد في المعاني والبيان، وأجازه بجميع مروياته.

---

(١) ينظر في ترجمته: ابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٨٩.

(٢) ينظر في ترجمته: ابن بشر، عنوان المجد ١/ ٣١٦.

(٣) ينظر في ترجمته: ابن بشر، عنوان المجد ١/ ٣١٠.

(٤) ينظر في ترجمته: ابن حميد، السحب الوابلة ١/ ٢٢٦.

(٥) ينظر في ترجمته: البغدادي، هدية العارفين ٥/ ٤٨٩.

(٦) ينظر في ترجمته: البغدادي، هدية العارفين ٥/ ٣٠١.

١٠ - الشيخُ عبد الرحمن بن حسن الجَبرتي (ت ١٢٤٠هـ)[١]، وأجازه بجميع مروياته، وسندِه إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

١١ - الشيخُ محمد بن محمود الجزائري (ت ١٢٦٧هـ)[٢]، وقرأ عليه: جملةً من صحيح مسلم، وأولَ صحيح البخاري، وجملةً من الأحكام الكبرى للأشبيلي، وأجازه بجميع مروياته.

١٢ - الشيخُ إبراهيم بن محمد البيجوري (ت ١٢٧٧هـ)[٣]، وقرأ عليه: شرحَ الخُلاصة للأشموني إلى باب الإضافة، وحضر القراءة عليه في السُّلم.

١٣ - الشيخُ أحمد سَلمونه المالكي (ت أواخر القرن الثالث عشر)، وقرأ عليه: كثيرًا من الشاطبية، وشرح الجزرية للأنصاري، وقرأ عليه كثيرًا من القرآن، وأجازه بالقراءات السبع، وكان له به اختصاصٌ كثير.

١٤ - الشيخُ المُقرئ إبراهيم العبيدي (ت أواخر القرن الثالث عشر)، وقرأ عليه: من أول القرآن، وأجازه بالقراءات السبع.

١٥ - الشيخُ محمد الدمنهوري (ت ١٢٨٨هـ)[٤]. وحضر القراءة عليه: في الاستعارات، والكافي في علمي العروض والقوافي.

---

(١) ينظر في ترجمته: الزركلي، الأعلام ٣/ ٣٠٤.
(٢) مفتي الجزائر، الحنفي الأثري. ينظر في ترجمته: الزركلي، الأعلام ٧/ ٨٩.
(٣) شيخ الجامع الأزهر. ينظر في ترجمته: الزركلي، الأعلام ١/ ٧١.
(٤) ينظر في ترجمته: الزركلي، الأعلام ٦/ ١٢٢.

رحلاتُه:

كانت رحلتُه الأولى إلى مكة عام ١٢١٣هـ أولَ رحلاته خارج وطنه بعد المُصالحة بين إمام الدرعية عبد العزيز بن محمد بن سعود (ت ١٢١٨هـ) وأمير مكة غالب بن مساعد (ت ١٢٣١هـ).

ثم تكررت زيارتُه إلى مكة والمدينة، حتى استولى محمد علي (ت ١٢٦٥هـ) على الحجاز عام ١٢٢٨هـ.

وبعد سقوط الدرعية بتسعة أشهر، سافر إلى مصر عام ١٢٣٤هـ بطلب من قائد القوات المصرية إبراهيم باشا (ت ١٢٦٤هـ)، فأقام فيها واستفاد من علمائها، وأخذ عن طائفة من علماء الأزهر.

وفي عام ١٢٤١هـ عاد إلى نجد واستقر في الرياض بعد انتقال أسرته إليها[١]، وكان في أثناء هذه المدة يُرافق الإمام في بعض غزواته.

ولمَا عادت القواتُ المصرية إلى نجد عام ١٢٥٣هـ، انتقل إلى الحوطة الواقعة إلى الجنوب من الرياض فاشتغل بالعلم والتعليم، إلى أن اندحرت تلك القوات عام ١٢٥٩هـ. فعاد إلى الرياض، وأقام فيها حتى مات عام ١٢٨٥هـ[٢].

تلاميذُه:

انتهى إليه التدريسُ والفُتيا، فتوافد إليه الطلابُ من كل مكان وشدوا إليه الرحال؛ وذلك لما كان عليه من العلم الواسع والأدب الجم، والإحسان إلى طلاب العلم وحُسن التعليم، والصبر عليه. فكان لا يلبث الواحدُ منهم إلا

---

(١) ينظر في قصة قدومه من مصر إلى الرياض: مقدمة المحقق لكتاب الانتصار لأبابطين، ص٦.

(٢) ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ١/ ٤٣١، ٢/ ٤٢، ١٤٩، ٢١٤، ٢٣٥.

يسيرًا حتى يكون فائقًا بفهمه وعلمه[١].

يقول الشيخُ عبد اللطيف: وقد منَّ الله عليه بنشر العلم، وانتفع الناسُ به بعد ما كاد أن يُعدم في البلاد النجدية بعد المحنة المصرية. فجدَّد الله به آثار سلفه الصالح، وجمهور من له معرفةٌ بالعلم وما جاءت به الرسل من أهل هذه البلاد النجدية: إنَّما تخرج عليه وسمع منه، وتربَّى بين يديه[٢].

وقرأ عليه الطلابُ: كُتبَ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبعضَ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وجملةً من كتب التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والسيرة والسياسة الشرعية، وبعضَ كتبه وكتب الشيخ سليمان بن عبد الله[٣].

وكان له دُروسٌ في مجلس الإمام تركي في كل يوم اثنين وخميس، في التفسير وهو الأغلب وفي الحديث وشرح كتاب التوحيد[٤].

كما كان يعقد درسًا يوميًا في رحلاته الجهادية مع الإمام يُقرأ فيه: في كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية، وتاريخ الإسلام، والسيرة[٥].

وله دروسٌ عامة أخرى في تلقين العامة مسائل التوحيد، وفقه

---

(١) ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٤٤-٤٥، وابن عيسى، عقد الدرر ٧٠.

(٢) الدرر السنية ١٢/ ٣٥٧.

(٣) ينظر: ابن بشر ٢/ ١١١، ٢٣٥.

(٤) ابن بشر، المصدر السابق.

(٥) ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٢٣٥.

العبادات[١].

ومن أبرز مَن أخذ عنه، وتلقَّى عليه العلم:

١- ابنُه، الشيخ عبد اللطيف (ت ١٢٩٣هـ) قاضي الأحساء للإمام فيصل ثم الرياض، وأخذ عنه في مصر والرياض[٢].

٢- الشيخُ حسن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٤٥هـ) قاضي الرياض للإمام تركي[٣].

٣- الشيخُ عبد الملك بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٨٨هـ) قاضي الحوطة للإمام تركي، والإمام فيصل[٤].

٤- الشيخ حسين بن علي بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٧٧هـ) قاضي الرياض للإمام فيصل[٥].

٥- الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب (ت في عهد الإمام فيصل) قاضي منفوحة للإمام فيصل[٦].

٦- الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب (ت

---

(١) الدرر السنية ١٤/ ٨٨.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٤٣.

(٣) ابن بشر، المصدر السابق.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٤٣، ١٣٢.

(٥) ابن بشر، المصدر السابق.

(٦) ابن بشر، المصدر السابق.

١٢٩١هـ) قاضي الحريق للإمام تركي، والإمام فيصل[(١)].

٧- الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار بن شبانة (ت ١٢٧٣هـ) قاضي سدير للإمام تركي، والإمام فيصل[(٢)].

٨- الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عدوان (ت ١٢٨٥هـ) قاضي المحمل[(٣)].

٩- الشيخ عبد العزيز بن حسن بن يحيى (ت ١٢٩٩هـ) قاضي حريملاء والمحمل للإمام فيصل[(٤)].

١٠- الشيخ عبد الله بن نصير (ت في عهد الإمام فيصل) قاضي الرياض للإمام تركي، ثم قاضي ضرما للإمام فيصل[(٥)].

١١- الشيخ محمد بن سلطان (ت ١٢٩٨هـ) قاضي عرقة للإمام تركي، والإمام فيصل[(٦)].

١٢- الشيخ عبد الله بن جبر (ت ١٢٦٨هـ) قاضي منفوحة[(٧)].

---

(١) ابن بشر، المصدر السابق.

(٢) ابن بشر، المصدر السابق، وابن عيسى، عقد الدرر ٢٥.

(٣) ابن بشر، المصدر السابق.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٤٥، ٢٩٠، وابن عيسى، عقد الدرر ١٠٦.

(٥) ابن بشر، المصدر السابق.

(٦) ابن بشر، المصدر السابق.

(٧) ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٤٥، وابن عيسى، عقد الدرر ١١.

١٣- الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف (ت ١٢٦٥هـ) قاضي حائل للإمام فيصل[١].

١٤- الشيخ ناصر بن عيد (ت في عهد الإمام فيصل) قاضي الرياض للإمام فيصل، ثم الحلوة[٢].

١٥- الشيخ حمد بن عتيق (ت ١٣٠١هـ) قاضي الحلوة للإمام فيصل، ثم الأفلاج[٣].

١٦- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مانع (ت ١٢٨٧هـ) قاضي القطيف[٤].

١٧- الشيخ محمد بن إبراهيم بن عجلان (ت ١٢٩٣هـ) قاضي الحريق[٥].

١٨- الشيخ عبد الرحمن بن حمد الثميري (ت ١٢٧٧هـ) قاضي سدير للإمام تركي، وقاضي الزلفي للإمام فيصل[٦].

١٩- الشيخ محمد بن عمر بن سليم (ت ١٣٠٨هـ)[٧] علامة القصيم

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٤٥، ١٠٤، ١٠٩.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٤٤.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٤٥، وابن عيسى، عقد الدرر ١٠٩.

(٤) ابن عيسى، عقد الدرر ٧٠.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٤٥، وابن عيسى، عقد الدرر ١١.

(٦) ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٤٥، وابن عيسى، التاريخ ١٢٧.

(٧) ابن عيسى، عقد الدرر ٧٠.

في زمنه.

٢٠- الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٢٩هـ)[١] مؤلف شرح النونية لابن القيم.

٢١- الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود (ت ١٣٣٣هـ) قاضي الرياض[٢].

٢٢- الشيخ سليمان بن سحمان (ت ١٣٤٩هـ)[٣] صاحب المؤلفات والردود الكثيرة.



---

(١) ابن عيسى، المصدر السابق.

(٢) ابن حمدان، تراجم الحنابلة ١٤٢، وفيه: توفي عام ١٣٣٥هـ.

(٣) ابن حمدان، المصدر السابق ١٦.

المطلب الثالث

أخلاقُه وسجاياه

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورعًا تقيًا، شهمًا كريمًا، صادقًا مخلصًا حازمًا حليمًا، ناصحًا عطوفًا، متواضعًا شجاعًا باسلًا.

شارك في المُنافحة عن الدعوة إلى التوحيد بلسانه وقلمه وسنانه، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، صادعًا بالحق لا يخاف في الله لومةَ لائم، متنبهًا لدسائس أهل البدع(١).

صبورًا على ما كان يلقاه من بعض الجُفاة من العامة والخاصة، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إلى الله أشكو مما ألقاه من أهل هذا الزمان، من البغي والعُدوان.

ويقول لمن اتهمه بالغفلة عن الله، وعن دينه: اللهم إنك تعلم أني لا أستجيز بأن أقول مثل هذا القول فيه، ولا فيمن لا يُقاربه ولا يوازيه من عاقل وسفيه. اللهم إنك تعلم أني لو شئت لعرضت بعيوبه ولوَّحت بذنوبه، وأني أعرضت عن ذلك ابتغاء وجهك. فاغفر لي ما لا يعلمون، وارحم عبدك فإنَّ الأكثر لا يرحمون(٢).

كما كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ محُبًا لأئمة المسلمين وعامَّتهم(٣). حفيًّا بأهل العلم، يتفقَّد أحوالهم ويحثُّ الإمامَ على إعانتهم والرجوع إليهم؛ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في

(١) ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ٢/ ٤٦، وابن عيسى، عقد الدرر ٦٤، ٧٠.

(٢) ينظر: الدرر السنية ٩/ ٣٢٤، ٣٢٥.

(٣) ينظر: الدرر السنية ١٤/ ٨٤.

رسالة إلى الإمام فيصل بن تركي: يجب على الإمام النظرُ في أمر العلم وترغيب الناس في طلبه، وإعانةُ من تصدَّى للطلب؛ فإنَّ أكثر من يطلب العلم فقراء، وطلبُ العلم اليوم من أفرض الفرائض. وهذا ما يحصل إلا باعتناء الإمام، وتأليفه للطالب(١).

وقال في رسالة أخرى: فاحرص على العلم وأهل العلم، واطلبهم ولو في أطراف البلاد، واطلب ما عندهم مما يُعينك. وعليك يقُرب من إذا قرَّبتهم قرَّبك اللهُ وأحبك، وإذا نصرتهم نصرك الله وأيدك.

فإن من سعادة العبد: أن يتخذ له إخوان صدقٍ ممن له علم ودين، يذكِّرونه إذا نسي ويعينونه إذا ذكر(٢).

وكان يكتسب من الزراعة، بعيدًا عن التكالب على حطام الدنيا، والتطلع إلى ما في أيدي الولاة أو ذوي المال والجاه والسلطان(٣).



---

(١) الدرر السنية ١٤/ ٧٥.

(٢) الدرر السنية ١٤/ ٩٢، ٩٨، ١٠٠، ١٠٧.

(٣) ينظر: الدرر السنية ١٢/ ٣٥٩.

المطلب الرابع

أعمالُه وثناءُ العلماء عليه

أعمالُه: تولَّى القضاء والتدريس في الدرعية في عهد الأمير سعود (ت ١٢٢٩هـ)، والأمير عبد الله بن سعود (ت ١٢٣٤هـ).

ولما عاد إلى الرياض عام ١٢٤١هـ ولَّاه الإمامُ تركي بن عبد الله (ت ١٢٤٩هـ) قضاءَ الرياض، واتخذه رئيسًا للعلماء والمرجع في أقضيتهم وأحكامهم.

وجعله المقدَّم في الفتوى والتدريس، والمستشار المؤتمن فيما يعرض له من الأمور الخاصة والعامة.

وما زال على ذلك الحال الحسن في عهد الإمام فيصل بن تركي (ت ١٢٨٢هـ)، والأمير عبد الله بن فيصل (ت ١٣٠٦هـ) حتى فارق الدنيا[١].

ثناءُ العلماء عليه:

تبوأ هذا الشيخ مكان الصدارة بين علماء عصره، فأشادوا به وأثنوا عليه، ومدحوه وتحدثوا عن مواقفه ومحاسنه، وأظهروا له التبجيل والاحترام والمحبة والتقدير.

يقول ابن بشر (ت ١٢٩٠هـ): الشيخ العالم النحرير والبحر الزاخر

---

(١) ينظر: ابن بشر، عنوان المجد ١/ ٣٩٣، ٤٢٣، ١٩١، والدرر السنية ١٢/ ٣٥٧، ١٤/ ٨٨.

الغزير، مُفيد الطالبين ومرجع الفقهاء والمتكلمين، والمحفوف بعناية رب العالمين. جامعُ العلوم الشرعية، ومحُقق العلوم الدينية والأحاديث النبوية والآثار السلفية. ناصرُ شريعة سيد المرسلين، والموفّق للصواب في الجواب.

وقال أيضًا: الشيخ العالم الفاضل وعين الأماثل، الذي أحيا مدارس العلم بعدما عُطلت المحابر، الذي تزيَّنت بدروسه المساجدُ والمجالس[١].

وقال ابن عيسى (ت ١٣٤٣هـ): الشيخُ الإمام العالم الفاضل، القُدوة. رئيس الموحّدين، وقامعُ الملحدين[٢].

وقال ابن قاسم (ت ١٣٩٢هـ): كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ له اليدُ الطولى في الأصول والفروع، حتى لم يكن في زمانه أفقهُ ولا أورع ولا أزهد وأتبع للسنة منه.

وكان من الجبال التي لا تُرتقى ذروتها ولا يُنال سنامها، ومن أكابر السلف وأعلامهم. غزير الفضل كامل العقل، شديدُ التثبت حسن السَّمت. عن الدنيا ما كان أصبرَه، وبالسلف ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه. اختصه اللهُ بنصر دينه والقيام بحفظ سنته، ورضيه لإقامة حجته. أجمع على إمامته في الدين أهلُ نجد والأمصار، وشاع صيتُه في الأقطار. وفضائلُه ومحاسنه ومناقبه، أشهرُ من نار على علم[٣].

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد ١/ ١٩١، ٢/ ٤١.

(٢) ابن عيسى، عقد الدرر ٦٤.

(٣) الدرر السنية ١٦/ ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١١.

المطلب الخامس
وفـــاتُه وأولادُه ومؤلَّفـــاتُه

وفاتُه:

جاوز الشيخُ التسعين من عمره، وهو قائم بأعباء عمله ممتنعٌ بكامل حواسه. لم يثنه تقدمُ سنّه ولا كثرةُ طلابه عن أن يستمر في عطائه، ورعاية شؤون أمته والاضطلاع برسالته. إلى أن أدركه الأجلُ عشية يوم السبت الحادي عشر من شهر ذي القَعدة عام ١٢٨٥هـ، في مدينة الرياض. ففقد الناسُ بموته عالمًا فذّا وشيخًا وقورًا، ومربيًا حانيًا وقُدوة حسنة في العلم والبذل والإحسان.

وقد صُلي عليه في جامع الرياض الكبير، ودُفن في مقبرة العود شرق وادي البطحاء الوُتْر.

وكُتبت في رثائه القصائدُ، وبكاه العلماءُ والأمراء والعامة، وأسفوا عليه أسفًا بالغًا. رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعة، وجمعنا به في دار كرامته.

أولادُه:

رُزق عددًا من الأولاد، وبقي لأبنائه عبد اللطيف وإسحاق وعبد الله عقبٌ كثير، ومن أشهرهم:

الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف (ت١٣٣٩هـ) رئيسُ العلماء في وقته، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف (ت ١٣٨٩هـ) رئيسُ العلماء في وقته، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، مُفتي عام

المملكة العربية السعودية. وفقه الله ونفع به، وجعل في ذرية هذا الإمام الخير على الدوام.

مؤلفاتُه:

كتب مؤلفات كثيرة: تشهد بتمكنه، وسعة علمه، وحُسن بيانه، وطول باعه في التفسير والحديث والتوحيد والفقه، مع كثرة أعبائه وتنوع أعماله وانشغاله بالقضاء والتدريس والدعوة وغير ذلك. ومن هذه الكُتب، ما يأتي:

١- فتحُ المجيد لشرح كتاب التوحيد. وهو أشهرُ مؤلفاته وأوسعها، يقع في مجلدين. قمتُ بتحقيقه، وطُبع عام ١٤١٥هـ.

٢- قُرة عيون الموحِّدين. وسيأتي الكلامُ عليه في المبحث الثاني إنْ شاء الله تعالى.

٣- إرشادُ طالب الهُدى لما يُباعد عن الرّدى. (ويُعرف بالرد على ابن دُعيج)، وهو ردٌّ على من يجُيز الإقامة في بلاد الكفار، مع القدرة على الهجرة. قمتُ بتحقيقه، وطُبع عام ١٤١٠هـ.

٤- القولُ الفصل النفيس في الرد على داود بن جَرجيس، طُبع عام ١٣٦٥هـ، على نفقة الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- حُجة التحذير في المنع من لُبس الحرير. قمتُ بتحقيقه، وطُبع في مجلة البحوث الإسلامية عام ١٤١١هـ.

٦- بيانُ المحجَّة في الرد على صاحب اللّجة. (يُعرف بالرد على محمد بن حُميد المكي)، وهو ردٌّ على من نافح عن قصيدة البوصيري

المعروفة بالبردة. وطُبع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية عام ١٣٤٩هـ، على نفقة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧- المورد العذب الزُّلال في كشف شُبه أهل الضلال. (يُعرف بالرد على ابن خنين، صاحب الخرج)، وهو ردٌّ على من قال: من نطق بكلمة التوحيد فهو مسلم وإنْ قال ما قال. وأجاز الإقامة في بلاد الكفار. وطُبع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية.

٨- بيانُ كلمة التوحيد. (يُعرف بالرد على الكَشميري)، وهو ردٌّ على من أخطأ في فهم معنى لا إله إلا الله. وطُبع ضمن المجموعة السابقة.

٩- المقامات. (يُعرف بالرد على ابن منصور)، وهو ردٌّ على من أخطأ في معرفة تاريخ الدعوة في البلاد النجدية، وطُبع ضمن الدرر السنية عام ١٣٥٢هـ، على نفقة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠- تفسيرُ سورة الفاتحة. وطُبع ضمن الدرر السنية.

١١- مختصرُ منهاج السنة النبوية. وطُبع في آخر كتاب القول الفصل النفيس عام ١٣٦٥هـ.

١٢- الفتاوى. وهي أجوبةٌ على أسئلة عديدة مُسددة بديعة، لو جُمعت لجاءت في مجلد ضخم. لكنها ـ كما يقول ابن عيسى ـ لا توجد مجموعة، ويا ليتها جُمعت فإنها عظيمة النفع[1]. وقد طُبع طائفةٌ كبيرة منها ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، وكتاب الدرر السنية.

---

(١) ابن عيسى، عقد الدرر ٧٠.

المبحث الثاني

كتابُ قُرَّة عيـــون الموحِّدين

وفيه خمسةُ مطالب:

المطلـــب الأول: عنوانُ الكتاب والتوثيق.

المطلـــب الثـــاني: موضوعُ الكتاب والمنهج.

المطلـــب الثالـــث: طبعاتُ الكتاب.

المطلـــب الرابـــع: وصفُ النسخ المعتمدة.

المطلب الخـامس: مـنهجُ التحقيـق ونـماذجُ مـن النسخ الخطية.



المطلب الأول

عنوانُ الكتاب والتوثيق

عنوانُ الكتاب:

اشتهر هذا الكتاب بعنوان قُرَّةُ عيون الموحِّدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين. وقد طُبع بهذا الاسم، ونص عليه بعضُ أصحاب التراجم، واكتفى آخرون بالشطر الأول من هذا العنوان. وجاء في بعض المصادر: أنَّ الذي سمَّاه بذلك ابنُه الشيخ عبد اللطيف.

وفي النسخ الخطية: كُتب على الأصل: خاتمةُ الحَبر المفيد بشرح كتاب التوحيد.

وفي نسخةٍ بخط الشيخ إبراهيم الضويّان كتبها عام ١٣٠٦هـ سمَّاه: قُرة عين الموحدين في تحقيق دعوة المرسلين. وكتب عقب ذلك: وقد سمَّاه بعضُ طلبة الشيخ الكبار: خاتمة الحَبر المُفيد بشرح كتاب التوحيد.

وفي نسخة بخط محمد بن ناصر بن عزّاز، كتبها عام ١٢٨٥هـ: اطلق عليه اسم حاشية. وكذلك في نسخة أخرى بخط عبد الرحمن بن براك، كتبت عام ١٣٣٥هـ، وهكذا بعض كُتب التراجم، وبعض من نقل عنه.

أما المؤلفُ: فسمَّاه تعليقًا، كما جاء في أثناء الكلام على باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله من هذا الكتاب، وكذلك بعضُ من ترجم له.

وقد أثبتُّ الاسم الأول؛ لشُهرته وتداوله بين أهل العلم، والنصِ عليه

في كتب التراجم، وسلامته من التزكيـة، ولأن بقيـة الأسـماء وصـفيةٌ وليست علمية.

توثيقُ الكتاب:

يُعد قرةُ عيون الموحدين من كُتب الشيخ المشهورة التي نص المترجمون عليها، واستفاد منها من جاء بعده - ونقل عنها ونسبها إليه - منهم: العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم[1]، والشيخ الفاضل عبد الرحمن بن قاسم وغيرُهما[2].

وأجمعت النسخُ الخطية على ذلك، ومنها ما كُتب بخط بعض تلاميذه.

كما أشار المؤلفُ إلى أخذه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا أعرفُ أنَّ أحدًا نسبه إلى غيره فيما بين يدي من المصادر.



(١) مجموع فتاوى ابن إبراهيم ١/ ١٠٨، ١٧٥.

(٢) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٧.

المطلب الثاني
موضوعُ الكتاب والمنهج

موضوعُ الكتاب:

تناول المؤلفُ في هذا الكتاب أهمَّ قضية تشغل بال الدعوة، وتحتل مكان الصدارة في مشروعها الإصلاحي. وهي القضية الكبرى التي حملها الأنبياءُ، ودعا إليها المصلحون المخلصون في كل زمان ومكان.

ولما كان الكتابُ شرحًا مختصرًا وتعليقًا مُقتضبًا على كتاب التوحيد، فإنَّ المؤلف عالج موضوعات العقيدة ضمن دائرة هذا الكتاب وفي حدود أبوابه ونصوصه ومسائله، موضحًا ما يحتاج إلى توضيح ومفصلًا مجمله وكاشفًا عن مقاصده، دون إطالة أو استطراد.

منهجُ الكتاب:

تميَّز هذا الكتاب بالاختصار، ولذلك سمَّاه مؤلفه تعليقًا. وسمَّاه بعضهم حاشية، كما سمَّاه آخرون شرحًا مختصرًا.

وأيًا كان الأمر فإنَّ المؤلف رتَّبه على نسق كتاب التوحيد، فجعله في مقدمة وستة وستين بابًا[1].

---

(١) اختلف الشراح في اعتبار المقدمة بابًا، ففي حين جعلها صاحب تيسير العزيز الحميد (٦٧) بابًا. فإن المؤلف نص في فتح المجيد على أنها ليست بابًا (١/ ٧، ١٣)، وهو ظاهر كلام الإمام محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (الدرر السنية ١٠/ ١٠١).

وهو وإنْ كان حجمه على النصف من كتاب فتح المجيد، وبالرغم من تركه جملةً من النصوص دون شرح أو تعليق[١]. إلَّا أنه انفرد ببعض الإضافات العلمية المهمة التي لم يشاركه فيها ما سواه من الشروح والتعليقات التي سبقته[٢].

كما اهتم بشرح مسائل الكتاب وأولاها عنايةً خاصة، وكان مقتصدًا في النقل عن غيره، وتميَّزت مصادره بالكثرة والتنوع وحسن الإفادة منها.



(١) ينظر مثلًا (ط/ مكتبة النهضة) الصفحات ١٠١، ١٠٣، ١٠٨، ١٤٨، ١٥٧، ٢١٥، ٢٤٤، ٢٥٩، ٢٩٥، ٣٠٦.

(٢) ينظر مثلًا (ط/ مكتبة النهضة) الصفحات ١٨، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٥٢، ٥٦، ٦٠، ٧٦، ٩٧، ١٥٢، ١١٤، ١٣٠، ١٣٩، ١٥٣، ٢١١، ٢٢٠، ٢٥١، ٣١٤.

المطلب الثالث

طبعـــــاتُ الكتاب

طُبع كتابُ قرة عيون الموحِّدين أوَّلَ طبعاته عام ١٣٤٦هـ، وذلك ضمن مجموعة التوحيد النجدية، التي أشرف عليها رشيد رضا وطُبعت على نفقة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقد جاء في آخرها: تم نسخُ ذلك في رجب سنة ١٣٤٥هـ، بلغ مقابلةً وتصحيحًا على المشايخ الكرام: الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ عبد الله العنقري.

ثم توالت بعد ذلك الطبعاتُ اعتمادًا على هذه الطبعة، ومنها: طبعة المطبعة السلفية في مصر عام ١٣٧٦هـ، وعام ١٣٩٣هـ، وعام ١٣٩٦هـ.

وطبعةُ مكتبة النهضة العلمية السعودية بمكة، ضمن مُقررات وزارة المعارف السعودية.

وقد وقع في هذه الطبعات كثيرٌ من التحريف والسَّقط والتقديم والتأخير(١).

---

(١) ينظر مثلًا (ط/ مكتبة النهضة) الصفحات ٤٦، ٥١، ٥٣، ٦١، ٦٢ (ثلاث صفحات) ٨٩، ٧٠، ٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٦، ٩١، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٧، ١٧٤، ١٨٠، ١٨١، ١٨٦، ١٩١، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٥، ٣٤٧، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٣٧١، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣١١، ٣١٤.

وفي عـام ١٤٠٤هـ طُبـع الكتـاب عـلى نفقـة الرئاسـة العامـة للإفتـاء، بتصحيح وتعليق إسماعيل الأنصاري، وقد قابلها على نسخة خطية كتبت عام ١٢٨٥هـ، واستدرك بعض الأخطاء، إلا أنها لم تخل من التحريف والسقط[١].



(١) ينظر مثلًا (ط/ مكتبة دار الإفتاء) الصفحات ٣٣، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٦٢، ٧١، ٧٤، ٧٦، ٧٩، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٢، ٩٤، ٩٩، ١٠٤، ١٠٦، ١١٤، ١١٥، ١١٩، ١٢٢، ١٢٨، ١٤٧، ١٤٩، ١٦٢، ١٧٥، ١٨٥، ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٤٧، ٢٦٢.

المطلب الرابع
وصفُ النُّسخ الـمُعتمدة

اعتمدتُ في التحقيق على ثلاث نُسخ، وهي كما يأتي:

النسخةُ الأولى: خطيةٌ، تقع في أربع وتسعين ورقة، ومسطرتها ٢١-٢٥ سطرًا.

محفوظةٌ في إحدى المكتبات الخاصة في الرياض. كُتب على الصفحة الأولى، ما نصه: خاتمةٌ الحَبر المُفيد بشرح كتاب التوحيد. تأليف شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن قدس الله روحه آمين. ثم دُوِّن بعدها بعضُ الفوائد بخط مخُتلف، وكتب على هوامشها بعضُ التصويبات والاستدراكات والتعليقات. وجاء في آخرها، ما نصه: آخره، والحمد لله والمنّة. وقع الفراغُ من رقمه ضحى يوم الأحد، لثلاث عشرة خلت من شهر جمادى الأول (كذا) من سنة ١٢٨٤هـ. غفر الله لكاتبه ومؤلفه و جميع المسلمين. على يد سليمان بن سحمان، وصلى الله على محمد وآله وصحبه. بلغ مقابلة وتصحيحًا حسب الطاقة والإمكان. ثم كُتب بعد ذلك بعضُ الأبيات.

وهي نسخةٌ كاملة، حسنة الخط مُصححة ومقابلة على أصلها، مكتوبةٌ في حياة المؤلف بخط أحد تلاميذه، ومقروءة على الشيخ حمد بن عتيق(١)؛ ولذلك جعلتُها أصلًا.

---

(١) ينظر: الورقة ١٣/أ.

النسخة الثانية: خطيةٌ، تقع في إحدى وثلاثين ومائة ورقة، ومسطرتها ١٧ سطرًا. سقط من مصورتها أربعُ ورقات، بما فيها ورقة العنوان(١).

وقد قُوبلت على أصلها كما يظهر من الاستدراكات والتصويبات في الهوامش، ودوِّن عليها بعضُ التعليقات.

وجاء في آخرها، ما نصه: آخره، ولله الحمد والمنّة. وقع الفراغُ من رقمه آخر نهار الاثنين، لثلاث خلت من شهر ربيع الأول من سنة ١٢٨٦هـ. غفر الله لكاتبه ومؤلفه و جميع المسلمين آمين، والحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه. وكُتب بعد ذلك بعض الأبيات.

وهي نسخةٌ حسنة الخط مُتقنة، إلا أنه يلاحظ التشابه الكبير بينها وبين النسخة الأولى؛ فلعلها نُقلت عنها، أو أنهما نُقلا عن أصل واحد. وقد وصلت إليَّ عن طريق حفيد الناسخ(٢)، الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الصيرامي (ت ١٤٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما أفادني حفيده بذلك. ورمزتُ لها بحرف (ص).

النسخة الثالثة: مطبوعةٌ، تقع في خمس عشرة وثلاثمائة صفحة. طُبعت في دار مصر للطباعة، ونشرتها مكتبةُ النهضة العلمية السعودية بمكة. الطبعة الثانية، بنفقة عمر عبد الجبار، بدون تاريخ، ضمن مقررات وزارة المعارف السعودية.

---

(١) الورقة الأولى، والورقات ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠.

(٢) ينظر في ترجمة الناسخ، الشيخ عبد العزيز بن صالح الصيرامي (ت ١٣٤٥هـ): ابن بسام، علماء نجد ٣/ ٣٨٦، ومذكرة بعنوان: إتحاف السامي، كتبها حفيده المذكور.

وقد اعتمد الناشرُ على نُسخة مجموعة التوحيد النجدية، المطبوعة في مطبعة المنار عام ١٣٤٦هـ، كما تقدمت الإشارةُ إلى ذلك.

وتنفرد هذه النسخة ببعض الزيادات التي لا تُوجد في النسخ الخطية، فأثبتُّها في مواضعها في الهامش، ورمزتُ لها بحرف (ط).



المطلب الخامس

منهجُ التحقيق، ونماذجُ من النُّسخ الخطية

منهج التحقيق: اعتمدتُ النسخةَ التي كتبها الشيخُ سليمان بن سحمان في حياة المؤلف أصلًا؛ لجودتها وصحتها، وتقدُّم تاريخها. وعارضتُها بالنسختين الأُخريين، وأثبتُّ ما بينها من فروق. ولم أُغيِّر النص إلا أنْ تقتضي الضرورةُ تعديله، مع الإشارة إليه في موضعه.

واقتصرتُ في نُعوت التكريم على ما في الأصل، وقمتُ بعزو الآيات الكريمة، وتخريج الأحاديث والآثار، ونقلِ كلام أهل العلم في شأن ثبوتها.

واجتهدتُ في توثيق النصوص، وفسَّرتُ ما حسبته غامضًا، وترجمت لغير المشاهير، وعلّقتُ على ما يقتضي التعليق عليه. وجعلتُ لكل بابٍ عنوانًا مرقَّمًا أخذتُه من تراجم كتاب التوحيد.

وأثبت أرقام الأصل الخطي في الهامش؛ لمن أراد الرجوعَ إليه. وقد التزمتُ أنْ يبدأ كلامُ صاحب المتن بكلمة: قال المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وأن يبدأ كلامُ صاحب التعليق بحرف: ت.

وإذا كان النصُّ طويلًا فالتزمتُ بجعل كلِّ مقطع يبدأ بكلمة: قوله. مع وضعه بين قوسين، وإن كانت نسخُ الكتاب لا تلتزم بذلك دائمًا.

كما التزمتُ بإيراد الآيات الكريمة كاملةً متى اقتضى المقامُ ذلك، وإنْ كانت ترد أحيانًا مُشارًا إلى بقيتها بكلمة: الآية. وتركتُ التنبيهَ على ذلك؛ اكتفاءً بذكره هنا.

نماذجُ من النُّسخ الخطية



هذا كتاب فتح المجيد
في شرح كتاب التوحيد
تأليف شيخنا الشيخ
عبد الرحمن بن
حسن رحمه
الله تعالى
آمين

الفرق بين الموالاة والتولي أن التولي هو [illegible] يخرج من الملة [illegible]
عنهم وإعانتهم بالمال والبدن والرأي والموالاة كبيرة
من كبائر الذنوب مثل [illegible] دواة أو بري قلم أو التبشش لهم أو
رفع [illegible] انتهى كلام الشيخ [illegible] عبد اللطيف رحمه الله

تاريخ [illegible] الدرعية [illegible]

[illegible] الناس [illegible] وقال [illegible] الأعادي [illegible]
[illegible] فقلت لهم [illegible] قالوا ماذا قلت [illegible]

صفحة الغلاف من الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله في كتاب التوحيد بسم الله الرحمن الرحيم الكلام على البسملة قد
بين مذكور في الشرح والبداءة بها سنة كما فعل البخاري وغيره من العلماء
اتباعا للسنة في مراسلات النبي صلى الله عليه وسلم للملوك وغيرهم وفي الأ
مر بالبداءة بها حديث معروف قوله كتاب التوحيد المراد بالتوحيد
توحيد العبادة وكل رسول يفتتح دعوته لقومه بهذا التوحيد أن اعبدوا
الله ما لكم من إله غيره كما في سورة الأعراف وهود وغيرهما قوله وقول الله
تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون دلت الآية على أن الله خلق
الخلق لحكمة عظيمة وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده وترك عبادة
ما سواه ففعل الأول وهو خلقهم لينفعلوا هم الثاني وهي العبادة والعبادة
اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة
قوله ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
يخبر تعالى أنه بعث في كل قرن وطائفة من الأمم رسولا يدعوهم إلى عبادته
وحده وينهاهم عن عبادة ما زين لهم الشيطان ولا وقعوا فيه من عبادة ما سواه
فمنهم من هداه الله وخلقه بالهداية وأطاع رسله ومنهم من حقت عليه الضلا
لة لأنه اختار ذلك مع إنذارهم بعبادته ولم يقبل هدى الله الذي جاءت به الرسل كما
قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون
وهذا التوحيد الذي خلقوا له ودعوا إليه هو توحيد الألوهية توحيد القصد
والطلب وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الأفعال فهو
توحيد العلم والاعتقاد وأكثر الأمم قد أقروا به وأما توحيد الإلهية فالرسل هم
قد تحدوهم بما قال تعالى عن قوم هود أنه قال لهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

الصفحة الأولى من الأصل

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

انتهى بحمد الله والمنة وقع الفراغ من رقمه ضحى يوم

الأحد لثلاث عشرة خلت من شهر

جمادى الأولى من سنة 1264

غفر الله لكاتبه ولمن [illegible] ولجميع

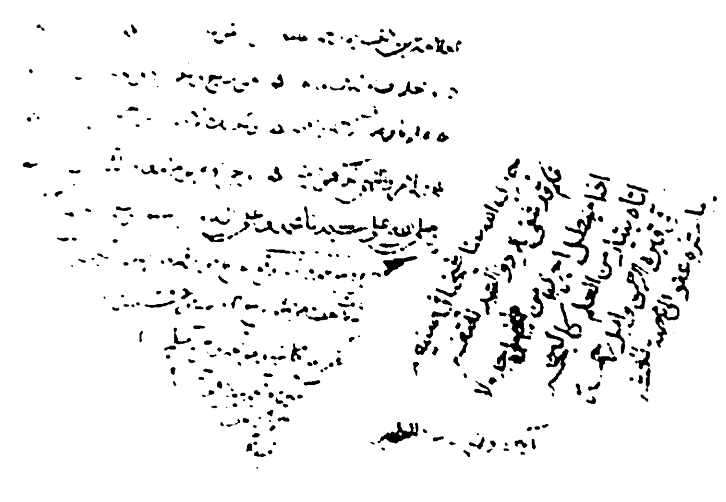
المسلمين [illegible]

[illegible]

وما من كاتب إلا سيبلى ... غداة الحشر ما كتبت يداه

ولا تكتب بكفك غير شي ... يسرك في القيامة أن تراه

الصفحة الأخيرة من الأصل



الصفحة الأخيرة من (ص)

قرة عيون الموحدين

في تحقيق

دعوة الأنبياء والمرسلين

(تعليقات على كتاب التوحيد)

تأليف

العلامة الشيخ

عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

(١١٩٣ - ١٢٨٥هـ)

تحقيق

أ.د. الوليد بن عبد الرحمن بن محمد آل فريان

كلية الشريعة في الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد[١]: بسم الله الرحمن الرحيم.

ش: الكلامُ على البسملة بيِّنٌ مذكورٌ في الشرح[٢]. والبداءةُ بها سُنَّة؛ كما فعل البخاريُّ وغيرُه من العُلماء، اتباعًا للسُّنة في مُراسلات النبي ﷺ للملوك وغيرهم[٣]، وفي الأمر بالبداءة بها حديثٌ مَعروف[٤].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كتابُ التوحيد.

ش: المرادُ بالتوحيد: توحيدُ العبادة. وكلُّ رسولٍ يفتتح دعوتَه لقومه بهذا التوحيد: أن اعْبُدوا الله مَالكم من إلهٍ غيرُه؛ كما في سُورة الأعراف، وهود وغيرهما[٥].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

---

(١) في كتاب التوحيد. ليست في (ط).
(٢) المؤلف "فتح المجيد" ١/ ٦٩.
(٣) كما في حديث ابن عباس: أخرجه البخاري في الصحيح رقم ٦، ومسلم في الصحيح رقم ١٧٧٣، وأحمد في المسند ١/ ٢٦٢.
(٤) حديثُ أبي هريرة، وهو ضعيف. ينظر: المؤلف، فتح المجيد ١/ ٦٩.
(٥) الأعراف، الآيات: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وهود، الآيات: ٥٠، ٦١، ٨١، وسورة النحل الآية ٣٦، وسورة المؤمنون الآيتان: ٢٣، ٣٢ وغيرها.

لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

ش: دلّت الآيةُ: على أنَّ الله خلقَ الخلق لحكمةٍ عظيمةٍ؛ وهي القيامُ بما وجب عليهم من عبادته وحده، وتركِ عبادة ما سواه. ففعل الأوّل وهو خَلْقهم، ليفعلوا هم الثاني وهي العبادة(١).

والعبادةُ: اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبُّه اللهُ ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة(٢)(٣).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] الآية.

ش: قوله: (وقوله ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ﴾) يُخبر تعالى: أنَّه بَعث في كلِّ قَرْنٍ وطائفةٍ من الأُمم

---

(١) (ط) زيادة: قال شيخ الإسلام.

(٢) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٨/ ٥٦، ١٠/ ١٤٩.

(٣) (ط) زيادة: وقال أيضًا: والعبادة اسمٌ يجمع كمالَ الحُبِّ لله ونهايته، وكمال الذُّل لله ونهايتهُ. فالحبُّ الخليّ عن ذُلّ، والذل الخلي عن حب: لا يكون عبادة، وإنما العبادةُ ما يجمع كمالَ الأمرين.
وقال أيضًا: وأمَّا ما خُلقوا له من محبة الله تعالى ورضاه، فهو إرادتُه الدينية، فذلك مذكورٌ في قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ ا.هـ ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/ ١٥٣.

رسولًا يَدعوهم إلى عبادته[1] وحْده، ويَنهاهم عن عبادة ما زيَّن لهم الشيطان[2] وأوقعهم فيه مِن عبادة ما سواه.

فمنهم مَن هدى الله ـ أي: وحَّد الله[3] بالعبادة وأطاع رُسله[4] ـ ومنهم من حقَّت عليه الضلالة: فأشرك مع الله غيرَه بعبادته، ولم يقبل هُدى الله الذي جاءت به الرسل؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهذا التوحيدُ الذي خُلقوا له ودُعوا إليه: هو توحيدُ الإلهية، توحيدُ القصد والطلب.

وأمّا توحيدُ الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الأفعال: فهو توحيدُ العلم والاعتقاد، وأكثر الأمم قد أقرُّوا به[5]. وأمّا توحيد الإلهية: فأكثرُهم قد جَحَدوه؛ كما قال تعالى عن قوم هُود – لما قال لهم: أن اعْبدوا الله مالَكم مِن إلهٍ غيرُه/ – ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٠]، [١/ب] وقال مُشركوا قُريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥].

وهذه الآية: وهي قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ تُبيِّن معنى

---

(١) (ط): عبادة الله.

(٢) (ط): زينه الشيطان لهم.

(٣) (ط): ووحد الله تعالى.

(٤) من هنا تبدأ نسخة (ص).

(٥) (ط): به لله.

الآية قبلها، وكذلك الآيات بعدها.

وأنَّ المراد بالعبادة التي خُلقوا لها: هي العبادة الخاصة[(١)]، التي لم يَلبسها شركٌ بعبادة شيءٍ سوى الله كائنًا ما كان، فلا تصح الأعمالُ إلَّا بالبراءة من عبادة كلِّ ما يُعبد من دون الله.

والله تعالى خَلَق الثقلين ليَعبدوه: فمنهم مَن فعل، ومنهم من أشرك وكفر؛ كما قال تعالى في هذه الآية: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤][(٢)]، فمنهم مَن أطاع[(٣)]. ومنهم مَن عصى[(٤)].

وهذا التوحيد: هو دينُ الإسلام الذي لا يقبل اللهُ مِن أحدٍ دينًا سواه؛ كما قال الكريمُ ابن الكريم ابن الكريم، يوسف عليهم السلام: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠] وهو[(٥)] الدين: الذي بَعث اللهُ به رُسلَه، وأنزل به كُتبه، وأمر الرسلَ أنْ يُقيموه؛ كما قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ

---

(١) (ص) (ط): الخالصة.

(٢) (ط): زيادة: يُبيِّن أنّ حكمةَ الربِّ في خلقه للجن والإنس: لا تقتضي أنَّ كلًا يفعل ما خُلق له وأُرسلت الرُّسل لأجله؛ ولهذه الحِكمة أهلك اللهُ مَن لم يعبده وحده، ولم يقبل ما جاءت به رسُله، وشرع قتالَهم لنبيه ﷺ وأتباعه.

(٣) (ط): زيادة: وهم الأقلون.

(٤) (ط): زيادة: وهم الأكثرون.

(٥) (ط): وهذا هو.

﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد: ٣٦]، فأمره أنْ يَعبده(١) وحده، وأنْ يدعو الأُمة إلى ذلك.

والقرآنُ كلُّه: في هذا التوحيد، وبيانه، وجزائه، والردِّ على مَن جحده؛ كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦](٢).

وفي حديث مُعاذ ـ الذي رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديثٌ حسن صحيح ـ قال: قُلتُ: يا رسول الله، دُلَّني على عَمَل يُدْخِلُني الجنَّة وَيُباعدني مِن النار. فقال: «سألتَ عن عظيم، وإنَّه لَيَسيرٌ على مَن يسَّرَهُ اللهُ عليه: تَعبد اللهَ ولا تُشركُ به شيئًا، وتُقيمُ الصَّلاةَ» وذكر الزكاة وصوم رمضان والحج(٣)، ثم قال: «أَلا أُخبرك / برأس الأمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوة سَنامه» قلتُ: [٢/أ] بَلَى يا رسول الله. قال: «رأسُ الأمر الإسلامُ وعَمودُه الصلاة وذِروةُ سَنامه الجِهادُ»(٤).

---

(١) الأصل: يعبدوه. ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ٣/ ٤٥٠.

(٣) (ط): وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وذكر الحج.

(٤) قطعة من حديث طويل: أبو داود الطيالسي في المسند، رقم ٥٦٠، والترمذي في الجامع، رقم ٢٦١٩، وأخرجه النسائي في الكبرى، رقم ١١٣٩٤، وابن ماجه في =

فدلَّ على أنَّ الإسلام: هو التوحيد، والفرائضَ من حُقوقه. وقد أجمع الفقهاء: على أنّ الإسلام شرطٌ لصحة الصلاة وغيرها من الأعمال، وهو مُقتضى الشهادتين: شهادةِ أنْ لا إله إلا الله، وشهادةِ أنَّ محمدًا رسول الله. فمعنى شهادة أنْ لا إله إلا الله: نفيُ الشرك والبراءة منه وممن فَعَله. وإخلاصُ العبادة لله وحده، والإيمانُ بالرسول وطاعتُه.

وهو معنى الآية الثالثة، وهي قوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ أي: أمر وَوَصّى. فقولُه: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ فيه معنى: لا إله. وقولُه ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فيه معنى: إلا اللهُ. وهذا هو معنى كلمة الإخلاص؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فقولُه: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ فيه معنى: لا إله. وقولُه: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المُستثنى في كلمة الإخلاص. فسبحان الله كيف خفي هذا الموضع ونحوه[1] - مع بيانه ووضوحه - على الأذكياء من مُتأخري هذه الأُمّة؟

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦].

ت: وهذه الآيةُ تُبيِّن العبادةَ التي خُلقوا لها أيضًا؛ فإنَّه تعالى قَرَن الأمرَ بالعبادة التي فرضها، بالنهي عن الشرك الذي حرَّمه، وهو الشرك في العبادة.

= السنن، رقم ٤٠٢١، وأحمد في المسند ٥/ ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٧، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤١٢ وصححه ووافقه الذهبي.

(١) (ط): الموضع ونحوه. ساقط.

فدلَّت هذه الآية: على أنَّ اجتناب الشرك شرطٌ في صحة العبادة، فلا تصح بدونه أصلًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦] فتقديمُ المعمول يُفيد الحصر، أي: بل الله فاعبد وحده لا غير؛ كما في فاتحة الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥].

وقرَّر تعالى هذا التوحيد بقوله ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١] والدين: هو عبادته[١]، بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، كما قال/ [٢/ب] العلَّامة ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

والأمرُ والنهيُ الذي هو دينُه ... وجزاؤه يومَ المعاد الثاني[٢]

وتقدَّم: أنَّ أصله وأساسه توحيدُ العبادة، فلا تغفل[٣].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١] قال ابن مسعود: مَن أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ قولَه تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله

---

(١) (ط): العبادة.

(٢) ابن القيم، الكافية الشافية ٢٢٥ البيت ذو الرقم ٤٢٥٥.

(٣) (ط) زيادة: عما تقدم.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآية[١].

وعن مُعاذ بن جَبَلٍ، قال: كُنتُ رَديفَ النبي ﷺ على حمارٍ، فقال لي: «يا مُعاذ، أتدري ما حقُّ الله على العباد وما حق العباد على الله» قلتُ: اللهُ ورسوله أعلم. قال: «حقُّ الله على العباد: أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحقُّ العباد على الله: أنْ لا يُعذب مَن لا يُشركُ به شيئًا». قلتُ: يا رسول الله. أفلا أُبشِّر الناس؟ قال: «لا تُبشِّرهم فيتَّكلوا» أخرجاه في الصحيحين[٢].

ت: قولُه: (و[٣] قولِه ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾) أي: حرَّم عليكم الشرك الذي نهاكم عنه، بقوله ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ فالشركُ: أعظمُ ذنبٍ عُصيَ الله به، أكبرُه وأصغره.

وقد وقع الأكثرُ مِن مُتأخِّري هذه الأمة: في هذا الشِّرك، الذي هو أعظم المحرَّمات؛ كما وقع في الجاهلية قبل مَبعث النبي ﷺ. عَبَدوا القُبورَ والمشاهد والأشجار والأحجار والطواغيتَ والجن؛ كما عبد أولئك: اللّات، والعُزَّى، ومَناة، وهُبل، وغيرها مِن الأصنام والأوثان.

واتخذوا هذا الشِّرك دينًا، ونفروا إذا دُعوا إلى التوحيد أشدّ نُفرة، واشتدّ غضبُهم لمعبوداتهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، رقم ٣٠٧٢، وقال: حديثٌ حسن.

(٢) البخاري في الصحيح، رقم ١٢٨، ومسلم في الصحيح، رقم ٣٠١، وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) (ط): و. ساقطة.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦] علموا أنَّ لا إله إلا الله: تنفي الشركَ الذي وقعوا فيه.

وأنكروا التوحيدَ الذي دلَّت عليه لا إله إلا الله، فصار أولئكَ المشركون: أعلمَ بمعنى هذه الكلمة[1] مِن أكثر متأخري هذه الأمة، لاسيّما أهلُ العلم منهم الذين لهم درايةٌ في بعض الأحكام وعلم الكلام. فجهلوا توحيدَ العبادة: فوقعوا في الشرك المنافي له، وزيَّنوه. وجهلوا توحيد الأسماء والصفات[2]: فوقعوا في نفيه أيضًا، وصنَّفوا فيه الكتب؛ لاعتقادهم أنَّ ذلك حقٌّ وهو باطل.

وقد اشتدت غربةُ الإسلام، حتى عاد المعروفُ مُنكرًا، والمنكر مَعروفًا. نشأ[3] على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير؛ وقد قال النبيُّ ﷺ: «بدأ الإسلامُ/ [٣/أ] غريبًا وَسَيعودُ غريبًا كَماَ بَدَأَ»[4]، وقد قال ﷺ: «افْتَرَقت اليهودُ على إحْدَى وَسَبعينَ فِرْقةً، وافْتَرقت النَّصارى على ثِنْتَين وسَبْعين فِرقةً، وستفترق هذه

(١) (ط): زيادة: لا إله إلا الله.

(٢) (ط): زيادة: وأنكروه.

(٣) (ط): فنشأ.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح، رقم ١٤٥، وأحمد في المسند ٢/ ٣٨٩ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمةُ على ثلاث وسبعين فرقةً كلُّها في النار إلا واحدةً»، قالوا: وَمَنْ هي يا رَسُولَ الله؟ قال: «مَن كان على مِثْل مَا أنا عليْه اليومَ وأصْحابي»[١].

وهذا الحديث: قد صحَّ من طُرق؛ كما ذكره العِمادُ بن كثير وغيرُه من الحفَّاظ. وهو في السُّنن وغيرها، ورواه محمد بن نصر في كتاب الاعتصام[٢].

وقد وقع ما أخبر به النبيُّ ﷺ بعد القُرون الثلاثة، فلهذا عمَّ الجهلُ بالتوحيد الذي هو أصل دين الإسلام. فإنَّ أصله: أنْ لا يُعبد إلا الله، وأنْ لا يُعبد إلا بما شرع. وقد تُرك هذا، وصارت عبادةُ الأكثرين مَشوبةً بالشرك والبدع.

لكن الله تعالى ـ وله الحمد ـ لم يُخل الأرض مِن قائم له بحُججه، وداع إليه على بصيرة؛ لكي لا تبطل حُججُ الله وبيِّناتُه التي أنزلها على أنبيائه ورُسله. فله الحمدُ والشكر على ذلك.

[٣]وأما قولُ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَن أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه، فليقرأ قولَه تعالى ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ الآية[٣].

قولُه: (التي عليها خاتمه) شبَّه هذه الآية بالوصية التي[٤] كُتبت

---

(١) ثبت من طرق كثيرة. ينظر: التخريج في إتمام المنة والنعمة في ذم اختلاف الأمة ٢٦.

(٢) محمد بن نصر المروزي في السنة، رقم ٥٩.

(٣) ما بينهما ليس في (ط).

(٤) (ط): شبه هذه الوصية بوصيةٍ.

فختمت، أي: فلم تتغير ولم تُبدل. أراد: أنَّ النبي ﷺ لم يزل يدعو الأمة ـ مِن حين بَعَثه الله إلى أنْ توفاه صلوات الله وسلامه عليه ـ إلى ما تضمَّنته هذه الآيات المُحكمات أمرًا ونهيًا؛ كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٢] الآيات.

[١]وقد قال له[٢] مَفروق سيدُ بني شيبان[٣] ـ في دعوته ﷺ القبائل في مواسمهم ـ: وإلامَ تدعو إليه يا أخا قريش. فتلا عليه رسولُ الله ﷺ ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ الآيات[٤][٥].

وأمّا حديثُ[٦] معاذ بن جبل، قال: كُنتُ رديف / النبي ﷺ على حمارٍ. إلى آخره[٧]. [٣/ب]

(١) من هنا ساقط في (ط).
(٢) الأصل: قاله. ولعل المثبت هو الصواب.
(٣) مَفْروق بن عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني. فارس شاعر من سادات قومه، معدود من الصحابة. مات سنة ٨هـ. ابن الأثير، أُسد الغابة ٤/ ٤٠٨.
(٤) إلى هنا ساقط في (ط).
(٥) أخرجه أبو نُعيم في الدلائل، رقم ٢١٤، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٤٢٢، والحاكم عن ابن عباس، بإسناد حسن كما قال ابنُ حجر، في فتح الباري ٧/ ٢٢٠.
(٦) (ط): قوله وعن.
(٧) (ط): ذكر تمام الحديث.

فساقه المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: لتضمُّنه[١] معنى الآيات التي تقدَّمت؛ وذلك قوله: «حقُّ[٢] الله على العباد: أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا».

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

حقُّ الإله عبادةٌ بالأمر لا	بهوى النفوسِ فذاك للشيطان
من غير إشراكٍ به شيئًا هُما	سببا النجاة فحبَّذا السببانِ
لم ينجُ من غضب الإله ونارهِ	إلا الذي قامت به الأصلان
والناسُ بعدُ فمشركٌ بإلهه	أو ذو ابتداعٍ أو له الوصفان[٣]

[٤]فمن صَرف شيئًا من العبادة ـ التي هي حقه سُبحانه لا يستحقها أحدٌ سواه ـ لغيره كالدعاء والاستعانة: فقد آمن بالطاغوت وأشرك بالله وكفر[٤].

قولُه: «وحقُّ العباد على الله: أنْ لا يُعذب مَن لا يُشركُ به شيئًا»، ليس على الله حقٌّ واجب بالعقل، كما تزعمه[٥] المعتزلة. لكن هو سبحانه أحقَّ ذلك على نفسه تفضُّلًا وإحسانًا على الموحدين المُخلصين، الذين لم

---

(١) (ص) (ط): هنا لتضمنه.

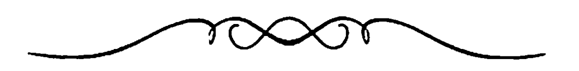
(٢) الأصل و (ص): فإن حق.

(٣) ابن القيم، الكافية الشافية ٢١٣، ٤٣ الأبيات ذوات الأرقام ٣٩٩٢، ٣٩٩٣، ٥١٨، ٥١٩.

(٤) ما بينهما ساقط من (ط).

(٥) (ط): تزعم.

يلتفتوا في إراداتهم[١] ومهمّاتهم ورغباتهم ورهابتهم[٢] إلى أحدٍ سواه، ولم يتقرَّبوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات إلَّا إليه وحْدَه. والله تعالى أعلم.



(١) (ط): إرادتهم.

(٢) (ص) (ط): رهباتهم.

(١)
بـــابُ
فضلِ التوحيد وما يُكفِّرُ من الذنوب

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ فضلِ التوحيد وما يُكفِّرُ من الذنوب.

وقـولِ الله تعـالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]

ت: قولُه: (بابُ فضل التوحيد). البابُ: هو المدخل إلى الشيء.

قولُـه (ومـا يُكفِّـرُ مـن الـذنوب). مـا: مـصدرية، أي: وتكفـيره الـذنوب. ويجوز أنْ تكون موصولة والعائدُ محذوف. أي: والذي يكفِّره مـن الـذنوب. والمُـراد بالتوحيـد: توحيـدُ العبـادة، وهـو إفـراد الله(١) تعـالى بـأنواع العبـادة الباطنة والظاهرة. كالدُّعاء، والذبح، والنَّذر ونحو ذلـك(٢)؛ كـما قـال تعـالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غـافر: ١٤]، وقــال: ﴿فَـٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وقولُـه: (وقـولِ الله تعـالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾).

---

(١) (ص): إفراده.

(٢) (ط): ونحوه.

[٤/أ] واللَّبسُ/ هنا[١]: الخلط. والمُراد بالظلم هنا: الشركُ الأكبر؛ لما ثبت في حديث ابن مسعود وغيره، مرفوعًا «إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾»[٢] [لقمان: ١٣]. أراد: أنَّ مَن لم يجتنب الشرك لم يحصل له أمنٌ ولَا اهتداءٌ بالكلية. وأمَّا مَن سلِم منه: فيحصل له من الأمن والاهتداء بحسب مقامِه في الإسلام والإيمان. فلا يحصل الأمنُ التام والاهتداء التام: إلا لمن لم يَلق الله بكبيرة مُصرًّا عليها.

فأمَّا[٣] إن كان للموحِّد ذنوبٌ لم يتب منها: حصل له من الأمن والاهتداء بحسب توحيده، وفاته منهُ بقدر معصيته؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر: ٣٢].

فالظالمُ لنفسه: هو الذي خَلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا. فهو تحت مشيئة الله، إنْ شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنبه ونجَّاه بتوحيده من الخلود في النار.

وأمّا المقتصد: فهو الذي عمِل بما أوجب الله عليه[٤]، وترك ما حرَّم عليه فقط، وهذه حالُ الأبرار.

---

(١) (ط): هنا. ساقطة.

(٢) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٣٢، ومسلم، في الصحيح، رقم ١٢٤، وأحمد، في المسند ١/ ٣٧٨، واللفظ له.

(٣) (ط): وأما.

(٤) (ص): أوجب عليه.

وأمّا السابق: فهو الذي حصل له كمالُ الإيمان، باستفراغه وسعه في طاعة الله علمًا وعَملًا. فهذان لهما[1] الأمن[2] والاهتداء التام، في الدنيا والآخرة. فالكلُّ للكل والحِصَّةُ للحِصة؛ لأن كمال الإيمان يمنع صاحبَه من المعاصي وعقوباتها. فلم يَلقَ ربَّه بذنبٍ يُعاقب به؛ كما قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] وهذا الذي ذكرتُه في معنى هذه الآية: هو معنى[3] ما قرَّره شيخُ الإسلام، وابن القيم في معناها[4].

وهو الذي دلَّ عليه القرآنُ، وهو قولُ أهل السُّنَّة والجماعة. خلافًا لأهل البدع: من الخوارج، والمُعتزلة، ونحوهم.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عُبادة بن الصَّامت، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ شَهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسوله وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، وأنَّ الجنةَ حقٌّ والنارَ حقٌّ، أدخلَه اللهُ الجنةَ على ما كان من العمل» أخرجاه[5].

---

(١) (ص): لهم.
(٢) (ط): الأمن التام.
(٣) (ط): معنى. ساقطة.
(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٧/ ٨١، وابن القيم، الصواعق المرسلة ١/ ٢٢١.
(٥) البخاري، في الصحيح، رقم ٣٤٣٥، ومسلم، في الصحيح، رقم ٢٨، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٣١٤.

[٤/ب] ت: قولُه «مَن شَهد» لا ريب أنَّ الشهادة / لا تكونُ شهادةً إلا إذا كانت عن علم ويقين وصدق، وأمَّا مع الجهل والشك: فلا تُعتبر ولا تنفع، فيكون الشاهدُ والحالة هذه كاذبًا؛ لجهله بمعنى الذي شهد به. وقد تضمّنت هذه الكلمة العظيمة نفيًا وإثباتًا. فنفت الإلهيةَ عن كلِّ ما سوى الله بقولك: لا إله، وأثبتت الإلهية لله وحده بقولك: إلَّا اللهُ؛ قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

فكم ضلَّ بسبب الجهل بمعناها مَن ضلَّ وهم الأكثرون، فقلبوا حقيقةَ المعنى: فأثبتوا الإلهية المنفية لمِن نُفيت عنه مِن المخلوقين أرباب القبور والمشاهد والطَّواغيت والأشجار والأحجار والجن وغير ذلك، واتخذوا ذلك دينًا. وشبَّهوا وزخرفوا، واتخذوا التوحيدَ بدعةً وأنكروه على مَن دعاهم إليه. فلم يَعرفوا منها ما عرف أهلُ الجاهلية من كفَّار قريش ونحوهم، فإنَّهم عرفوا معناها وأنكروا ما دلّت عليه من الإخلاص؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

والمشركون مِن أواخر هذه الأمة: أنكروا ما أنكره أولئك على مَن دعاهم إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه مِن دُون الله، مِن القبور والمشاهد والطواغيت ونحوها. فأولئك عَرفوا هذا المعنى وأنكروه، وهؤلاء جهلوا هذا المعنى وأنكروه؛ فلهذا تجد أحدَهم[١] يقول: لا إله إلا الله، وهو يدعو

---

(١) (ط): تجده.

مع الله غيره.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وغيره ـ(١): الإله: هو الذي تألهُهُ القلوبُ محبَّةً وإجلالًا وإنابة وإكرامًا وتعظيمًا، وذُلًّا وخضوعًا وخوفًا ورجاء وتوكلًا(٢).

وقال الوزير أبو المظفّر(٣) في الإفصاح، قوله: شهادة أنْ لا إله إلا الله: يَقتضي أنْ يكون الشاهدُ عالمًا بأن لا إله إلا الله؛ كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]. قال: واسمُ الله مرتفعٌ بعد إلا من حيث إنّه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه. قال: وجملة الفائدة في ذلك: أنْ تعلم أنَّ هذه الكلمة مشتملةٌ على الكفر بالطاغوت والإيمانُ / بالله؛ [٥/أ] فإنَّك لمَّا نفيت الإلهية وأثبتَّ الإيجاب لله سبحانه: كُنت ممن كفر بالطاغوت، وآمن بالله.

وقال ابن رجب: الإله: هو الذي يُطاع فلا يُعصى؛ هيبةً له وإجلالًا ومحبة وخوفًا ورجاء وتوكلًا عليه وسؤالًا منه ودعاء له، ولا يصلُح ذلك كلُّه إلا لله عز وجل. فمَن أشرك مخلوقًا في شيءٍ من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية، كان قدحًا في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله. وكان فيه

(١) (ط): وغيره. ساقطة.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ١/ ٣٢.

(٣) الوزير عون الدين، يحيى بن محمد بن هُبيرة الشيباني، فقيه محدث، له كتاب: الإفصاح، والعبادات، وغيرهما، ولد سنة ٤٩٩هـ ومات سنة ٥٦٠هـ. الذهبي، سير النبلاء ٢٠/ ٤٢٦.

من عُبودية المخلوق بحسب ما فيه مِن ذلك[١].

وقال البِقاعي[٢]: لا إله إلا اللهُ، أي: انتفى انتفاءً[٣] عظيمًا أنْ يكون معبودٌ بحق غيرَ الملك الأعظم. قال: وهذا العلم هو أعظم[٤] الذّكرى المُنجية مِن أهوال الساعة. وإنّما يكون عِلمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلّا فهو جهل صِرف.

قلتُ: وهؤلاء المتأخرون جهلوا معنى الإله، وقلبوا حقيقة المعنى إلى معنى توحيد الربوبية، وهو القُدرة على الاختراع. فأثبتوا ما نفته لا إله إلا الله من الشرك، وأنكروا ما أثبتته من إخلاص العبادة لله؛ جهلًا منهم، وقد قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: ٢].

قال محُيي الدين النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: و[٥] اعلم أنَّ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر قد ضُيِّع من أزمان مُتطاولة، ولم يبق في هذه الأزمان إلا رسومٌ قليلة[٦]. وهو بابٌ عظيم، به قِوام الأمر ومِلاكه، وإذا كثُر الخبثُ عمَّ

---

(١) ابن رجب الحنبلي، كلمة الإخلاص ٢٣.

(٢) برهان الدين، إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط البقاعي، فقيه شافعي، محدث مؤرخ، له: عنوان الزمان، وتنبيه الغبي، وغيرهما، ولد سنة ٨٠٩هـ ومات سنة ٨٨٥هـ. ابن العماد، شذرات الذهب ٧/ ٣٣٩.

(٣) (ط): نفيًا.

(٤) (ط): من أعظم.

(٥) (ط): و. ساقطة.

(٦) (ط): قليلة جدًا.

العقابُ الصالحَ والطالحَ(١).

قولُـه: في هـذه الأزمـان. يعنـي: القَـرن الخـامس والـسادس. وإذا كـان كذلك، فما الظنّ بالقرن العاشر وما بعده وقد استحكمت فيها الغُربةُ.

ولشيخنا محمد بن عبد الوهاب في تفسير هذه الكلمة: كـلامٌ حـسن(٢) بديع واضح، لم يُسبق إلى مثله. فليُراجع؛ لمسيس الحاجة إليه(٣).

قولُـه في الحـديث «وحْـدَه لا شَريـك لـه» تأكيـدٌ لمعنـى هـذه الكلمـة(٤) الذي دلّت عليه ووُضعت له، من باب اللّف والنشر المقـدّم والمـؤخر. وهـو بيانٌ لحقيقة معنى(٥) هذه الكلمة؛ لأنها دلّت بجملتها على التوحيد.

فلا إله: ينفي(٦) الشرك في العبادة قليلَه وكثيره؛ وبيَّنه بقولـه: «لا شريـك له» في إلهيته، وهي العبادة.

وقولُه: «وحدَه» هو معنى: إلّا اللهُ، فهو الإلـه الحـق وحـده/ [٥/ب] دون كـلّ مـا سواه من أهل السموات والأرض؛ كما دلّـت عـلى ذلـك الآيـاتُ المُحكـمات

---

(١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم ٢/ ٢٤.

(٢) : حسن. ليست في (ط).

(٣) ينظر: محمد بن عبد الوهاب، تفسير كلمة التوحيد ١/ ٣٦٣/ مجموع مؤلفات الشيخ.

(٤) (ط): لا إله إلا الله.

(٥) (ط): لمعنى.

(٦) (ط): تنفي.

ومتواتر الأحاديث الصحيحة(١).

فتدبَّر هذا البيان، يُطلعك على بُطلان قول مَن يقول: بجواز دعوة غير الله؛ والله تعالى يقول لنبيِّه: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وغيرها من الآيات الآتي ذكرُها إنْ شاء الله.

فقولُه: «وحدَه» تأكيدٌ للإثبات، وقولُه: «لا شَريكَ له» تأكيدٌ للنفي.

قولُه: «وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه» أي: وشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله. أي: بصدق ويقين، وذلك يقتضي: اتباعَه وتعظيم أمره ونهيه، ولزوم سُنته ﷺ وأنْ لا تُعارض بقول أحد؛ لأن غيره ﷺ يجوز عليه الخطأ، والنبي ﷺ: قد عَصمه الله وأمرنا بطاعته والتأسي به، والوعيد على ترك طاعته؛ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (٢)عجبتُ لقوم عرفوا الإسنادَ وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾(٢) أتدري ما الفتنة؟ الفتنةُ الشرك. لعله إذا ردّ بعضَ قوله أنْ يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك(٣).

---

(١) الصحيحة: ليست في (ط).

(٢) ما بينهما ساقط من (ط).

(٣) أخرجه العُكبَري في الإبانة، رقم ٩٧، من رواية الفضل بن زياد.

وقد وقع: مِن التفريط في المُتابعة وتركها، وتقديم أقوال من يجوز عليهم الخطأ على قوله[١] ـ لاسيما مِن العُلماء ـ كما لا يخفى.

قولُه: «وأنَّ عيسى عبد الله وَرَسُولُه» فيه: بيانُ الحق الذي يجب اعتقادهُ؛ كما في الآيات المُحكماتِ وما فيها من الردّ على كفار النصارى. وهم ثلاثُ طوائف، طائفةٌ قالوا: إنَّ عيسى هو الله. وطائفةٌ قالوا: إنه[٢] ابن الله. وطائفةٌ قالوا: إن الله[٣] ثالثُ ثلاثة. يَعنون: عيسى وأمّه.

فبيَّن تعالى في كتابه الحقَّ وأبطل الباطل؛ فقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ / وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧١-١٧٢]، والآيات بعدها. [٦/أ]

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾ في مواضع من سورة المائدة.

وأخبر تعالى عمَّا قاله المسيحُ عليه السلام وهو في المهد؛ فقال:

---

(١) (ط): قوله صلى الله عليه وسلم.

(٢) إنه. ليست في (ط).

(٣) إن الله. ليست في (ط).

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [مريم: ٢٧-٣٦].

فبيَّن الصراطَ المُستقيم: الذي مَن سلكه نجا، ومن خرج عنه هلك؛ قال[١] تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٠] فبين تعالى الصراط المستقيم بيانًا شافيًا كافيًا وافيًا[٢]، وأقام حُججه على توحيده. فأحقَّ الحق وأبطل الباطل، ولو كره المشركون.

وقولُه: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: قوله: كُن. فخلقه بكن، فكان. ففيه: إثباتُ صفة الكلام لله تعالى، خلافًا للجهمية أيضًا.

وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: مِن الأرواح التي استخرجها من صُلب آدم عليه السلام، وأخذ عليها العهد[٣] على أنَّه تعالى ربُّهم وإلههم؛ كما قال

---

(١) (ط): وقال.

(٢) كافيًا وافيًا. ليست في (ط).

(٣) (ص): العهد عليها.

تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآيات[١].

وروحُ عيسى: من تلك الأرواح[٢]، نفخها جبريلُ بأمر الله في جسده / [٦/ب] لمّا خلقه في بطن أمه[٣].

كما قال تعالى في آدم[٤]: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر: ٢٩. وسورة ص: ٧٢] فسبحان من لا يخلق غيره، ولا يُعبد[٥] سواه[٦]. لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون[٦].

وقد أورد بعضُ النصارى على بعض عُلماء المسلمين: قولَ الله تعالى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فقال في الجواب: هذا ليس بخاص[٧] بعيسى، بل

---

(١) قال ابن كثير، في التفسير ٦/ ٤٤٧: قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فَطْرهم على التوحيد.

(٢) (ط): زيادة: التي خلقها الله تعالى. وذكر ابنُ جرير، عن وهب بن مُنبِّه، قال: نفخ جبريلُ في جيب درع مريم حتى وصلت النفخة إلى الرحم، فاشتملت. وعن السدي: أن النفخة دخلت في صدرها فحملت. وقال ابن جُريج: يقولون: إنما نفخ في جيب درعها، وكُمِّها. انتهى مختصرا. فجبريل نفخ، والله خلق بقول: كن. فكان.

(٣) مِن: نفخها. إلى: أمه. ليست في (ط).

(٤) : في آدم. ليست في (ط).

(٥) علق في (ص): صوابُه: بحق.

(٦) ما بينها ساقط من (ط).

(٧) (ط): خاصًا.

المخلوقاتُ كلُّها كذلك[١]؛ كما قال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي: خلقًا وإيجادًا، وعيسى كذلك: خلقه وأوجده، كسائر مخلوقاته.

وفي هذا الحديث: الردُّ على اليهود أعداءِ الله وأعداءِ نبيّه[٢] ورُسله؛ فإنهم كانوا هم والنصارى في طرفي نقيض. فنسبوه إلى أنّه ولد بغي قاتلهم الله، فأكذبهم الله في كتابه وأبطل قولهم؛ كما أبطل تعالى قولَ الغلاة من النصارى فيما تقدَّم من الآيات ونحوها.

فالنصارى: غلوا في عيسى[٣] أعظمَ الغُلو والكفر والضلال. واليهودُ: جفوا في حقّه غايةَ الجفاء. وكِلاهما قد ضلّ ضلالًا بعيدًا، بيَّنه الله تعالى في مواضع[٤] من كِتابه.

وبيّن تعالى الحقَّ والصدق، ورفع قدر المسيح عليه السلام، وجعله من أُولي العزم الخمسة المذكورين في سُورة الأحزاب والشورى. وأمر نبيَّه أنْ يصبر كما صبروا؛ فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. فهم أفضلُ الرسل على التحقيق، والنبيُّ ﷺ أفضلهم. صلواتُ الله وسلامه عليه، وعلى جميع الأنبياء والمُرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) (ط): كذلك كلها.

(٢) (ط): أنبيائه.

(٣) (ط): عيسى بن مريم عليه السلام.

(٤) (ط): مواضع كثيرة.

قولُه: «وأنَّ الجنةَ حقٌّ» أعدَّها الله للمؤمنين يوم القيامة، وما فيها من القُصور والثمار والفواكه، والنعيم المقيم والنظر إلى وجه الله الكريم؛ كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٨]، وقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

«والنَّارَ حقٌّ» أعدّها الله لمِن كفرَ به، وأشرك به[١] في إلهيته أو[٢] ربوبيته، وألحد في أسمائه وصفاته. ومَن لم يُؤمن بالجنة والنار: فقد كفر بالقرآن والرُّسل والمُرسِل[٣]؛ فإنَّ الله تعالى بيَّن الجنة وما أعد فيها من النعيم المُقيم، / وذكر أنَّها دارُ المُتقين. وذكر النار وما فيها من العذاب، وأنَّه أعدها لمن كفر به وأشرك. [٧/أ]

وقولُه: «أدخله الله الجنَّةَ على ما كان من العمل» جوابُ مَن الشرطية. أي: مَن شهد أنْ لا إله إلا الله ـ إلى آخره ـ أدخله الله الجنة، أي: بإخلاصه وصِدقه والإيمان برُسله وما أرسله به[٤]، وخالف النصارى واليهود: في الغلو والجفاء في حق عيسى، وعلم يقينًا أنه عبد الله ورسوله، وآمن بالجنة والنار.

فمن كان كذلك: أدخله الله الجنة، وإنْ كان مقصِّرًا وله ذنوب. فهذه

---

(١) (ط): به. ساقطة.

(٢) (ط): و.

(٣) والمرسل. ليست في (ط).

(٤) (ط): برسوله وما أرسل.

الحسنة العظيمة ترجَح بجميع السيئات، فتدبَّر هذا الحديث فإنَّه عظيم(١).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهما، في حديث عِتبان «فإنَّ الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله. يبتغي بذلك وجهَ الله»(٢).

ش: قولُه: (ولهما) أي: البخاري ومسلم، وهو(٣) حديثٌ طويل اختصره المصنِّف، وذكر منه ما يناسبُ الترجمة وهو قوله: «مَن قال: لا إله إلا اللهُ. يبتغي بذلك وجه الله» وهذا هو حقيقةُ معناها الذي دلَّت عليه هذه الكلمة: من الإخلاص، ونفي الشرك. والصدقُ والإخلاص متلازمان، لا يوجد أحدُهما بدون الآخر؛ فإنَّ مَن لم يكن مخُلصًا فهو مشرك، ومَن لم يكن صادقًا فهو منافق. والمُخلِص: أنْ يقولها مخلصًا الإلهية لله وحده دون كل ما سواه(٤).

وهذا التوحيد: هو أساسُ الإسلام، الذي قال الخليلُ عليه السلام ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقالت بَلْقيس(٥): ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

---

(١) (ط): زيادة: والله أعلم.

(٢) البخاري، في الصحيح، رقم ٤٢٥، ١١٨٥، ٦٤٢٣، ٦٩٣٨، ومسلم، في الصحيح، رقم ٣٣، ٦٥٧، وأخرجه أحمد، في المسند ٤/ ٤٤، ٥/ ٤٤٩.

(٣) (ط): وهذا.

(٤) (ط): لمن يستحقها، وهو الله تعالى.

(٥) بَلْقِيسُ بنت شَراحيل بن ذي جَدَن السبئية، يقال: إن أمها من الجن. ملكت اليمن بعد أبيها، ثم أسلمت على يد سليمان عليه السلام. واشتُهر أنه تزوجها وأقرها على بلادها. ابن كثير، البداية والنهاية ٢/ ٣٣٠.

وقد قال[١] الخليلُ عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩]. والحنيفُ: هو الذي ترك الشِّرك رأسًا، وتبرأ منه وفارق أهله وعاداهم، وأخلصَ أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، فإسلامُ الوجه: هو الإخلاص للعبادة[٢] المنافي للشرك والنفاق / وهو [٧/ ب] معنى الآية ونحوها إجماعًا.

فهذا هو الذي ينفعه قول: لا إله إلا الله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾.

وهذا بخلاف مَن يقولها وهو يدعو غيرَ الله ويستغيث به، مِن ميِّت أو غائب لا ينفع ولا يضر، كما ترى عليه أكثرَ الخلق. فهؤلاء وإنْ قالوها، فقد تلبَّسوا بما يُناقضها. فلا تنفع قائلَها إلا بالعلم بمدلولها نفيًا وإثباتًا، والجاهلُ بمعناها وإنْ قالها فإنَّها[٣] لا تنفعه؛ لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أُريد بها[٤] مِن نفي الشرك. وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقّن له؛ فإذا انتفى اليقينُ وقع الشك.

---

(١) (ط): وقال.

(٢) (ط): إخلاص العبادة.

(٣) (ط): فإنها. ساقطة.

(٤) (ط): منها.

وممّا قُيِّدت به في الحديث، قوله ﷺ: «غيرَ شاكٍّ»[(١)] فلا تنفع إلا مَن قالها بعلمٍ ويَقينٍ[(٢)].

وكذلك مَن قالها غيرَ صادق في قوله: فإنّها لا تنفعه لمخالفة القلب اللسان؛ كحال المُنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وكذلك حال المشركين[(٣)]. فلا تُقبل مِن مُشرك: لمنافاة الشرك للإخلاص، ولما دلَّت عليه هذه الكلمة مطابقة. فإنّها دلَّت على نفي الشرك والبراءة منه، والإخلاص لله وحده لا شريك له مطابقة، وَمن لم يكن كذلك لم ينفعه قولُه: لا إله إلا الله. كما هو حال كثيرٍ من عَبَدة الأوثان؛ يقولون: لا إله إلا الله. ويُنكرون ما دلّت عليه من الإخلاص، ويُعادون أهلَه وينصرون الشركَ وأهله؛ وقد قال الخليلُ عليه السلام لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]. وهي لا إله إلا الله، وقد عبَّر عنها الخليلُ بمعناها الذي وضعت له ودلَّت عليه، وهو البراءة من الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، كما تقدم تقريرُه.

وكذلك مَن قالها ولم يقبل ما دلّت عليه من الإخلاص، كان قولُه لهذه الكلمة كذبًا منه، بل قد عكس مدلولَها فأثبت ما نفته مِن الشرك، ونفى ما أثبتته من الإخلاص.

---

(١) قطعة من حديث: أخرجه مسلم، في الصحيح، رقم ٢٧ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ١١ من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) (ط): زيادة: لقوله صدقًا من قلبه، خالصًا من قلبه.

(٣) (ص) (ط): المشرك.

فهذا الذي ذكرناه هو حالُ الأكثرين مِن هذه الأمة بعد القرون الثلاثة، وسببُ ذلك: الجهلُ / بمعناها، أو[1] اتباع الهوى. فيصده[2] عن اتباع الحق، وما بعث اللهُ به رُسله من دينه[3] الذي شرعه لعباده ورضيه لهم. [٨/أ]

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: «قال موسى: يا ربِّ علّمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى لا إله إلا الله. قال: كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أنّ السمواتِ السبعَ وعامرَهن غيري، والأرضينَ السبعَ في كِفَّة ولا إله إلا الله في كِفَّة. مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان، والحاكم وصححه[4].

ت: قولُه: «لا إله إلا الله» فلا نافيةٌ للجنس نفيًا عامًا إلا ما استُثنى، وخبرُها محذوف تقديره: لا إله حق إلا الله؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢]. فإلهيتُه تعالى هي الحق، وكل ما سواه من الآلهة فإلهيته باطلة؛ كما في هذه الآية ونظائرها.

---

(١) (ص) (ط): و.

(٢) (ط): فيصرفه.

(٣) (ط): توحيده.

(٤) ابن حبان، في الصحيح، رقم ٦٢١٨، والحاكم، في المستدرك ١/ ٥٢٨ وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبراني، في الدعاء، رقم ١٤٨٠، وأبو يعلى، في المسند، رقم ١٣٩٣، وصححه ابنُ حجر في فتح الباري ١١/ ٢٠٨. والتخريج ساقطٌ من الأصل و(ص).

فهذه كلمةٌ عظيمة: هي العُروة الوثقى، وكلمة التقوى والإخلاص[١]، وهي التي قامت بها السمواتُ والأرض، وشُرعت لتكميلها السُّنَّةُ والفرض، ولأجلها جُرِّدت سيوفُ الجهاد، وبها ظهر الفرقُ بين المطيع والعاصي من العباد.

فمَن قالها وعمل بها صِدقًا وإخلاصًا، وقبولًا و محبة وإنقيادًا: أدخله الله الجنة على ما كان من العمل؛ وفي الحديث الصحيح: «أفضل الدُّعاء يومُ عرفة، وأفضلُ ما قُلتُ أنا والنَّبيون من قَبلي: لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»[٢].

وفي حديث عبد الله بن عمرو، مرفوعًا: «يُصاح برجلٍ مِن أُمَّتي على رُؤوس الخلائق يومَ القيامة، فيُنشر له تسعةٌ وتسعون سجلًا كلَّ سجل منها مدَّ البصر، ثُمَّ يُقال له: أتُنكر مِن هذا شيئًا؟. فيقول: لا يا ربِّ. فيُقال: أَلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنَة؟. فَيَهاب الرجلُ، فَيَقول: لا. فيُقال: بَلَى إنَّ لَكَ عِندنا حَسَنات وَ إنَّه لا ظُلْم عَليك، فَيُخْرَجُ له بِطاقَةٌ فيها أَشْهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ مُحمَّدًا عَبْدُه ورسُولُه. فَيَقول: يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلات؟. فَيُقال: إنَّك لا تُظْلَم. فَتُوضَع السِّجلات في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشَتْ السِّجلات وثَقُلَت البطاقة». رواه التِّرمذيُّ وحسَّنه[٣].

---

(١) (ص) (ط): وكلمة الإخلاص.

(٢) أخرجه الترمذي، في الجامع، رقم ٣٥٧٩، وقال: حديثٌ حسن غريب، وأحمد، في المسند ٢/ ٢١٠ من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه الهيثمي، في مجمع الزوائد ٣/ ٢٥٢.

(٣) الترمذي، في الجامع، رقم ٢٦٤١، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٢١٣، ٢٢١، =

قولُه: «لو أنَّ السموات السبع/ وعامرَهنَّ» أي: كل مَن في السموات [٨/ ب] والأرض. وقولُـه «غـيري» استثنى ممن في السموات نفسَه؛ لأنَّـه العلي الأعلى تعالى وتقدس؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، الشورى: ٤] عُلوُّ القهر وعلو القُدرة وعلو الذات، فالثلاثةُ كلُّها صفته ودلَّت على كماله؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] في سبعة مواضع مِن كتابه.

كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾[1] [المعارج: ٤]، ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وأمثالِ هذه الآيات.

فَمَن سَلَب عُلُوَّه[2] على خلقه: فقد خالف صريحَ الكتاب والسنة، وألحد في أسمائه وصفاته. ومعنى هذه الكلمة نفيُ الإلهية عن كل شيءٍ سوى ما استُثني[3]، وهو الله. وفيه: النص على أنَّ الأرضين سبع كالسموات[4].

= والحاكم، في المستدرك ١/ ٥، ٦، وصححه ووافقه الذهبي.

(١) (ط) زيادة: وقال تعالى.

(٢) (ط): علو الله تعالى.

(٣) (ص) (ط): استثني بها.

(٤) كتاب التوحيد، المسألة العاشرة.

فهذه كلمةٌ عظيمة: هي العُروة الوثقى، وكلمة التقوى والإخلاص [(١)]، وهي التي قامت بها السموات والأرض، وشُرعت لتكميلها السُّنةُ والفرض، ولأجلها جُرِّدت سيوفُ الجهاد، وبها ظهر الفرقُ بين المطيع والعاصي من العباد.

فمَن قالها وعمل بها صِدقًا وإخلاصًا، وقبولًا ومحبة وإنقيادًا: أدخله الله الجنة على ما كان من العمل؛ وفي الحديث الصحيح: «*أفضل الدُّعاء يومُ عرفة، وأفضلُ ما قُلتُ أنا والنَّبيون من قَبلي*: لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»[(٢)].

وفي حديث عبد الله بن عمرو، مرفوعًا: «**يُصاح برجلٍ مِن أُمَّتي على رُؤوس الخلائق يومَ القيامة، فيُنشر له تسعةٌ وتسعون سجلًا كلُّ سجل منها مدَّ البصر، ثُمَّ يُقال له: أتُنكر مِن هذا شيئًا؟. فيقول: لا يا ربِّ. فيُقال: أَلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنَة؟. فيَهاب الرجلُ، فيَقول: لا. فيُقال: بَلَى إنَّ لَكَ عِندنا حَسَنات وَ إنَّه لا ظُلْم عَليك، فيُخْرَجُ له بِطاقَةٌ فيها أَشْهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ مُحمَّدًا عَبْدُه ورسُولُه. فيَقول: يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلات؟. فيُقال: إنَّك لا تُظْلَم. فتُوضَع السِّجلات في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشَتْ السِّجلات وثَقُلَت البطاقة**». رواه التِّرمذيُّ وحسَّنه[(٣)].

---

(١) (ص) (ط): وكلمة الإخلاص.

(٢) أخرجه الترمذي، في الجامع، رقم ٣٥٧٩، وقال: حديثٌ حسن غريب، وأحمد، في المسند ٢/ ٢١٠ من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه الهيثمي، في مجمع الزوائد ٣/ ٢٥٢.

(٣) الترمذي، في الجامع، رقم ٢٦٤١، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٢١٣، ٢٢١، =

قولُه: «لو أنَّ السموات السبع/ وعامرَهنَّ» أي: كل مَن في السموات [٨/ب] والأرض. وقولُه «غيري» استثنى ممن في السموات نفسَه؛ لأنَّه العلي الأعلى تعالى وتقدس؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، الشورى: ٤] عُلوُّ القهر وعلو القُدرة وعلو الذات، فالثلاثةُ كلُّها صفته ودلَّت على كماله؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] في سبعة مواضع مِن كتابه.

كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾[(١)] [المعارج: ٤]، ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وأمثالِ هذه الآيات.

فمَن سَلَب عُلُوَّه[(٢)] على خلقه: فقد خالف صريحَ الكتاب والسنة، وألحد في أسمائه وصفاته. ومعنى هذه الكلمة نفيُ الإلهية عن كل شيءٍ سوى ما استُثني[(٣)]، وهو الله. وفيه: النص على أنَّ الأرضين سبع كالسموات[(٤)].

= والحاكم، في المستدرك ١/ ٥، ٦، وصححه ووافقه الذهبي.

(١) (ط) زيادة: وقال تعالى.

(٢) (ط): علو الله تعالى.

(٣) (ص) (ط): استثني بها.

(٤) كتاب التوحيد، المسألة العاشرة.

لكـن هـذه الكلمـة العظيمـة لا يحـصل رجحانُهـا، إلا في حـق مَـن أتـى بقيودها، التي قُيِّدت بها في الكتاب والسنة.

وقـد ذكـر تعـالى في سـورة بـراءة وغيرهـا: كثيرًا ممـن يقولهـا فلـم[1] ينفعهم قولها؛ كحال أهـل الكتاب والمنافقين عـلى كثرتهم وتنـوّعهم في نفاقهم. فلم تنفعهم مع ما قام بهم مـن تـرك تلـك القيـود، فمنهم: مَن يقولهـا جاهلًا بما وضعت له وبما دلَّت عليه، من نفي الشرك والبراءة منه والصدق والإخلاص وغيرها، كعدم القبول ممن دعا إليها عِلمًا وعملًا، وتركِ الانقياد بالعمل بما تقتضيه؛ كحال أكثر مَن يقولها قديمًا وحديثًا، لكن[2] في أواخر هذه الأمة أكثر.

ومنهم: مَن يمنعه من محبتها والعمل بها؛ ما قام بقلبه مـن كِبر أو هـوى، أو غير ذلك من الأسباب وهي كثيرة، منها قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

وأمَّا أهلُ الإيمان الخُلَّص: فهم الذين أتوا بهذه الكلمة، واجتمعت لهم قيودُها التي قُيِّدت بها علمًا ويقينًا وصِدقًا وإخلاصًا و محبة وقبولًا وانقيادًا، وعادَوا ووالوا فيه وأحبُّوا فيه وأبغضوا فيه. وقد ذكرهم تعالى في مواضع من سُورة براءة وغيرها، وخصَّهم بالثناء عليهم، والعفو عنهم وأعدَّ لهم جنَّته / [٩/أ] وأنجاهم من النار؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ

(١) (ط): ولم.

(٢) (ط): ولكن.

يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾﴾ الآيات[١] [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠] [٢]وقال: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ [الفتح: ٢٦][٢].

فهؤلاء ومَن اتبعهم بإحسان: هم أهلُ لا إله إلا الله، وغير هذه الآيات[٣] في الثناء عليهم وما أعدَّ لهم في الدار الآخرة.

فمَن تدبَّر القرآن، وعرف تفاوت الخلْق ـ في محبة ربهم وتوحيده، والعمل بطاعته والهرب مِن معصيته، وإيثارِ ما يُحبه تعالى رغبة وعملًا، وتركِ ما يكرهه خشية ورجاءً ـ واعتبر الناسَ بأحوالهم وأقوالهم وأعمالهم ونيَّاتهم وإراداتهم، وما هم عليه مِن التفاوت البعيد: تبيَّن له خطأُ المغرورين؛ كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ، أنَّه قال: «**الكيِّسُ مَن دانَ نفسَه وعَمِلَ لما بعد الموتِ والعاجزُ مَن أَتْبَع نفسه هواها وتمَنَّى على الله الأماني**»[٤].

---

(١) : الآيات. ليست في (ط).

(٢) ما بينهما ليس في (ط).

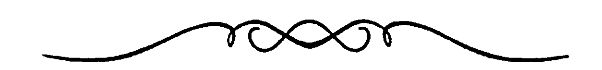
(٣) (ص) (ط): من الآيات.

(٤) أخرجه الترمذي، في الجامع، رقم ٢٤٦١، وقال: هذا حديثٌ حسن، وأحمد، في المسند ٤/ ١٢٤ من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وللترمذي وحسَّنه، عن أنس: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابنَ آدم، إنَّك لو أَتيتَني بقُراب الأرض خطايا ثم لَقِيتَني لا تُشركُ بي شيئًا، لأتيتُك بقُرابها مَغْفرة»[1].

ت: في هذا الحديث: ما يُبيِّن معنى لا إله إلا الله، الذي به[2] رجحت بجميع المخلوقات وجميع السيئات، وأنَّ ذلك هو ترك الشرك قليلِه وكثيرِه، وذلك يقتضي كمالَ التوحيد.

فلا يسلم من الشرك: إلا من حقّق توحيده، وأتى بما تقتضيه كلمة الإخلاصِ من العلم واليقين والصدق والإخلاص والمحبة والقبول والانقياد، وغير ذلك مما تقتضيه تلك الكلمة العظيمة؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].



(١) الترمذي، في الجامع، رقم ٣٥٣٤، وأخرجه مسلم، في الصحيح، رقم ٢٦٨٧، وأحمد، في المسند ٥/ ١٥٤، ١٧٢ من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) (ط): التي.

(٢)
بــابٌ
من حقَّق التوحيدَ دخل الجنة بغير حساب

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: بابٌ من حقَّق التوحيدَ دخل الجنة بغير حساب.

ت: أي: ولا عذاب؛ كما في الحديث. وتحقيق التوحيد(١): تصفيته وتخليصُه من شوائب الشرك والبدع، والإصرارِ على الذنوب. فمن كان كذلك / فقد حقَّق توحيده، وتحقيقُ التوحيد عزيزٌ في الأمة لا يُوجد إلا في [٩/ب] أهل الإيمان الخُلَّص، الذين أخلصَهم الله واصطفاهم مِن خلقه؛ كما قال تعالى في يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤] في قراءة ﴿المخلِصين﴾.

وهم في صدر هذه(٢) الأمة كثيرون، وفي آخرها: هم الغُرباء وقد قلُّوا، وهم الأعظمون قدْرًا عند الله.

وقال تعالى عن خليله عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

(١) (ط): ولا عذاب، وتحقيقه.
(٢) (ط): هذه. ساقطة.

ﭐلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٨-٧٩]. أي: أخلصتُ ديني، وأفردتُ عبادتي للذي فطرَ السموات والأرض، أي: خلقهما وابتدعهما على غير مثال سَبَق.

﴿حَنِيفًا﴾: أي[1]: مائلًا عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

ونظائرُ هذه الآية في القُرآن كثير، كقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال العِمادُ بن كثير، في الآية: يقول تعالى مخُبرًا عمَّن أسلم وجهه لله، أي: أخلص له العمل، وانقاد لأمره[2] واتبع شرعه؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: في عمله، واتباع ما أُمر به وترك ما عنه زُجر[3].

فدلَّت هذه الآيات[4] العظيمة: على أنَّ كمال الإخلاص إنما يُوجد بترك الشرك والبراء[5] منه وممن فعله، كما تقدم في الباب قبل هذا.

---

(١) (ط) زيادة: حنيفا. أي: في حال كوني.
(٢) (ط): لأوامره.
(٣) ابن كثير، التفسير ١١/ ٧٦.
(٤) (ط): الآية.
(٥) (ص) (ط): والبراءة.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولُ الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل: ١٢٠].

ت: قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يمدح تعالى عبدَه ورسوله وخليله[1] إبراهيم إمام الحُنفاء بتبريّه[2] من الشرك[3]، ومن اليهودية والنصرانية[4].

والأُمَّة: هو الإمام الذي يُقْتدى به، والقانت: هو الخاشع المُطيع، والحنيف: المنحرفُ قصدًا عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

وقال مجُاهد[5]: كان إبراهيم أمة، أي: مؤمنًا وحدَه، والناسُ كلُّهم إذ ذاك كفّار[6].

قلتُ: وكلا القولين حق؛ فقد كان الخليل عليه السلام كذلك، فتأمّل[7].

---

(١) وخليله. ليست في (ط).

(٢) (ط): بتبرئته.

(٣) (ص) (ط): المشركين.

(٤) (ط) زيادة: والمجوسية.

(٥) أبو الحجاج: مجُاهد بن جَبْر المخزُومي مولاهم، المكي، ثِقةٌ إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة. مات سنة ١٠١هـ. ابن حجر، التقريب ٩٢١.

(٦) ابن كثير، التفسير ٨/ ٣٦٥-٣٦٦، والأثر: أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٩/ ١٣٠.

(٧) (ط): فتأمل. ساقطة.

وقولُ مجاهد ـ والله أعلم ـ إنما كان في ابتداء دعوة الخليل(١) ونبوّته ورسالته عليه السلام، فمدحه تعالى بتبرِّيه(٢) من المشركين؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢﴾ الآيات [مريم: ٤١-٤٢]، وقوله: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ / سَلِيمٍ ۝٨٤﴾ [الصافات: ٨٣-٨٤]. [١٠/أ]

وفي(٣) ابتداء دعوته عليه السلام: لم يكن(٤) على وجه الأرض مسلم غيره، وبذلك جاء الحديث(٥).

قولُه ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٢٠﴾ فقد فارق المُشركين بالقلب واللسان والأركان، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته، وكسر أصنام قومه(٦)، وصَبر على ما أصابه في ذات الله.

وهذا هو تحقيقُ التوحيد، وهو أساسُ الدين ورأسه؛ كما قال تعالى ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٣١﴾ [البقرة: ١٣١].

---

(١) (ط): لما كان الخليل كذلك في ابتداء دعوته.

(٢) (ط): بتبرئته.

(٣) (ط) زيادة: فهذا والله أعلم كان.

(٤) (ط): ولم يكن إذ ذاك.

(٥) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٣٣٥٨، ومسلم، في الصحيح، رقم ٢٣٧١، وأحمد، في المسند ٢/ ٤٠٣ من حديث أبي هريرة، وفيه: «قال إبراهيم عليه السلام: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك».

(٦) (ط): الأصنام.

وأنتَ تجد أكثرَ من يقول: لا إله إلا الله. ويدَّعي الإسلام، يفعل الشركَ بالله في عبادته: بدعوة مَن لا يضر ولا ينفع مِن الأموات والغائبين والطواغيت والجن وغيرهم، ويحُبهم ويواليهم ويخافهم ويرجوهم، ويُنكر على مَن دعا إلى عبادة الله وحدَه وتركِ عبادة ما سواه، ويزعمُ أنَّ ذلك بدعةٌ وضلالة، ويُعادي مَن عمل به وأحبَّه وأنكر الشرك وأبغضه، وبعضُهم لا يعدّ التوحيد عِلمًا ولا يلتفتُ إليه لجهله به وعدم محبّته، فالله المُستَعان.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٥٩].

ت: قال العمادُ بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: مِن إحسانهم وعملهم الصالح مُشفقون مِن الله، خائفون وجِلون من مكره بهم؛ كما قال الحسنُ البَصري[(١)]: المؤمنُ مَن جمع إحسانًا وشَفقًا، والمُنافق من جمع إساءة وأمنًا[(٢)].

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ يُؤمنون[(٣)] بآيات الله الكونية

---

(١) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يُرسل كثيرًا ويدلِّس. وهو رأس أهل الطبقة الثالثة. مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين. ابن حجر، التقريب ٢٣٦.

(٢) أخرجه ابن جرير، في التفسير ١٧/ ٦٨، وابن أبي حاتم، في التفسير، كما في الدر المنثور ١٠/ ٥٩٩.

(٣) (ط): أي يُؤمنون.

والشرعية؛ كقوله(١) تعالى عن مريم: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم: ١٢] أي: أيقنت أنَّ ما كان فهو من قَدَر الله وقضائه. وما شَرَعه الله: فإنْ(٢) كان أمرًا فهو ما يحُبه الله ويرضاه، وإنْ كان نَهْيًا فهو ما يكرهه ويأباه، وإنْ كان خبرًا فهو حق؛ كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ أي: لا يعبدون معه غيره، بل يوحِّدونه ويعلمون أنّه لا إله إلا هو الأحد الصمدُ، الذي لم يتَّخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأنّه لا نظير له. انتهى(٣).

قلتُ: فتركُ الشرك يتضمّن كمالَ التوحيد بمعرفته(٤) على الحقيقة، ومحبته وقبوله والدعوة إليه؛ كما قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ۝٣٦﴾ [الرعد: ٣٦] / [١٠/ب] وتضمّنت هذه الآيات(٥) كمالَ التوحيد وتحقيقه. وبالله التوفيق.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن حُصين بن عبد الرحمن، قال: كُنتُ عند سعيد بن جُبير، فقال: أيُّكم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحة؟ فقلتُ: أنا، ثم قلتُ: أمَا إني لم أكن في صلاةٍ، ولكني لُدغتُ. قال: فماذا صنعتَ؟ قلتُ: ارتقيتُ، قال: فما حَمَلَك على ذلك؟ قلت: حديثٌ حدَّثناه الشعبي، قال: وما حدّثكم؟ قلتُ: حدثنا عن بُريدة بن

---

(١) الأصل و (ط): لقوله. والمثبت من (ص) والتفسير.

(٢) (ط): وإن.

(٣) ابن كثير، التفسير ١٠/ ١٢٩.

(٤) (ط): ومعرفته.

(٥) (ط): الآية.

الحُصيب، أنه قال: «لا رُقية إلى من عَيْنٍ أو حُمةٍ» قال: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ؛ ولَكِنْ حَدَّثنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ومعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيَّ ومعهُ الرَّجُلُ والرجلاَنِ، والنَّبِيَّ ولَيْسَ معهُ أَحَدٌ. إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فظَنَنْتُ أَنَّهُم أُمَّتِي، فقِيلَ لِي: هذا مُوسَى وقوْمُهُ. فنظَرْتُ فإذا سَوَادٌ عَظِيمٌ. فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ. ومعَهُمْ سبعونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولاَ عَذَابٍ». ثُمَّ نهض فدخل مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فقال بَعْضُهم: فلعَلَّهمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رسولَ الله ﷺ. وقَالَ بعضُهُمْ: فلعَلَّهم الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإسلامِ فلمْ يُشْرِكُوا بِالله شيئًا. وذكَرُوا أَشْيَاءَ. فخرجَ عَلَيْهِم رَسُولُ الله ﷺ فَأَخبروهُ. فقال: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَلاَ يتطَيَّرُونَ، وعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ، فقالَ: يَا رسُولَ الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يجْعلنِي مِنهمْ. قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ». ثُمَّ قامَ رَجُلٌ آخَرُ، فقال: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجعلني مِنهمْ. فقالَ: «سبقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1].

ت: قولُه: (عن حُصين بن عبد الرحمن) هو الحارثي[2]، من أتباع[3]

(١) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٥٧٠٥، ٦٥٤١، ومسلم، في الصحيح، رقم ٢٢٠، وأحمد، في المسند ١/ ٢٧١ واللفظ لهما.

(٢) هكذا في جميع النسخ، والصواب: حُصين بن عبد الرحمن السُّلمي، وهو: أبو الهُذيل الكوفي، ثقة تغيَّر حفظه في الآخر، من الخامسة. مات سنة ١٣٦هـ، وله ثلاثٌ وتسعون. ابن حجر، التقريب ٢٥٣.

(٣) (ط): تابعي.

التابعين، عن الشَّعبي.

قولُه[١]: (قال: كنتُ عند سعيد بن جُبير) هو الوالبي، مولاهم الفقيه، عن: ابن عباس، وخلْق. قال اللالكائي[٢]: ثقةٌ إمام حُجَّة. قتله الحجاجُ بن يوسف فما أمهلَه الله بعده[٣].

قولُه (فقال: أيُّكم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحة). يعني: كوكبًا رُجم به تلك الليلة. يُقال: البارحةُ ـ لليلة الماضية، إذا زالت الشمس. وأمّا قبل الزوال، فيُقال: الليلة.

قولُه (فقلتُ: أنا) أي: أنا رأيته، (ثم قلتُ: أما إني لم أكن في صلاة) قال ذلك حذرًا من الشرك؛ لئلا يظُن الحاضرون أنَّه قام من الليل للعبادة، فيكون قد ادَّعى لنفسه ما لم يفعله. فما أشدّ حذر التابعين ومَن قبلهم من الشرك دقيقِهِ وجليله، والحذر مِن أنْ يُحمد بما لم يفعله. فما أعزّ مَن سلم من الشرك، كما سيأتي.

قولُه: (ولكن[٤] حديثٌ حدَّثناه الشَّعبي. قال: وما حدَّثكم؟ قلتُ: حدثنا عن بُريدة بن الحُصيب، أنه قال: «لا رُقْية إلى من عين أو حُمَة».

---

(١) (ط): قوله. ساقطة.

(٢) أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، الشافعي اللالكائي، فقيه محدث، له كتاب شرح أصول الاعتقاد، والسنن وغيرهما. توفي عام ٤١٨هـ. الذهبي، سير النبلاء ١٧/ ٤١٩.

(٣) ينظر ترجمته: المزي، تهذيب الكمال ١٠/ ٣٧٦.

(٤) هكذا في جميع النسخ، وفي كتاب التوحيد، ومصادر التخريج: قلت.

هذا الحديث: قد رُوي مرفوعًا[١]. والشَّعبي: اسمُه عامر بن شراحيل الحِميري الشَّعبيُ، الإمام، روى: عن عُمر، وعلي، وابن مسعود ـ ولم يسمع منهم ـ وعن أبي هُريرة، وعائشة، وجرير، وابن عباس، وخلْق. قال الشعبي: ما كتبتُ سوداءَ في بيضاء[٢]. توفي سنة ثلاث ومائة[٣].

وبُريدة: ابنُ[٤] الحُصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، أسلم قبل بدر، وعمل على اليمن في أيام النبي ﷺ، صحابيٌ مشهور[٥].

قولُه: «لا رُقْية إلى من عين أو حُمة» هذا ـ والله أعلم ـ في أوّل الأمر، ثم رُخّص في الرُّقى إذا كان[٦] بحق، والله أعلم.

قولُه: (قد أحسن مَن انتهى إلى ما سَمع)، فيه: حُسن الأدب مع العلم وأهله، وأنَّ مَن فعل شيئًا سُئل عن مُستنده في فعله: هل كان مُقتديًا، أم لا. ومَن لم يكن معه حجة شرعية فلا عُذر له بما فعله؛ ولهذا ذكر ابنُ عبد البر:

---

(١) أخرجه مرفوعًا، من حديث بريدة: ابنُ ماجه، في السنن، رقم ٣٥١٣، وابن خُزيمة، في الصحيح، كما في الاتحاف ٢/ ٥٦٣، والمحفوظُ: من حديث عمران بن حصين أخرجه أبو داود، في السنن رقم ٣٨٨٤، والترمذي، في الجامع رقم ٢٠٥٧، وأحمد، في المسند ٤/ ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٦. ينظر: المزيّ، التحفة ٢/ ٧٧.

(٢) (ط): زيادة: أي: كلما سمع حفظه، فحدّث به من حفظه.

(٣) ترجمته: ابن حجر، التقريب ٤٧٥.

(٤) (ط): هو ابن.

(٥) ترجمته: ابن حجر، الإصابة ١/ ٥٣٣.

(٦) (ص) (ط): كانت.

إجماع أهل العلم(١) على أنّ المقلد ليس من أهل العلم(٢). فتفطّن لهذا!.

قولُـه: (ولكـن حـدثنا ابـنُ عبـاس) هـو عبـد الله بـن عبـاس بـن عبد المطلب بن هاشم، ابنُ عم النبي ﷺ، حَبْرُ الأمة وتُرجُمان القرآن، دعا له النبيُّ ﷺ فقال: «اللهم فقِّهه في الدين وعلمه التأويل»(٣) فصار(٤) آيةً في العلم والفهم وكثرة ما روى مِن الأحاديث، على أنّه من صغار / الصحابة. [١١/أ] لكن طلب الحديث من كبار الصحابة، فحفظ الأكثر مما كان عندهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين(٥).

قولُه: (أنَّ النبي ﷺ قال: «عُرِضَت عليَّ الأمم» قلتُ: فالله أعلم متى عُرضت. وعَرضُها: أنَّ الله تعالى أراه مثالهَا، إذا جاءت الأنبياءُ ـ يوم القيامة(٦) ـ ومن تبعهم.

فمن نجا: بالإيمان بالله، وبما(٧) بَعَث به أنبياءه ورُسلَه من دينه الذي شرعه لهم. وهو: عبادتُه وحدَه لا شريك له وتركُ عبادة ما سواه، والأخذ بما

---

(١) (ط): الإجماع.

(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم ٢/ ١٤٠.

(٣) أخرجه أحمد، في المسند ١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥، وصححه الهيثمي، في مجمع الزوائد ٩/ ٢٧٦، وأصلُه في صحيح البخاري، رقم ٧٥.

(٤) (ط): وصار.

(٥) وقع في الأصل و (ص) تقديمٌ وتأخير يسير، والمُثبت على نسق النص. وينظر ترجمة ابن عباس: ابن حجر، الإصابة ٦/ ٢٢٨.

(٦) : يوم القيامة. ليست في (ط).

(٧) (ط): بالإيمان وما.

أمرهم به وترك ما نهاهم عنه؛ كما قال تعالى عن نُوح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ [نوح: ٢-٣] فعِبادتُه: توحيدُه. وتقواه: طاعتُه[١] بامتثال ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه وطاعةِ رسوله. هذا هو الدين: أنْ لا يُعبد إلا الله، وأنْ لا يُعبد إلا بما شرع فِعْلًا وتَرْكًا، وأنْ يُقدِّم طاعةَ رسوله على ما يحُبه ويهواه.

قولُه: (فرأيتُ النبَّي ومعه الرَّهْط) الرَّهْط: العَشَرة فما دُون «والنبّي ومعه الرجلُ والرجلان» أي: أتباعه «والنبَّي وليس معه أحد» أي: يُبعث في قومه، فلا يتبعه منهم أحد؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾ [الحجر: ١٠-١١].

وفيه دليلٌ على أنَّ الناجي من الأمم هو القليل ـ قديمًا وحديثًا ـ، والأكثر[٢] غلبت عليهم الطباعُ البشرية، فعصوا الرسل فهلكوا؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، [٣]وقال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾[٣] [الأعراف: ١٠٢]، وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ۝٤٢﴾ [الروم: ٤٢]، وأمثالُ هذه الآيات في القرآن كثير.

---

(١) (ط): توحيده وطاعته.

(٢) (ط): هم القليل والأكثر.

(٣) ما بينهما ليست في (ط).

والنَّـاجون وإنْ كـانوا أقـل القليـل فهـم الـسواد الأعظـم؛ لأنهـم[١] الأعظمون قدْرًا عند الله وإنْ قلّوا.

فليحذر المسلمُ أنْ يغترّ بالكثرة، وقد اغتر بهم كثيرون، حتـى بعـض مَن يدّعي العلم: اعتقدوا في دينهم ما يعتقـده الجهّـالُ الـضلال، ولـم يلتفتـوا إلى ما قاله الله ورسولُه.

قولُه: «إذ رُفِع لي سوادٌ عظيم فظننتُ أنهم أمتـي، فقيـل لي: هـذا موسـى وقومُه»، فيه: فضيلةُ أتباع موسى من بني إسرائيل[٢]. ممن آمن منهم بالرسـل والكُتب التي أنزلها الله: التوراة، والإنجيل، والزَّبور، والفُرقان، وغيرها.

وكانت بنو إسرائيـل قبـل التفرُّق كثيرين وفـيهم الأنبيـاء، ثـم بعـد ذلـك [١١/ب] حدَث / ما حدث مِن اليهود.

وهذا الحديث: يدلّ على أنّ التـابع لموسـى عليـه الـسلام كثـيرون جـدًّا؛ وقد قال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الجاثية: ١٦]، أي: في زمانهم؛ وذلـك أنَّ في زمـانهم وقبلـه ممـن كفـر بـالله خلقًـا لا يُحـصيهم إلا الله[٣]: كحـزب جَـالوت[٤]، وبُخْـتَ نَـصَّر[٥]، وأمثـالهم. ففـضّل الله بنـي إسرائيـل

(١) (ط): فإنهم.

(٢) المسألة العاشرة.

(٣) (ط): لا يحْصون.

(٤) جَالوت: أمير العمالقة، كان يهزم الجيوشَ وحـده، فيما روي. ويقـال: إنّ البربـر مـن نسله. قتله داودُ عليه السلام بمقلاع. ينظـر: القُرطبي، التفسير ٤/ ٢٤٧، وابـن كثير، البداية والنهاية ٢/ ٢٩٧.

(٥) بُختُ نَصَّر: قائد بابلي، قاتل مع سنحاريب، ثـم بعثه ملكُ الفُرس للانتقـام مـن بنـي =

بالإيمان، فصاروا أفضلَ أهل زمانهم، وحدَث فيهم ما ذكر الله في سورة البقرة وغيرها: مِن معصيتهم لأنبيائهم، واختلافهم في دينهم. وقد ذكره الله تعالى محُتجًا به على اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ، فتدبّر ما ذكره الله من أحوالهم بعد الاختلاف.

قولُه: « ثم نَظَرْتُ[١] فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ» وفي رواية: قد سَدَّ الأُفُق «فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ» ففيه[٢]: فضيلةُ هذه الأمة، وأنهم أكثر الأمم تابعًا لنبيهم ﷺ. وقد كثُروا في عهد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وفي وقت الخُلفاء الراشدين وبعدَهم[٣]، فملأوا القُرى والأمصار والقِفار وكثُر فيهم العلم، واجتمعت لهم الفُنون في العلوم النافعة.

فمازالت هذه الأمة على السُّنة في القُرون الثلاثة المُفضَّلة، وقد قلُّوا في آخر الزَّمان.

قال شيخُنا رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في مسائله: وفيه فضيلةُ هذه الأمة بالكمية والكيفية[٤]. فالكميةُ: كثرةُ العدد. والكيفية: فضيلتهم في صفاتهم؛ كما في هذا الحديث بقوله: «**ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا**

= إسرائيل. فقتلهم، وهدم بيت المقدس. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٢/ ٣٦٤.

(١) (ط): وكتاب التوحيد، ومصادر التخريج: فنظرت.

(٢) (ط): فيه.

(٣) (ط): ومن بعدهم.

(٤) المسألة التاسعة.

عذاب».

قولُه: «ثم نهضَ فدخل منزلَه فخاض الناسُ في أولئك» أي: الحاضرون له في ذكر[1] هذا الحديث.

وفيه أيضًا: فضلُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مذاكرتهم العلم، وحرصهم على فهم ما حدَّثهم به نبيُّهم ﷺ؛ حرصًا على العمل به.

وفيه: جوازُ الاجتهاد فيما لم يكن فيه دليل؛ لأنهم قالوا ما قالوا باجتهادهم، ولم يُنكر ﷺ ذلك عليهم. لكن المجتهد إذا لم يكن معه دليلٌ، لا يجوز له أن يجزم بصواب نفسه، بل يقُل[2]: لعلّ الحكم كذا وكذا، كقول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في هذا الحديث.

قولُه: (فخرجَ عليهِم رسولُ الله ﷺ فأخبَرُوهُ. فقال: «هم الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُون، ولا يتطَيَّرُونَ، وعلى رَبِّهِمْ يتوكَّلُونَ») / [١٢/أ] أي: لا يطلبون الرُّقية مِن أحد، ولا يكتوون إذا كان فيهم ما يُستشفى[3] بالكي منه، ولا يتطيَّرون، والطيرةُ شرك.

فتركوا الشركَ رأسًا، ولم يُنزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه[4] الرقية فما فوقها. وتركوا الكيّ، وإنْ كان يُراد للشفاء.

والحاملُ لهم على ذلك: قوةُ توكلهم على الله وتفويضُهم أمورهم إليه،

---

(١) (ط): الحاضرون في ذكرهم.

(٢) (ط): يُقال.

(٣) (ط): يُشتفى.

(٤) (ط): فيسألوه.

وأنْ لا تتعلّق قلوبُهم بشيءٍ سواه في ضمن ما دبَّره وقضاه. فلا يرغبون إلا إلى ربِّهم، ولا يَرهبون إلا منه(١). ويعتقدون أنّ ما أصابهم بقدره واختياره لهم، فلا يفزعون إلا إليه وحده في كشف ضرهم؛ قال تعالى عن يَعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

قولُه: (فقام عُكَّاشة بن محِصن) صحابيٌّ مشهور، شهد بدرًا والمشاهدَ كلَّها مع النبي ﷺ، وهو مِن بني أسد بن خُزيمة. قتله طُليحةُ بن خويلد شهيدًا، وكان قد سار مع خالد بن الوليد لقتال أهل الردّة فقاتل بني أسد لردتهم عن الإسلام، وكان فيهم طليحةُ وقد ادّعى النبوة وصدَّقوه، فأكرم الله عكاشة على يده لما كان كافرًا. ثم بعد ذلك هداه الله إلى الإسلام، وجاهد الفُرس مع سعد بن أبي وقاص وصار له في الفُرس وقائعُ معروفة في السِّير، وكان ممن استُشهد في قتالهم في وقعة الجِسر(٢) المشهورة.

قولُه: (فقال: يا رسول الله: ادعُ الله أن يجعلني منهم) فيه: أنّ شفاعة الحي لمن سأله الدعاء إنّما كانت بدعائه، وبعد الموت قد تعذَّر ذلك بأمورٍ لا تخفى على مَن له بصيرة.

---

(١) (ط): سواه.

(٢) (ط): الحيرة. تحريف. ومعركةُ جِسر الفُرات، كانت سنة ثلاث عشرة بين المسلمين والفرس، في أرض الحيرة قُرب الكوفة، وكانت النكاية على المسلمين. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ١٢٦/ الخلفاء. وينظر في ترجمة عكاشة: ابن حجر، الإصابة ٧/ ٢٢٤، وفي ترجمة طليحة: ابن حجر، المصدر السابق ٥/ ٤٣٨، وفيه: ويقال: إنه استُشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين. ولم يُذكر غير ذلك.

فمَن سأل ميتًا أو غائبًا فقد سأله ما لا يقدر عليه إلا الله[١]. وكل مَن سأل أحدًا ما لا يقدر عليه إلا الله فقد جعله ندًّا لله تعالى؛ كما كان المشركون كذلك، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢] أنَّه ربكم وخالقُكم ومَن قبلكم، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنة، فلا ترغبوا عنه إلى غيره بل أخلصوا له العبادةَ بجميع أنواعها فيما تطلبونه من قليل أو كثير.

قولُه: «أنت منهم» لمّا كان يعلمه ﷺ من إيمانه وفضله وجهاده؛ كما في الحديث «لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم»[٢].

[١٢/ب] قولُه: (ثم قامَ رجلٌ آخر، فقال: ادعُ اللهَ أنْ يجعلني مِنهم/ . فقال: «سبقك بها عُكاشة») والظاهرُ: أنه أراد صلواتُ الله وسلامه عليه سدَّ الذريعة؛ لئلا يتتابع الناس بسؤال ذلك، فيسأله من ليس أهلًا له. وذلك منه ﷺ تعريضٌ كما لا يخفى[٣].



(١) (ط): فقد سأل ما لا يقدر عليه.

(٢) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٣٩٨٣، ٤٨٩٠، ومسلم، في الصحيح، رقم ٢٤٩٤، وأحمد، في المسند ١/ ٨٠ من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) المسألة الحادية والعشرون.

(٣)

بـــابُ

الخوفِ من الشِّرك

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ الخوفِ من الشِّرك، وقولِ الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

ت: قال النَّووي: أمَّا دخولُ المُشرك النار فهو على عُمومه، فيدخلها ويخلُد فيها. ولا فرق بين الكتابي ـ اليهودي[١] والنصراني ـ وبين عَبدة الأوثان وسائر الكفرة. ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عِنادًا وغيره، ولا بين مَن خالف ملّة الإسلام وبين مَن انتسب إليها ثم حُكم بكفره بجحده وغير ذلك.

وأمّا دخولُ مَن مات غير مُشرك الجنة فهو مقطوعٌ به، لكن إنْ لم يكن [٢]صاحب كبيرة مُصرًّا عليها دخل الجنة أوّلًا، وإنْ كان[٢] صاحب كبيرة مُصرًّا عليها ومات على ذلك فهو تحت المشيئة: فإنْ عُفي عنه دخل الجنة أوّلًا، وإلا عُذِّب في النار ثم أُخرج منها وأُدخل الجنة. انتهى[٣].

---

(١) في جميع النسخ: واليهودي. والمثبت من المنهاج.

(٢) ما بينهما ساقط من (ط).

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم ٢/ ٩٧.

قلتُ: هذا هو(١) قولُ أهل السنة والجماعة، لا اختلاف بينهم في ذلك. وهذه الآية مِن أعظم ما يُوجب الخوفَ مِن الشرك؛ لأن الله تعالى قطع المغفرة عن المُشرك وأوجب له الخلودَ في النار، وأطلق ولم يُقيّد.

ثم قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فخصَّص وقيد فيما دون الشرك، فهذا الذنبُ الذي هذا شأنُه: لا يأمن أنْ يقع فيه فلا يُرجى له معه نجاة، إنْ لم يتب منه قبل الوفاة.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال الخليلُ عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وفي الحديثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عليْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» فَسُئِلَ عنه. فقالَ: «الرِّيَاءُ»(٢).

ش: قولُه: (وقال الخليلُ عليه السلام) أي: إبراهيم، خليلُ الرحمن. والخُلَّةُ: أخصُّ من المحبة(٣)؛ ولهذا اختص بها الخليل(٤) إبراهيم و محمد عليهما السلام.

---

(١) (ط): هو. ساقطة.

(٢) أخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٤٢٨، ٤٢٩، والطبراني، في المعجم الكبير، رقم ٤٣٠١، والبيهقي، في السنن الكبرى ٢/ ٢٩٠ بإسناد جيّد، كما قال المُنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٦٩، والهيثمي، في مجمع الزوائد ١/ ١٠٢، وابن حجر، في بلوغ المرام ٣٠٢.

(٣) عُلِّق في هامش الأصل ما نصه: مُراد شيخنا ؒ: أنَّ الخُلة أخص من المحبة من جهة أصحابها، وأما من جهة نفسها فهي أعم من المحبة؛ لأن كل خليل فهو محب، ولا يُقال: إن كل محب خليل. فتأمل. أملاه شيخُنا حمد بن عتيق.

(٤) (ص): الخليلين. (ط): الخليلان.

﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ وهذا أيضًا يُخيف العبد؛ فإذا كان الخليلُ إمام الحُنفاء الذي جعله الله أمةً وحده وابتلاه بكلمات فأتمّهن، وقال ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧] وأُمر بذبح ولده فامتثل أمرَ ربِّه، وكسّر الأصنام، واشتد نكيرُه على أهل الشرك. ومع ذلك: يخاف أنْ يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام؛ لعلمه أنّه لا يصرفه عنه إلا الله، بهدايته وتوفيقه لا بحوله[١] وقوّته.

وما أحسنَ ما قال إبراهيمُ التيمي[٢]: ومَن يأمنُ البلاء بعد إبراهيم[٣]. فهذا أمرٌ لا يُؤمَنُ الوقوع فيه؛ وقد وقع فيه الأذكياءُ مِن هذه الأمة بعد القرون المُفضّلة، فاتخذت الأوثان / وعُبدت. فالذي خافه الخليلُ عليه السلام [١٣/أ] على نفسه وبَنيه وقع فيه أكثرُ الأمة بعد القرون المفضّلة: فبُنيت المساجدُ والمشاهد على القبور، وصُرفت لها العبادات بأنواعها، واتخذ ذلك دينًا.

وهي أوثان وأصنام، كأصنام قوم نوح: كاللّات[٤]، والعُزّى، ومَناة وأصنام العرب وغيرهم. فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهل الجاهلية، مِن مُشركي العرب وغيرهم. بل وقع ما هو أعظم من الشرك في

---

(١) (ط): لا بحوله هو.

(٢) إبراهيم بن يزيد بن شَريك التيمي، أبو أسماء الكوفي العابد، ثقةٌ إلا أنه يُرسل ويدلّس، من الخامسة. مات سنة ١٩٢هـ، وله أربعون سنة. ابن حجر، التقريب ١١٨.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري، في التفسير ١٣/ ٦٨٧.

(٤) (ط): واللات.

الإلهية، مِن شركهم[١] في الربوبية مما يطول عَدّه.

فذكر عليه السلام السبَب الذي أوجب له الخوف عليه وعلى ذُرِّيَّته؛ بقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقد ضلّت الأممُ بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده. فمَن تدبّر القرآن: عَرف أحوال الخلق، وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورُسله بالنهي عنه، والوعيد على فعله، والثواب على تركه.

وقد هَلك من هلك بإعراضه عن القرآن، وجهلِه بما أمر الله به ونهى عنه. نسأل الله الثبات على الإسلام، والاستقامةَ على ذلك إلى أن نلقى الله على التوحيد. إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قُوّة إلا بالله العظيم.

وقولُه[٢]: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨] ردّ أمرَهم إلى الله كما رد عيسى، عليهما السلام[٣].

وقد بيّن اللهُ تعالى فيما أنزله على نبيّه محمد ﷺ حُكمه في أهل الشرك بأنه لا يغفره لهم، فلا مُعارضة. وقد بيّن حُكمَه فيهم في هذا الكتاب العزيز الذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقولُه ﷺ في الحديث لأصحابه: «أَخوفُ ما أَخافُ عليْكُمُ الشِّركُ

---

(١) في الإلهية، من شركهم. ليست في (ط).

(٢) (ط): وقال تعالى.

(٣) (ط): رد عليه السلام.

الأصغر» فسُئِلَ عنه. فقال: «الرِّيَاءُ».

وهذا الحديث: رواه الإمامُ أحمد، والطبراني، والبيهقي، عن محمود بن لَبيد.

فإذا كان يخافُه على أصحابه: الذين وحّدوا الله بالعبادة، ورغِبوا إليه وإلى ما أمرهم به من طاعته، فهاجروا وجاهدوا مَن كَفر به، وعرفوا ما دعاهم إليه نبيُّهم، وما أنزله الله في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشرك. فكيف لا يخاف ـ مَن لا نِسبة له إليهم في علم ولا عمل ـ مما هو أكبر مِن ذلك؛ وقد أخبر ﷺ عن أُمته بوقوع الشرك الأكبر فيهم، بقوله في حديث ثوبان[1] الآتي إنْ شاء الله[2] / «**حتَّى يَلحق قبائل من أمتي بالمُشْركين، وحتّى تَعبد فئام من أمتي الأوثان**»[3]. [١٣/ب]

وقد جرى ما أخبر به ﷺ، وعمَّت به البلوى في أكثر الأقطار، حتى اتخذوه دينًا مع ظُهور الآيات المُحكمات، والأحاديث الصحيحة في النهي عنه والتخويف منه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

---

(١) الأصل و (ص): بُريدة. تحريف.

(٢) (ط): ذكره.

(٣) يأتي في الباب رقم ٢٢.

وهذا هو تحقيقُ التوحيد، كما تقدّم في الباب قبله؛ قال تعالى محذّرًا لعباده[١] مِن الشرك ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]. ومَن لا[٢] تخوّفه هذه الآيات وتزجره عن الشرك في العبادة إذا تدبّرها فلا حيلة فيه!.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن ابن مسعود، أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَن مات وهو يدعو لله ندًّا دخل النار»، رواه البخاري[٣].

ت: وهذا الحديث: فيه التحذيرُ من الشرك أيضًا، والتخويفُ منه. والنِّد: المِثل، والشبيه. فمن دَعا ميتًا أو غائبًا، وأقبل إليه بوجهه وقلبه رغبةً إليه أو رهبةً[٤] ـ سواء سأله أو سأل به[٥] ـ: فهذا هو الشركُ الذي لا يغفره الله؛ ولهذا حرّم الله تعالى اتخاذ الشفعاء، وأنكر[٦] على مَن فعل ذلك أشد الإنكار، لكونه يُنافي الإخلاص الذي هو إقبال القلب والوجه على الله في كل ما يَخافه العبد ويرجوه ويتقرَّب به ويَدين به.

ومِن المعلوم: أنّه إذا التفت إلى الشفيع[٧] يسأله، فقد أعرض بوجهه

(١) (ط): ثم قال تعالى محذرًا عباده.

(٢) (ط): لم.

(٣) البخاري، في الصحيح، رقم ٤٤٩٧، وأخرجه مسلم، في الصحيح، رقم ٩٢، وأحمد، في المسند ١/ ٤٦٢، ٤٦٤.

(٤) (ط): ورهبة منه.

(٥) (ط): أو لم يسأله.

(٦) (ط): وأنكره.

(٧) (ط): للشفيع.

وقلبه عن الله تعالى إلى غيره[١]، وذلك يُنافي الإخلاص. ويأتي بيانُ ذلك في باب الشفاعة إنْ شاء الله تعالى.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولمسْلِمٍ، عن جابرٍ، أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: «مَن لَقِيَ اللهَ لا يُشركُ به شيئًا دخل الجنة، ومن لَقِيهُ يُشركُ به شَيئًا دخل النَّارَ»[٢].

ش: فقولُه[٣]: «مَن لقي الله لا يُشْرك به شيئًا»، هذا هو الإخلاص، كما تقدم.

وقولُه: «ومَن لقيه يُشرك به شيئًا دخل النار» هذا هو الشرك، فمن لقي الله بالشرك دخل النار قلَّ أو كثر.

أمَّا الشركُ الأكبر: فلا عمل معه، ويُوجب الخلود في النار؛ كما تقدم في معنى الآيات. وأما الأصغر: كيسير الرياء، وقول الرجل ما شاء الله وشئت، وقولِه: ما لي إلا الله وأنت، ونحو ذلك. فهذا / لا يكفر إلا برُجحان الحسنات بالسيئات[٤]. [١٤/أ]

قال بعضُ العلماء: اقتصر على نفي الشرك؛ لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم. إذ مَن كذّب رُسل الله فقد كذّب الله، ومن

---

(١) (ط): إلى غيره. ساقطة.

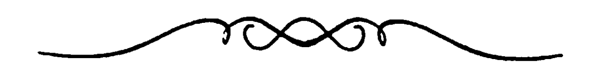
(٢) مسلم، في الصحيح، رقم ٩٣، وأخرجه أحمد، في المسند ٣/ ٣٢٥، ٣٤٥، ٣٧٤.

(٣) (ط): قوله.

(٤) (ط): السيئات بالحسنات.

كذب الله فهو مشرك.

فالمُراد: مَن مات حال كونه مؤمنًا بجميع ما يجب الإيمانُ به إجمالًا في الإجمالي وتفصيلًا في التفصيلي[1]. انتهى[2].



(١) (ط): التفصيل.

(٢) سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد ١٢٢.

(٤)

بــــابُ

الدُّعاء إلى شهادةِ أنْ لا إله إلا الله

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ الدُّعاء إلى شهادةِ أنْ لا إله إلا الله، وقولِ الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

ت: قال أبو جعفر بن جرير: يقول تعالى ذِكرُه لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدّعوةُ التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها: مِن الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاصِ العبادة له دُون الآلهة والأوثان، والانتهاءِ إلى طاعته وترك معصيته ﴿سَبِيلِىٓ﴾ وطريقتي ودعوتي ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ وحدَه لا شريك له ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك ويقين وَعلم[1] مني به ﴿أَنَا۠ وَ﴾ يدعو إليه على بصيرة أيضا ﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ وصدّقني وآمن بي ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يقول تعالى ذِكرُه: وقل تنزيهاً لله وتعظيماً له مِن أنْ يكون له شريكٌ في مُلكه، أو معبودٌ سواه في سُلطانه ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ يقول: وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم مني. انتهى[2].

---

(١) (ط): ويقين علم.

(٢) ابن جرير الطبري، التفسير ١٣/ ٣٧٨.

وهذه الآية: تدلّ على أنَّ أتباعه هم أهلُ البصائر، الدّاعين[١] إلى الله تعالى.

ومَن ليس منهم فليس مِن أتباعه على الحقيقة والمُوافقة، وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى. قاله العلامةُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى[٢].

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد: ٣٦]. وما زال النبيُّ ﷺ وأصحابُه يدعون إلى ما أمر الله به من الدَّعوة إلى توحيده في العِبادة، والنهي عن الشِّرك به، و يجُاهدون على ذلك. والآياتُ في الأمر بذلك كثيرةٌ جداً؛[٣] كقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[٣] [فصلت: ٣٣].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعنِ ابنِ عباسٍ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا بعث معاذًا إلى اليمنِ، قال له: «إنك تأتي قومًا منْ أهلِ الكتابِ، فَليكُنْ أَوَّلَ ما تدعوهُم إليْهِ شهادةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ــ وفي روايةٍ: إلى أنْ يُوحِّدُوا اللهَ ــ فإنْ هم أطاعوكَ لذلكَ؛ فأَعْلمْهمْ أَنَّ اللهَ افْترضَ عليهِمْ خمسَ صلواتٍ في كُلِّ يوم وليلَةٍ، فإنْ همْ أطاعوكَ لذلكَ، فأعلمْهمْ أَنَّ اللهَ افترضَ عليْهمْ صدقةً تؤخَذُ منْ أغنيائهِمْ فترَدُّ على فقرائهِمْ، فإنْ هم أطاعوك لذلكَ، فإِيَّاكَ وكرائمَ أموالهِمْ، واتَّقِ دَعوةَ المَظْلومِ؛ فَإِنَّه ليسَ بينها وبينَ الله

(١) (ط): الداعون.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ٢/ ٤٨٢.

(٣) ما بينهما ليس في (ط).

حِجابٌ». أخرجاه[١].

ت:[٢] قولُه (وعن ابن عباس) أي: عبد الله بن عباس(٢). وأهلُ الكتاب/ المذكورون في هذا الحديث: مَن كان في اليمن من اليهود [١٤/ب] والنصارى إذ ذاك.

قولُه: «فليكنْ أوَّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أنْ لاَ إله إلاَّ اللهُ» وكانوا يقولونها، لكنهم جهِلوا معناها الذي دلّت عليه: مِن إخلاص العبادة لله وحده، وتركِ عبادة مَن[٣] سواه. فكان قولُهم: لا إله إلا الله. لا ينفعهم؛ لجهلهم بمعنى هذه الكلمة، كحال أكثر المتأخِّرين من هذه الأمة. فإنّهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه: مِن الشرك بعبادة الأموات، والغائبين، والطواغيت والمشاهد. فيأتون بما يُنافيها، فيُثبتون ما نفتْه من الشرك - باعتقادهم وقولهم وفعلهم - ويَنفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك.

وظنوا أنَّ معناها القُدرةُ على الاختراع؛ تقليداً للمتكلِّمين مِن الأشاعرة وغيرهم. وهذا هو توحيدُ الربوبية، الذي أقرّ به المُشركون[٤]؛ كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، وقوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) البخاري، في الصحيح، رقم ١٤٥٨، ومسلم، في الصحيح، رقم ١٩، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٢٣٣.

(٢) ما بينهما ليس في (ط).

(٣) (ص) (ط): ما.

(٤) (ط): زيادة: فلم يدخلهم في الإسلام.

وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ إلى قوله ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾ [يونس: ٣١]. وأمثالُ هذه الآيات في القرآن كثيرة.

وهذا التوحيدُ: قد أقرّ به مُشركوا الأمم، وأقرّ به أهلُ الجاهلية الذين بُعث فيهم محمد ﷺ فلم يُدخلهم في الإسلام؛ لأنهم قد جَحدوا ما دلّت عليه هذه الكلمة مِن توحيد الإلهية، وهو إخلاص العبادة ونفي الشرك والبراءة منه؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾ [آل عمران: ٦٤].

فهذا التوحيد: هو أصل الإسلام، وقال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤٣]، وقال: (١)﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ﴾ الآية [الرعد: ٣٦]، وقال تعالى(١): ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ۚ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)﴾ [غافر: ١٢]، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ﴾ [الزمر: ٢-٣].

وأمثالُ هذه الآيات ــ في بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأنزلت(٢) به الكتب ـ في القرآن كثير. وسنذكر بعضَ / [١٥/أ] ذلك إن شاء الله في

(١) ما بينهما ليس في (ط).

(٢) (ط): ونزلت.

هذا التعليق.

قولُه: «فليكن أوَّلَ» منصوبٌ على أنه خبر يكن مقدّم و «شهادةُ» اسمُها مؤخَّر، و يجوز العكس. وفيه دليلٌ على أنَّ توحيد العبادة هو أوّلُ واجب[١]؛ لأنه هو[٢] أساسُ الملَّة وأصلُ دين الإسلام.

وأمّا قولُ المتكلمين ومَن تبعهم: إنّ أول واجب معرفةُ الله بالنظر والاستدلال. فذلك أمرٌ فِطري، فطرَ الله عليه عباده؛ ولهذا كان مُفتتح دعوة الرسل أممهم إلى توحيد العبادة ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢] ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢].

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

قال العِماد بن كثير: هذا يحتمل شيئين: أحدُهما: أفي وجوده شك؟ فإنَّ الفِطر شاهدةٌ بوجوده و مجبولةٌ على الإقرار به؛ فإنَّ الاعتراف به ضروري في الفِطر السليمة. والمعنى الثاني: أفي إلهيته وتفرُّده بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات. فلا يستحقُّ العبادة إلا هو وحدَه لا شريك له؛ فإنَّ غالب الأمم كانت مقرَّةً بالصانع ولكن تعبد معه

---

(١) المسألة السابعة.

(٢) (ط): هو. ساقطة.

غيره من الوسائط التي يظنونها[١] تنفعهم أو تقربهم من الله زُلفى. انتهى[٢].

قلتُ: وهذا الاحتمالُ الثاني يتَضمَّن الأول؛ وروى أبو جعفر بن جرير بسنده، عن عكرمة و مجُاهد وعامر، أنَّهم قالوا: ليس أحدٌ إلا وهو يعلم أنَّ الله خلقه وخلق السموات والأرض، فهذا إيمانهم[٣].

وعن عكرمة أيضاً، تسألهُم: مَن خلقهم[٤] وخلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله؛ فذلك إيمانهم وهم يَعبُدون غيره[٥].

وقد[٦] تقدّم: أنّ لا إله إلا الله قد قُيِّدت في الكتاب[٧] والسنة بقيودٍ ثقال، منها: العلم، واليقين، والإخلاص، والصدق، والمحبّة، والقبول، والانقياد، والكُفر بما يُعبد من دون الله. فإذا[٨] اجتمعت هذه القيودُ لمن قالها نفعته هذه الكلمة، وإنْ لم تجتمع هذه لم تنفعه. والناسُ متفاوتون في العلم بها والعمل: فمنهم مَن ينفعه قولهُا، ومنهم مَن لا ينفعه كما لا يخفى.

قولُه: «فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمْهم أنّ الله افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ» فيه دليلٌ على أنَّ المشرك لا يطالَبُ بفعل

---

(١) (ط): يظنون أنها.

(٢) ابن كثير، التفسير ٨/ ١٨٣.

(٣) ابن جرير الطبري، التفسير ١٣/ ٣٧٥.

(٤) خلقهم و. ليست في (ط).

(٥) ابن جرير الطبري، التفسير ١٣/ ٣٧٣.

(٦) (ط): قد. ساقطة.

(٧) (ط): بالكتاب.

(٨) (ص): فإن.

الصلاة/ إلا إذا أسلم بتركه الشرك باطناً وظاهراً؛ لأن الإسلام شرطٌ لصحة [١٥/ب] العبادة.

كما قال النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما معناه: إنَّه يدل على أنَّ المُطالبة بالفرائض لا يكون[١] إلا بعد الإسلام، ولا يلزم من ذلك أنْ لا يكونوا مخُاطبين بها، ويُزاد في عذابهم في الآخرة. والصحيح: أنَّ الكفار مخُاطبون بفروع الشريعة، المأمور به والمنهي عنه، وهذا قولُ الأكثرين. انتهى[٢].

وقوله: «فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمْهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً تُؤخذ مِن أغنيائهم فتُردُّ على فقرائهم».

فيه: أنَّ الزكاة لا تنفع إلا مَن وحّد الله، وصلّى الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وواجباتها. والزكاةُ قرينة الصلاة في كتاب الله؛ ويدل على هذه الجُملة قولُه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥]، و[٣] قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٥].

وعن[٤] أنس في الآية، قال: توبتُهم خلع الأوثان وعبادةُ ربهم، وإقام

---

(١) (ط): في الدنيا لا تكون.

(٢) النووي، المنهاج ١/ ١٩٨، وهذا هو المذهب عند الحنابلة، خلافاً للحنفية. ينظر: المرداوي، التحبير ٣/ ١١٤٤.

(٣) (ط): و. ساقطة.

(٤) (ط): قال.

الصلاة وإيتاء الزكاة[١]. وعن ابن مسعود، مرفوعاً: «أُمرتُ بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومَن لم يُزكِّ فلا صلاةَ له»[٢]، وقال ابنُ زيد: أبى اللهُ أنْ يقبَل الصلاة إلا بالزَّكاة[٣].

[٤]فمن أتى بهذه الأمور أتى ببقية الأركان لزوماً؛ لأن ذلك يقتضي الإتيان بها لقوة الداعي إلى ذلك[٤].

قوله: «فإيَّاك وكرائمَ أموالهم» تحذيرٌ له من أنْ يتجاوز ما شرعه الله ورسولُه في الزكاة، وهو أخذها من أوساط المال؛ لأن ذلك سببٌ لإخراجها بطيب نفسٍ ونيّة صحيحة، وكل ما زاد على المشروع فلا خير فيه. وهذا أصلٌ ينبغي التفطّن له. وفيه: بيان مصرف الزكاة[٥].

قولُه: «واتق دعوةَ المظلوم» يدل على أنَّ العامل إذا زاد على المشروع صار ظالماً لمن أخذ ذلك منه. ودعوةُ المظلوم مقبولة، ليس بينها وبين الله حجابٌ يمنع قبولها. وفيه: التحذيرُ من الظلم مُطلقاً. فعلى العامل أنْ يتحرَّى

---

(١) أخرجه ابن ماجه، في السنن، رقم ٥٨، والمروزي، في تعظيم قدر الصلاة، رقم ١، وابن جرير، في التفسير ١١/ ٣٤٤، وابن أبي حاتم، في التفسير ٦/ ١٧٥٣، والحاكم، في المستدرك ٢/ ٣٣١، قال البوصيري، في مصباح الزجاجة ١/ ٥٦: هذا إسنادٌ ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني، في الكبير، كما في مجمع الزوائد ٣/ ٦٢ وقال: وله إسنادٌ صحيح.

(٣) أخرجه الطبري، في التفسير ١١/ ٣٦٢، وابن زيد، هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم، ضعيف من الثامنة. مات سنة ١٨٢هـ. ابن حجر، التقريب ٥٨٧.

(٤) ما بينهما في (ط) قُدِّم على هذا الموضع، مع تقديم وتأخير في الألفاظ.

(٥) المسألة الثالثة عشرة.

العدل فيما استُعمل فيه، فلا يظلم بأخذ زيادة على الحق ولا يُحابي بترك شيء منه، فعليه أنْ يقصد العدلَ من الطرفين. والله أعلم.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهما، عن سهلِ بن سعدٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلاً يُحبُّ اللهَ ورسوله، ويحبُّهُ اللهُ ورسُولُهُ، يَفتحُ اللهُ على يدَيْهِ». فبات النَّاس يَدُوكُونَ ليلتهُمْ، أيُّهُمْ يُعْطاها. فلمَّا أصبحُوا غَدَوْا على رسُولِ الله ﷺ، كلُّهمْ يرجُو أنْ يُعْطاها، فقال: «أين عليُّ بن أبي طالب؟». فقيل: هو يَشْتكِي عينَيْه، فأرسل إليه فأُتيَ به، فبصق في عينَيه ودعا له فبرأ، كأنْ لمْ يكنْ به وجعٌ، فأعْطاهُ الرايةَ. فقال: «انفُذْ على رِسْلِكَ حتَّى تنزلَ بساحتهمْ، ثم ادعُهمْ إلى الإسلامِ، وأخبرهمْ بما يجبُ عليهمْ مِنْ حقِّ الله تعالى فيه، فوالله لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بكَ رجلاً واحدًا خيرٌ لك مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»(١).

يَدُوكُونَ. أي: يخوضُون.

ت: قولُه: (عن سَهل بن سعد) أي: ابن مالك بن خالد الأنصاري الخَزرجي الساعدي، أبو العبَّاس. صحابي شهير، وأبوه صحابيٌّ أيضاً. مات سنة ثمانٍ وثمانين، وقد جاوز المائة(٢).

---

(١) البخاري، في الصحيح، رقم ٣٧٠١، ومسلم، في الصحيح، رقم ٢٤٠٦، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٣٣٣.

(٢) ينظر: ترجمته، ابن حجر، الإصابة ٤/ ٥٠٠، وفيه: مات سنة إحدى وتسعين. وقيل قبل ذلك.

قولُـه: (قال يوم خيبر: «لأعطينَّ الرَّاية غدًا رجلاً يُحبُّ الله ورسولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ، يفتحُ اللهُ على يديه» الحديثُ. فيه: البشارةُ بالفتح، وهو عَلم من أعلام النبوة. فقد[1] وقع كما أخبر[2] ﷺ.

[١٦/أ] قوله: «يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبه اللهُ ورسولُه» / قال شيخُ الإسلام: ليس هذا الوصف مختصاً بعليّ ولا بالأئمة؛ فإنَّ الله ورسوله يُحب كلَّ مؤمن تقي يُحب الله ورسوله. لكن هذا الحديث مِن أحسن ما يُحتجُّ به على النواصب، الذين لا يتولَّونه أو يكفِّرونه أو يفسِّقونه كالخورج. لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرَّافضة الذين يجعلون النصوصَ الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردَّتهم؛ فإنَّ الخوراج تقول في علي مثلَ ذلك. لكن هذا باطل؛ فإن الله ورسوله لا يُطلِق مثل هذا المدح على مَن يعلم الله أنَّه يموت كافراً[3].

وفيه: إثباتُ صفة المحبة خلافاً للجهمية[4]، وفيه: فضيلةٌ أخرى لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بما خصَّه به من إعطائه[5] الراية ودعوتِه أهل خيبر إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا[6]. وقد جرى له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قتالهم كراماتٌ مذكورة في السير والمغازي، وفيه: مشروعيةُ الدعوة إلى الإسلام الذي أساسُه

(١) (ط): وقد.

(٢) (ط): أخبر رسول الله. وينظر: المسألة التاسعة عشرة.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ٧/ ٣٦٦.

(٤) (ط): المحبة لله خلافاً للجهمية ومن أخذ عنهم.

(٥) (ط): إعطاء.

(٦) ينظر: المسألة الحادية والعشرون.

شهادة أن لا إله إلا الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] الآية.

[(١)]وقولُه: (فقال: «أين عليُّ بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه الإيمانُ بالقدر، لحصولها لمن لم يسع ومنعها عمَّن سعى[(٢)].

قولُه[(٣)]: (يشتكي عينيه) أي: من الرَّمَد؛ كما في صحيح مسلم: فأُتي به أرمَد[(٤)]. الحديث[(٣)].

قولُه: (فأرسل إليه) أي: النبيُّ ﷺ أرسل إليه من يأتيه به، وفي صحيح مسلم: أنَّ الذي جاء به سعدُ بن أبي وقَّاص[(٤)]. وفي رواية[(٥)]، عن إياس بن سلمة، عن أبيه: أنَّ الذي جاء به سَلمة.

قولُه: (فبصَق في عينيه) أي: تفل. قولُه: (ودعا له فبَرأ). هو: بفتح الراء والهمزة، أي: عُوفي في الحال عافية كاملة؛ وذلك بدعوة النبي ﷺ كما في

---

(١) الأصل و (ص) من هنا مُؤخّر عن هذا الموضع. والترتيب يقتضي تقديمه.

(٢) المسألة الثالثة والعشرون.

(٣) ما بينهما ساقطٌ من (ص) و (ط)، ومعلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٤) مسلم في الصحيح، رقم ٢٤٠٤. والرَّمَد: داءٌ يصيب العين. ينظر: الزَّبيدي، تاج العروس ٨/ ١١٦.

(٥) (ط): في رواية. ساقط. والرواية: عند أحمد، في المسند ٤/ ٥١، ٥٢، وفضائل الصحابة، رقم ١٠٣٦.

الحديث. فدعا له[١]. فاستُجيب له عليه السلام. وفيه: عَلَمٌ من أعلام النبوة أيضاً[٢]، وذلك كله بالله ومن الله وحده، وهو الذي لا يملك الضر والنفع والعطاء والمنع إلا هو[٣]، لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

قوله: «انْفُذ على رسلك»[٤] أمرَه أنْ يسير إليهم بأدب وأناة[٥] «حتى تنزل بساحتهم» الساحةُ هي: ما قرُب من حُصونهم.

قولُه: «ثم ادعُهم إلى الإسلام» هذا هو شاهدُ الترجمة، وهكذا ينبغي لأهل الإسلام: أنْ يكون قصدُهم بجهادهم هدايةَ الخلق إلى الإسلام، والدخول فيه.

وينبغي لوُلاة الأمر: أنْ يكون هذا هو معتمدُهم ومرادهم ونيَّتهم[٦]؛ قال شيخُ الإسلام: دينُ الإسلام الذي ارتضاه اللهُ وبعث به رُسله: هو الاستسلام والخضوع لله بعبادته وحده دون ما سواه[٧].

[١٧/أ] فمن عبدَه وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً / ، ومن استكبر عن عبادته

---

(١) (ط): له. ساقطة.

(٢) المسألة العشرون.

(٣) (ص) (ط): الذي يملك الضر والنفع والعطاء والمنع.

(٤) في (ط) وهامش (ص) زيادة: قوله: انفذ. هو بضم الفاء والهمزة.

(٥) ينظر: المسألة الرابعة والعشرون.

(٦) ينظر: المسألة الثانية.

(٧) (ط): هو الاستسلام لله وحده. فأصله في القلب، والخضوع لله وحده بعبادته دون ما سواه.

لم يكن مسلماً. وأمّا الإيمان: فأصلُه تصديق القلب، وإقراره ومعرفتُه[(١)].

قولُه: «وأخبرهم بما يجب عليهم مِن حقِّ الله تعالى فيه»، مما أمر به وشَرعه من حقوق لا إله إلا الله، وهذا يدلُّ على أنَّ الأعمال من الإيمان. خلافاً للأشاعرة والمرجئة ونحوهم، الذين زعموا أنَّ الإيمان مجرّد[(٢)] التصديق، وتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة؛ لأنَّ الدين ما أُمر به فعلاً وما نُهي عنه تركاً. وفيه: الردُّ على المشركين المُستدلين على الشرك بكرامات الأولياء، لدلالتها على فضلهم.

وأميرُ المؤمنين عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقع له من الكرامات ما لم يقع لغيره، [(٣)]وله من السابقة والجهاد ما ليس لغيره[(٣)]. وقد خدَّ الأخاديدَ وأضرمها بالنار، وقذف فيها مَنْ غلا فيه أو اعتقد فيه بعضَ ما كان يعتقدُه هؤلاء المشركون مع أهل البيت وغيرهم[(٤)]. فصار مِن أشد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بُعداً عن الشرك وشدةً على من أشرك، حتى أحرقهم بالنار.

وكذلك عُمر بن الخطاب مع ما أُعطي من الكرامات، صار مِن أبعد الصحابة عن الشرك وذرائعه.

---

(١) الأصل و (ص) إلى هنا مُؤخَّر عن هذا الموضع. وكلامُ ابن تيمية، في مجموع الفتاوى ٧/ ٢٨٦.

(٢) (ط): والمرجئة في قولهم أنه القول. وزعموا أن الإيمان هو مجرد.

(٣) ما بينهما ليس في (ط).

(٤) أخرجه أبو طاهر المخلِّص بإسناد حسن، كما قال ابن حجر في الفتح ١٢/ ٢٧٠، وأصلُه في صحيح البخاري، رقم ٣٠١٧، ٦٩٢٢، ومسند أحمد ١/ ٢١٧.

وهؤلاء أفضلُ أهل الكرامات، فما زادهم ذلك إلا قوّةً في التوحيد، وشدّةً على أهل الشرك والتنديد؛ كما جرى لعُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الاستسقاء بالعباس[١]، وتعميةِ قبر دَانيال، لمّا وجده الصحابةُ في بيت مال الهُرمزان[٢]. كما أنَّ المعجزات إنما زادت الرسلَ قوة في الدعوة إلى التوحيد، وشدّةً / على أهل الشرك والإنكار عليهم وجهادهم، و[٣] لكن قد يقع من الأحوال الشيطانية ـ لمن استحوذ عليه الشيطانُ فأنساه[٤] ـ ما قد يلتبس على الجهال الذين تلبّسوا بالشرك، ويظنُّون أنَّ ذلك كرامات وهي من مكر الشيطان وإغوائه لمن لم يعرف الحق من الباطل والهُدى من الضلال[٥]؛ وقد قال تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾ [الزخرف: ٤٣]. فكذلك يجب على كلِّ أحدٍ أنْ يطلب الحقَّ من القرآن بتدبره؛ فإنَّه الصراطُ المستقيم. ولا يلتفت إلى ما زخرفته الشياطين، مما[٦] اغتر به من اغتر في هذه الأمة ومَن قبلهم.

[١٠/ب]

(١) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ١٠١٠، ٣٧١٠، وابن حبان، في الصحيح رقم ٢٨٦١ عن أنس بن مالك.

(٢) أخرجه نُعيم، في الفتن، رقم ٣٧، وابن إسحاق، في المغازي، بإسناد صحيح، كما في البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٣٧٦، وكانوا وجدوه بالسوس أو تُستر عام ١٧هـ. ينظر: المصدر السابق ١٠/ ٦٥.

(٣) (ط): و. ساقطة.

(٤) (ط): فأنساه ذكر ربه.

(٥) الهدى من الضلال. ليست في (ط).

(٦) (ط): كما.

قولُه: «وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حق الله تعالى فيه» مِن أداء الفرائض على الوجه الشرعي، والنهيِ عن تعدّي الحدود التي حدّها الله بين الحلال والحرام[١] - والأعمال كلُّها من مسمَّى الإيمان خلافاً للأشاعرة[١] - فالحلالُ ما أحلَّه الله، والحرام ما حرّمه الله، والدين ما شرعه الله.

فإذا أخذ بالإسلام - الذي هو التوحيد والإخلاص - وأحلَّ ما أحله الله وحرَّم ما حرَّمه الله، وأمر بذلك وجاهد عليه، فقد قام بما وجب. وبالله التوفيق.

قوله «فوالله لأن يَهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْر النَّعم»[٢] فيه: جوازُ حَلِف المُفتي على ما أفتى به غيباً[٢]. وحُمر بسكون الميم، وهي[٣]: الإبل الحُمر، وهي أنْفَسُ الأموال عند العرب. وفيه: الترغيبُ في الدعوة إلى الله وطلب الهداية لمن أراد الله هدايته؛ ليحصل للداعي إلى الحق هذه الفضيلة العظيمة بهداية من اهتدى[٤]. فلا ينبغي التفريطُ في هذه المطالب الغالية، وبالله التوفيق.

قولُه (يدوكون. أي: يخوضون). بيّن المصنفُ معنى هذه اللفظة، بأن المراد: خوض السامعين في هذا الخير، وتمنّي حصوله. والله أعلم.

---

(١) ما بينهما في (ط): وذلك من الإيمان.
(٢) ما بينهما في (ط) مقحمٌ في النص، وغيباً ليست في (ط)، وينظر: المسألة الثلاثون.
(٣) (ط): وهي. ساقطة.
(٤) ينظر: المسألة التاسعة والعشرون.

(٥)
بـــابُ
تفسير التوحيد وشهادةِ أن لا إله إلا الله

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ تفسير التوحيد وشهادةِ أن لا إله إلا الله، وقولِ الله تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٧]

ت: قولُه (وشهادةِ أنْ لا إله إلا الله) من عطف الدال على المدلول؛ لأن التوحيد هو معنى هذه الكلمة العظيمة، وذلك يتبيّن بما ساقه من الآيات والحديث، لما فيها من زيادة البيان وكشفِ ما أشكل من ذلك، وإقامة الحُجة على من غالط في معنى لا إله إلا الله من أهل الجهل والإلحاد.

قولُه: (وقولِ الله تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾). أي: أولئك الذين يدعوهم أهلُ الشرك، ممن لا يملك كشفَ الضُّر ولا تحويله من الملائكة والأنبياء والصالحين، كالمسيح وأُمِّه والعُزير[1]. فهؤلاء دينُهم التوحيد، وهو بخلاف دين[2] من دعاهم من دون الله. ووصفهم بقوله ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ / أَقۡرَبُ﴾ فيطلبون [١٧/ب] القُرب من الله بالإخلاص له وطاعته فيما أمر، وتركِ ما نهاهم عنه.

---

(١) أخرجه ابن جرير، في التفسير ١٤/ ٦٣١ عن ابن عباس.

(٢) دين. ليست في (ط).

وأعظمُ القُربات(١): التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورُسله، وأوجب عليهم العملَ به والدعوة إليه. وهو(٢) الذي يُقربهم إلى الله، أي: إلى عفوه ورضاه. ووصف ذلك، بقوله ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ فلا يرجون أحداً سواه تعالى، ولا يخافون غيره. وذلك هو توحيدُه؛ لأن ذلك يمنعهم من الشرك، ويوجب لهم الطَّمعَ في رحمة الله والهربَ من عقابه. والداعي لهم ـ والحالةُ هذه ـ قد عكس الأمر، وطلب منهم: ما كانوا ينكرونه من الشرك في عبادة الله، وبدعائهم(٣) لمن كانوا يدعونه من دون الله. ففيه: معنى قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، وقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٦]. وفيه: الردُّ على من ادَّعى أنَّ شرك المشركين إنما هو بعبادة الأصنام؛ وتبين بهذه الآية: أنَّ الله أنكر على من دعا معه غيرَه من الأنبياء والصالحين والملائكة فمَن(٤) دونهم(٥).

فتدبّر هذه الآيةَ العظيمة: يتبيَّن لك التوحيد، وما يُنافيه من الشرك والتنديد؛ فإنها نزلت فيمن يعبد الملائكةَ والمسيح وأمه والعُزير، فهم المعنيون بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ

---

(١) (ط): القرب.

(٢) (ط): وهذا.

(٣) (ط): ينكرون من الشرك بالله في دعائهم.

(٤) (ط): ومن.

(٥) (ط) زيادة: وأنَّ دعاء الأموات والغائبين لجلب نفعٍ أو دفع ضُرّ من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وأنَّ ذلك يُنافي ما دلّت عليه كلمةُ الإخلاص.

عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ [الإسراء: ٥٦].

ثم بيَّن تعالى: أنّ هؤلاء المُشركين قد خالفوا مَن كانوا يدعونه في دينه، فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ وقدّم المعمول؛ لأنه يُفيد الحصر. يعني: يبتغون إلى ربِّهم الوسيلة لا إلى غيره. وأعظمُ الوسائل[1]: التوحيد الذي بعث اللهُ به أنبياءه ورُسله، وخلق الخلق لأجله. ومن التوسل إليه: التوسلُ بأسمائه وصفاته؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، كما ورد في الآثار المذكورة[2] من التوسل بها في الدعوات، كقوله: «اللهم إني أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام»[3]، وقوله: «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له / كفواً أحد»[4] وغيرِ ذلك من الأعمال الصالحة [١٨/أ] الخالصة، التي لم يَشُبْها شرك.

---

(١) (ص) و (ط) زيادة: إلى الله تعالى.

(٢) (ص) (ط): الأذكار المأثورة.

(٣) أخرجه أبو داود، في السنن، رقم ١٤٩٥ واللفظُ له، والترمذي، في الجامع رقم ٣٥٣٧، وأحمد، في المسند ٣/ ١٢٠، ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥، والحاكم، في المستدرك ١/ ٥٠٣ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه في المختارة رقم ١٨٨٥ من حديث أنس.

(٤) أخرجه أبو داود، في السنن، رقم ١٤٩٣، والترمذي، في الجامع رقم ٣٤٧١، وقال: حديثٌ حسن، وأحمد، في المسند ٥/ ٣٦٠، والحاكم، في المستدرك ١/ ٥٠٤ وصححه ووافقه الذهبي من حديث بُريدة.

فالتوسلُ إلى الله: هو بما يحُبه ويرضاه، لا بما يكرهه ويأباه من الشرك الذي نزَّه نفسَه عنه بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الطور: ٤٣]، وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله في الإنكار على مَن اتخذ الشُّفعاء ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

وأمثالُ هذه الآيات في القرآن كثير: يأمرُ عبادَه بإخلاص العبادة له، وينهاهم عن عبادة ما سواه ويعظِّمه[١] ويعظم عقوبته؛ كما جرى على الأُمم المكذبة للرسُل فيما جاءوهم به من التوحيد والنهيِ عن الشرك. فلمّا لم يقبلوا، أوقع الله[٢] بهم ما أوقع: كقوم نوح، وعاد، وثمود، ونحوهم. فإنّهم عصوا الرسل فيما أمروهم به من التوحيد وتمسّكوا بالشرك، وقالوا لنُوح: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود: ٢٧]، وقالوا لهُود: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود: ٥٣] الآيات، وقالوا لصالح: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [هود: ٦٢]، [٣]وقالوا لشُعيب: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾[٣] [هود: ٨٧].

---

(١) (ط): ويعظمه. ساقطة.

(٢) (ط): عن الشرك، فأوقع الله تعالى.

(٣) ما بينهما ليس في (ص)، ومعلّق في هامش الأصل.

فتدبرَّ ما قصَّ اللهُ في كتابه: ما دعت إليه الرسلُ وما وقع بمن عصاهم، فإنّ الله أقام به الحجةَ على كلِّ مُشركٍ إلى يوم القيامة.

وأمّا ما ورد في معنى الآية عن ابن مسعود،[1] قال: كان ناسٌ من الجن يُعبدون فأسلموا. وفي رواية[1]: كان ناسٌ من الإنس يَعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجنُّ وتمسّك هؤلاء بدينهم[2].

قلتُ: وهذا لا يُخالف ما تقدم؛ لأن هذه الآية حجةٌ على كل مَن دعا مع الله وليّاً لله[3] من الأولين والآخرين.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في الآية: وهذه الأقوالُ كلُّها حق؛ فإنّ الآية تعمُّ من كان معبودُه عابداً لله، سواء كان مِن الملائكة أو من الجن أو من البشر[4].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

ت: الكلمةُ هي: لا إله إلا الله، بإجماع أهل العلم. وقد عبَّر عنها الخليلُ

---

(١) ما بينهما ليس في (ط).

(٢) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٤٧١٤، ٤٧١٥، ومسلم، في الصحيح، رقم ٣٠٣٠.

(٣) الله. ليست في (ط).

(٤) ابن تيمية، الاستغاثة ٢/ ٤٤٢.

عليه السلام بمعناها الذي أُريد بها ووضعتْ له[١]، فعبَّر عن المنفي بها بقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ / وعبّر عما أثبتته بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [١٨/ب] فقصر العبادةَ على الله وحده، ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك. فما أحسنَ هذا[٢] التفسير لهذه الكلمة، وما أعظمه.

قال العمادُ بن كثير في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾. أي: هذه الكلمة. وهي: عبادةُ الله وحده لا شريك له وخلعُ ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله. جعلها في ذريته يَقتدي به فيها مَن هداهُ اللهُ من ذرية إبراهيم عليه السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها. قال عكرمةُ، و مجُاهد، والضّحاك، وقتادة، والسُّدي، وغيرُهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: يعني: لا إله إلا الله. لا يزال في ذريته من يقولها[٣].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ت: قوله ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأحبارُ: هم العلماء. والرُّهبان: هم العُباد[٤].

---

(١) (ط): أريد به.

(٢) (ط): هذا. ساقطة.

(٣) ابن كثير، التفسير ١٢/ ٣٠٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم، في التفسير ٦/ ١٧٨٧ عن الفُضيل بن عياض.

وهذه الآيةُ: قد فسّرها رسولُ الله ﷺ لعَديّ بن حاتم؛ وذلك أنَّه لما جاء مُسلِماً دخل على رسول الله ﷺ، فقرأ عليه هذه الآية. قال: فقلتُ: إنَّهم لم يعبدوهم. قال: «**بلى إنَّهم حرَّموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتَّبعوهم. فذلك عبادتُهم إياهم**» رواه أحمدُ، والترمذي وحسّنه، وعبد بن حُميد، وابنُ أبي حاتم، والطبرانيُّ من طُرق[١].

قال السُّدي: استنصحوا الرجالَ ونبذوا كتابَ الله وراء ظهورهم[٢].

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣١﴾ فصار ذلك عبادةً لهم، وصاروا به لهم أرباباً من دون الله؛ وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران: ٨٠].

قولُه: ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ أي: اتخذوه رباً بعبادتهم له من دون الله؛ وقد قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ

---

(١) أحمد، في المسند ٤/ ٣٨٧ بغير هذا السياق، والترمذي، في الجامع، رقم ٣٠٩٤، وعبد بن حُميد، كما في الدر المنثور ٧/ ٣٢٣، وابن أبي حاتم، في التفسير ٦/ ١٧٨٤، والطبراني، في الكبير ١٧/ ٩٢، وأخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف ١٣/ ٤١١، والبيهقي، في السنن الكبرى ١٠/ ١١٦.

(٢) أخرجه الطبري، في التفسير ١١/ ٤٢٠، وابن أبي حاتم، في التفسير ٦/ ١٧٨٤، عن أبي العالية.

إن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

[١٩/أ] فمن تدبَّر هذه الآيات: تبيَّن له معنى لا إله إلا الله/ ، وتبيّن له التوحيدُ الذي جحده أكثرُ مَن يدّعي العلم في هذه القرون وما قبلها من مُتأخري هذه الأمة.

وقد عمَّت البلوى بالجهل به بعد القُرون الثلاثة؛ لمّا وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم وبُنيت عليها المساجد، وبُنيت لهم المشاهد. فاتسع الأمرُ وعظُمت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد، لما حدث الغلو في الأموات وتعظيمُهم بالعبادة. فبهذه الأمور التي وقع فيها الأكثر: عاد المعروفُ منكراً والمنكر معروفاً، والبدعةُ سنة والسنة بدعة. نشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير، وقد قال ﷺ: «بَدأ الإسلام غريباً وسَيعُود غريباً كما بدأ، فطُوبى للغُرباء الذين يَصْلُحون إذا فَسَد النَاسُ»[1] وفي رواية «يُصلِحُون ما أفسد الناسُ»[2].

---

(١) أخرجه أحمد، في المسند ٤/ ٧٣، والآجري في الغرباء، رقم ١، وابن وضّاح في البدع ٦٥، من حديث عبد الرحمن بن سنة، وله شاهدٌ من حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه أحمد، في المسند ١/ ١٨٤، وأبو يعلى، في المسند رقم ٧٥٦.

(٢) أخرجه الترمذي، في الجامع، رقم ٢٦٣٢، وقال: حديثٌ حسن صحيح، وأخرجه ابن عبد البر، في الجامع ٣٩٧. ويُنظر في معناه: الشيخ حسن بن حسين، فصل الجواب، مجلة البحوث ٢٨/ ٢٢٦. عام ١٤١٠هـ بتحقيق المحقق.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ت: الأندادُ: الأمثالُ والنُّظراء؛ كما قاله العمادُ ابن كثير، وغيرُه من المفسرين(١).

فمن(٢) صرف من العبادة شيئاً لغير الله رغبةً إليه أو رهبةً منه: فقد اتخذه نداً لله؛ لأنه أشرك مع الله فيما لا يستحقه غيرُه تعالى.

قال العلامةُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ولهذا مَن شرَّك بين الله وبين غيره في المحبة الخاصة كان مُشركاً شركاً لا يغفره الله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾.

والصحيحُ أنَّ معنى الآية: أنَّ الذين آمنوا أشدُّ حباً لله من أهل الأنداد لأندادهم. كما تقدّم: أنَّ محبة المؤمنين لربهم لا يُماثلها محبةُ مخلوقٍ أصلاً، كما لا يُماثل محبوبهم غيرُه(٣).

قلتُ: وهو قولُ مجُاهد(٤).

---

(١) ابن كثير، التفسير ٢/ ١٤٢، وينظر: الطبري، التفسير ١/ ٣٩٠، والقرطبي، التفسير ١/ ٣٤٧.

(٢) (ط): فكل من.

(٣) ابن القيم، طريق الهجرتين ٢/ ٦٤٢، ووقع في (ط) زيادة في أوله وآخره، على نحو ما في فتح المجيد ١/ ٢١٧.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري، في التفسير ٣/ ١٧.

[(١)]قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما معناه: فمن رغب إلى غير الله في قضاء حاجةٍ أو تفريج كُربةٍ، لزم أن يكون محُباً له، و محبتُه هي الأصل في ذلك. انتهى.

قلتُ: فمن أحب مع الله غيره لم ينف ما نفته لا إله إلا الله من الشرك ولم يُثبت ما أثبتته من التوحيد، بل قد جعل مع الله شريكاً في إلهيته.

وقد تبيّن أنَّ الإلهية هي العبادة، فنفيُها عمّا سوى الله وإثباتُها لله وحده [١٩/ب] بجميع أنواعها: هو معنى لا إله إلا الله / ، كما تقدم بيانُه[(١)].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الصَّحِيحِ عنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قال: «منْ قال: لا إلهَ إِلاَّ اللهُ وكفر بما يُعبد مِن دونِ الله حَرُمَ مالُهُ ودمُهُ، وحسابُهُ على اللهِ عزَّ وجلَّ»[(٢)].

ش: قولُه. (في الصحيح) أي: صحيح مسلم. عن أبي مالكٍ الأشجعي، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فذكره. وأبو مالك، اسمُه: سعدُ بن طارق، كوفيٌّ ثقةٌ، مات في حدود الأربعين[(٣)(٤)].

[(٥)]وأبُوه: طارقُ بن أَشْيم ـ بالمُعجمة والمُثنَّاة التحتية وزن أحْمر ـ ابن

---

(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) مسلم، في الصحيح، رقم ٢٣.

(٣) من الرابعة (مات بعد المائة). ينظر: ابن حجر، التقريب ٣٦٩.

(٤) في (ط) زيادة شرح ألفاظ الحديث بنحو ما في فتح المجيد ١/ ٢٢٠-٢٢٤.

(٥) من هنا ساقطٌ من (ط).

مسعود الأشجعي، صحابيٌّ، له أحاديث(١).

وفي مُسند الإمام أحمد، عن أبي مالك: وسمعتُه(٢) يقول للقوم: «من وحَّد الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرُم مالُه ودمه وحسابُه على الله عز وجل»(٣).

وهذا الحديثُ الصحيح، هو معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وهي: لا إله إلا الله.

والطاغوتُ: الشيطانُ، وما أَمر به من عبادةِ غير الله. قاله العمادُ بن كثير(٤).

وقال العلامةُ ابنُ القيّم: الطاغوتُ: ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مُطاع(٥).

فمن لم يكفُر بالطاغوت: لم يقُل لا إله إلا الله قولاً ينفع؛ لأنه لم يستمسك بها.

وقد تضمَّنت الجملةُ الأولى ـ مِن لا إله إلا الله ـ: نفيَ الطاغوت بلا

---

(١) ينظر ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٥/ ٣٧٩.

(٢) (ص): والمصدر: قال وسمعته.

(٣) أحمد، في المسند ٣/ ٤٧٢، ٦/ ٣٩٤، وأخرجه مسلم، في الصحيح، رقم ٢٣.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٤٦.

(٥) ابن القيم، إعلام الموقعين ١/ ٥٣.

النافية؛ لأنها نفت الإلهية عن كلِّ ما سوى الله. وهذا هو الكفر بالطاغوت، إذا قاله الإنسانُ عن علم ويقين كما تقدّم بيانُه.

وقولُه: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ هو معنى: إلّا الله؛ لأن الإيمان: هو الإخلاص؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥] ونحو هذه الآيات.

يُبيِّن فيها أصلَ الإيمان والإسلام، وهو: نفيُ الشرك وإخلاصُ العبادة لله وحده.

فدلَّت هذه الكلمةُ: على نفي الشرك والبراءةِ منه، وإخلاص العبادة لله وحده؛ كما تقدم في قول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

ومعنى هذه الكلمة: هو الذي دعت [إليه][1] الرُسلُ من أوَّلهم إلى آخرهم؛ كما تقدم في الآيات التي في أول الكتاب وغيرها.

وقد اشتبه معنى هذه الكلمة العظيمة - التي هي الفارقةُ بين الكُفر والإيمان - فظن الأكثرُ: أنَّها دلَّت على توحيد الرُّبوبية، وأنَّه هو معناها - كالأشعري[2] وغيره من المُتكلِّمين - قالوا: إنَّ الإله / هو القادرُ على الاختراع. [٢٠/أ]

---

(١) ساقط من الأصل.

(٢) أبو الحسن، علي بن إسماعيل الأشعري الأنصاري، إمامُ المتكلِّمين، كان معتزلياً فترك الاعتزال وابتدع مذهباً نُسب إليه ثم رجع عن ذلك كله، له مؤلفات كثيرة منها الإبانة ومقالات الإسلاميين، والفصول واللمع. ولد سنة ٢٦٠هـ ومات في بغداد سنة ٣٢٤هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥.

وهذا التوحيدُ: قد أقر به المشركون من العرب وغيرهم؛ كما قال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩]، وقال ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، وقوله ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ إلى قوله ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

فلم يُدخلهم هذا التوحيدُ في الإسلام؛ لأنهم جحدوا توحيدَ العبادة، وهو توحيد الطلب والقصد؛ كما قال تعالى في دعوة الرُّسل ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ فأجابوه بقولهم ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ [الأعراف: ٦٥-٧٠]، وقال ﴿۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف: ٢١]، وقال ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، وقال ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ [الرعد: ٣٦] الآية.

والآياتُ في بيان هذا التوحيد ـ الذي جَحده الأكثرون ـ أكثرُ من أنْ تُحصر، وفي حديث مُعاذ، قال «حق الله على العباد أنْ يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً» وتقدّم الكلامُ عليه(١).

وهذا التوحيدُ: هو الذي دعا إليه رسولُ الله ﷺ، وجاهد الخلقَ عليه، وقاتل من لم يُقر به، وسبى ذراريهم ونساءهم، واستمرَّ الجهادُ عليه في القرون الثلاثة، حتى حدث مِن الشرك ما حَدث: بالغلو في أرباب القبور، وبناءِ المساجد عليها والمشاهد.

فعمَّت البلوى بهذا، فأنساهم ـ ما وقعوا فيه من ذلك ـ: ما خُلقوا له ـ من التوحيد ـ ودُعوا إليه. ولهذا جَحده من جحده(٢)، فأخذوا الشرك بدلاً عن التوحيد؛ اتباعاً لسنَّة مَن قبلهم من أعداء الرسل.

فالحمدُ لله على بيانه بعد خفائه. فيالها نعمةً ما أجلَّها لمن عرفه وقبِله [٢٠/ب] / ، ودان به وأحبّه ودعا إليه، وبالله التوفيق.

فيا خسارة من أنكره وعادى مَن دان به، كحال الأكثرين من الأُمم ومَن بعدهم من هذه الأمة. نسأل الله العفوَ والعافية في الدنيا والآخرة(٣).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): وهذا مِن أعظم ما يُبيِّن معنى لا إله إلا الله؛ فإنّه لم يجعل التلفظَ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفةَ معناها مع

---

(١) في أول الكتاب.

(٢) (ص) زيادة: من هذه الأمة.

(٣) إلى هنا ساقط من (ط).

(٤) (ط): قال شيخنا.

لفظها، بل ولا الإقرارَ بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله[١] وحده لا شريك له، بل لا يحرم مالُه ودمُه[٢] حتى يُضيف إلى ذلك الكفرَ بما يُعبد من دون الله. فإن شك أو تردد[٣] لم يحرم مالُه ودمه، فيالها مسألة[٤] ما أجلّها، ويالـه من بيان ما أوضحَه وحجّةٍ ما أقطعها للمنازع، انتهى[٥].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وشرحُ هذه الترجمة: ما[٦] بعدها من الأبواب.

ت: فقد ذكر فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما يُبيِّن التوحيد وما يُنافيه، وما يقرِّبُ من الشرك[٧] وما يوصل إليه من الوسائل، وبيانَ ما كان عليه السلفُ مِن بُعدهم عن الشرك في العبادة، وشدَّةِ إنكارهم له وجهادهم على ذلك.

وقد جمع هذا الكتابُ على اختصاره: من بيان التوحيد ما لا يُعذر أحدٌ عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبُّر، وكذلك الردِّ على أهل الأهواء جميعهم.

فمَن حفظه واستحضره وجد ذلك، واستغنى به عن غيره في الرد على

---

(١) (ط): لا يدعو الله.

(٢) (ط): دمه وماله.

(٣) (ط): توقف.

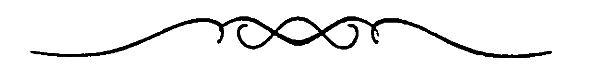
(٤) (ط): من مسألة.

(٥) المصنف، كتاب التوحيد. آخر مسائل هذا الباب.

(٦) (ط): وما.

(٧) (ط): منه.

كل مُبتدع. فتدبَّره تجد ذلك بيّناً، وسيأتي التنبيهُ على ذلك إن شاء الله تعالى فيما يأتي من الأبواب[١].



(١) (ط): فيما يأتي من الأبواب. ساقط.

(٦)

بابٌ
من الشرك لُبْس الحَلْقَةِ والخيط ونحوِ هما لرفع البلاء أو دفعِه

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: بابٌ من الشرك لُبْسُ الحَلْقَةِ والخيط ونحوِ هما لرفع البلاء أو دفعِه.

ت: أي: لرفعه إذا نزل ودفعه قبل أنْ ينزل. يعني: إذا كان هذا هو القصد: فتعلُّق قلبِه به في دفع ضُر مما نزل[1] ومما لم ينزل، قد[2] صرَّحت الأحاديثُ بأن هذا شرك[3] بالله.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقولُ الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

ت: قال مُقاتل[4]: فسألهم النبيُّ ﷺ فسكتوا؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها[5].

---

(١) (ص) (ط): قد نزل.

(٢) (ص): وقد.

(٣) (ط): من الشرك.

(٤) مُقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي، أبو الحسن البلخي، مفسر مشهور، متروك الحديث، كان بحرًا في التفسير، من السابعة. مات سنة ١٥٠هـ. ابن حجر، التقريب ٩٦٨. وطبقات التفسير للداودي ٢/ ٣٣١.

(٥) نقله البغوي، في التفسير ٤/ ٨٠، والقرطبي، في التفسير ١٨/ ٢٨٢.

قلتُ: فإذا كانت آلهتُهم التي يدعون من دون الله لا قُدرة لها على أنْ تكشف ضراً[1]/ [٢١/أ] أراده الله بعبده، أو تمُسك رحمةً أنزلها على عبده: فيلزمُهم بذلك أن يكون الله هو معبودُهم وحده لُزوماً لا محيد لهم عنه.

وذكر تعالى مثلَ هذا السؤال عن خليله إبراهيم لمن حاجَّه في الله، فقال: ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فأقام تعالى الحُجَّة على المشركين، بما يُبطل شِركَهم بالله وتسويتهم غيره به في العبادة؛ بضرب الأمثال وغير ذلك. وهذا في القرآن كثير؛ كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣]، وقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤١-٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

ذكر العمادُ بن كثير في هذه الآية: ما رواه ابنُ أبي حاتم، عن قيس بن

---

(١) (ط): على كشف ضر.

الحجاج[١]، عن حَنَش الصنعاني[٢]، عن ابن عباس، مرفوعاً «احفظ اللهَ يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، تعرَّف إلى الله في الرَّخاء يعرفْك في الشدة، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبْه الله عليك لم يضرُّوكَ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء[٣] لم ينفعوك، جَفَّت الصحف ورُفِعَت الأقلام، واعْمل لله بالشكر في اليقين. واعْلم أنَّ في الصبر على ما تكرَه خيراً كثيراً، وأنّ النصر مع الصبر، وأنَّ الفرَج مع الكَرْب، وأنّ مع العُسر يُسْرا»[٤].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عنْ عِمْرانَ بن حُصَيْن: أنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى رجلاً في يده حَلْقَةٌ من صُفْرٍ، فقال: «ما هذه؟» قال: منَ الواهِنةِ. فقال: «انزعْها فإنَّها لا تَزيدُك إلا وَهْنًا، فإنَّك لو مُتَّ وهي عليْك ما أفلحتَ أبدًا» رواه أحمد بسند/ لا بأس به[٥]. [٢١/ ب]

---

(١) قيس بن الحجَّاج الكَلاعي، المصري، صدوق، من السادسة. مات سنة ١٢٩هـ. ابن حجر، التقريب ٨٠٣.

(٢) حَنَش بن عبد الله بن علي الصنعاني، أبو رِشْدين، ثقة، من الثالثة. مات سنة ١٠٠هـ. ابن حجر، التقريب ٢٧٨.

(٣) (ط) والمصدر زيادة: لم يكتبه الله لك.

(٤) ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير ١٢/ ١٣٢، وأخرجه الترمذي، في الجامع، رقم ٢٥١٦ وقال: حسنٌ صحيح، وأحمد، في المسند ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، وصححه ابن رجب في الجامع ١/ ٤٦١.

(٥) أحمد، في المسند ٤/ ٤٤٥، وأخرجه ابن ماجه، في السنن، رقم ٣٥٣١، وابن حبان، في الصحيح رقم ٦٠٨٥، والطبراني، في الكبير ١٨/ ٣٩١، ٤١٤، والحاكم، في =

ت: قولُه: (عمران بن حصين) أي: ابن عُبيد بن خلف الخُزاعي، أبو نُجيد ـ بنون وجيم مصغر ـ صحابيٌّ ابن صحابي[١]، أسلم عام خيبر، ومات سنة اثنين وخمسين بالبصرة[٢].

قولُه: (رأى رجلاً) في رواية الحاكم: دخلتُ على رسول الله ﷺ وفي عضُدي حَلْقةُ صُفْرٍ، فقال: «ما هذه؟» الحديث. فالمبهمُ في رواية أحمد: هو عمران، راوي الحديث.

قولُه: «ما هذه؟» الظاهرُ أنَّه للإنكار عليه.

قولُه: (من الواهنة) قال أبو السعادات[٣]: الواهنةُ عِرقٌ يأخذ في المنكب وفي اليد كلِّها فيُرقى منها. وقيل: هو مرضٌ يأخذ في العضُد، وهي تأخذ الرجال دون النساء. وإنما نهاه عنها؛ لكونه يظن أنها تمنع عنه هذا الداء أو تصرفه[٤]، فأمره ﷺ بنزعها لذلك، وأخبر أنها لا تزيده إلا وهناً[٥].

فإنَّ المشرك يُعامل بنقيض قصده؛ لأنه علّق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه. فإذا كان هذا بحلْقة صُفْر، فما الظن بما هو أطمُّ وأعظم؛ كما وقع من

= المستدرك ٤/ ٢١٦ وصححه ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ٣/ ١٤٠: إسنادُه حسن.

(١) صحابي: معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح، وساقط من (ص)و (ط).

(٢) ينظر في ترجمته وترجمة أبيه: ابن حجر، الإصابة ٧/ ٤٩٥، ٢/ ٥٦٢.

(٣) مجد الدين، المبارك بن محمد بن الأثير الشيباني، أبو السعادات الجزري، فقيه لُغوي محدِّث، مات سنة ٦٠٦هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٨٨.

(٤) (ط): ترفعه.

(٥) ابن الأثير، النهاية ٥/ ٢٣٤.

عبادة القبور والمشاهد والطواغيت وغيرها، كما لا يخفى على من له أدنى مُسْكَةٍ[١] من عقل.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه شاهدٌ لكلام بعض الصحابة: أنَّ الشرك الأصغر أكبر من الكبائر. وأنَّه لم يُعذر بالجهالة[٢].

قولُه: «فإنك لو مُتَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً» والفلاح: هو الفوزُ والظفر والسعادة.

قولُه: (رواه أحمد بسند لا بأس به) هو الإمامُ أحمد بن محمد بن حنبل[٣] بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي، إمامُ أهل عصره وأعلمُهم بالفقه والحديث، وأشدُّهم ورعاً ومتابعةً للسنة[٤]، وهو الذي يقول فيه بعضُ أهل السنة: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتته الدنيا فأباها، والشبهُ فنفاها. روى: عن الشافعي، وزيد بن هارون، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى القطان، وابن عُيينة، وعبد الرزاق، وخلقٍ لا يُحصون. مات سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله سبعٌ وسبعون سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى[٥].

---

(١) المُسكة: ما يُمسك الرَّمَق. ينظر: الفيومي، المصباح المنير ٤٦٨.

(٢) المسألتان الثانية والثالثة.

(٣) : ابن حنبل. ليست في (ط).

(٤) ومتابعة للسنة. ليست في (ط).

(٥) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٩٨.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهُ، عنْ عُقْبَةَ بن عامرٍ، مرفوعًا: «مَنْ تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ اللهُ له، ومَنْ تعلَّق وَدْعَةً فلا وَدَعَ اللهُ لهُ»[١]، وفي روايةٍ: «مَنْ تعلَّق تميمةً/ فقدْ أشركَ»[٢]. [٢٢/أ]

ش: عقبةُ بن عامر، صحابي مشهور، فقيهٌ فاضل، ولي إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين، ومات قريباً من الستين[٣].

وهذا الحديثُ، فيه: التصريحُ بأنَّ تعليق التمائم شركٌ بما[٤] يقصده من علَّقها، لدفع ما يضره أو جلب ما ينفعه[٥]. وهذا أيضاً: يُنافي كمال الإخلاص الذي هو معنى لا إله إلا الله؛ لأن المخلص لا يلتفت قلبُه لطلب نفع أو دفع ضُر من سوى الله، كما تقدم في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا

---

(١) أحمد، في المسند ٤/ ١٥٤، وأخرجه ابن حبان، في الصحيح رقم ٦٠٨٦، وأبو يعلى، في المسند، رقم ١٧٥٩، والطبراني، في الكبير ١٧/ ٨٢٠، والحاكم، في المستدرك ٤/ ٢١٦، ٤١٧ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه ابن المنذري، في الترغيب ٤/ ٣٠٦، والهيثمي، في مجمع الزوائد ٥/ ١٠٣، وابن حجر في تعجيل المنفعة ١١٤. والتميمةُ: خَرَزَة تُعلَّق لاتقاء العين. والوَدْعة: صدفةٌ تعلَّق لاتقاء العين أيضاً. ينظر: ابن الأثير، النهاية ١/ ١٩٧.

(٢) أحمد، في المسند ٤/ ١٥٦، وأخرجه الطبراني، في الكبير ١٧/ ٨٨٥، والحاكم، في المستدرك ٤/ ٤١٧ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الهيثمي، في مجمع الزوائد ٥/ ١٠٣.

(٣) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٧/ ٢٠٥، وفيه: مات سنة ثمان وخمسين.

(٤) (ط): لما.

(٥) ينظر: المسألة السابعة.

﴿مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]. فكمالُ التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك، وإن كان من الشرك الأصغر فهو عظيم. فإذا كان[1] قد خفي على بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في عهد النبوة، فكيف لا يخفى على مَن هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب، بعد ما حدث في الأمة ما حدث[2] من البدع والشرك؛ كما في الأحاديث الصحيحة. وتقدّمت الإشارةُ إلى ذلك.

وهذا مما يُبيِّن معنى لا إله إلا الله أيضاً، فإنّها نفت كلَّ الشرك قليله وكثيره؛ قال[3] تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

قولُه: «فلا أتمَّ الله له» دعاءً عليه، وكذلك قوله: «فلا ودَعَ اللهُ له» أي: لا جعله في دَعةٍ وسُكون.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولابن أبي حاتم، عن حُذيفة: أنَّه رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحُمّى فقطعه؛ وتلا قولَه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾[4] [يوسف: ١٠٦].

ش: ابنُ أبي حاتم، هو الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم

---

(١) (ط): كان هذا.

(٢) في الأمة ما حدث. ليست في (ط).

(٣) (ط): كما قال.

(٤) ابن أبي حاتم، التفسير، ٧/ ١٢٠٤، وأخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف ٧/ ٣٧٣.

محمد بن إدريس المُرادي التميمي الحنظلي، الحافظ[1]، صاحب الجرح والتعديل والتفسير، وغيرهما. مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة[2].

وحُذيفة، هو ابن اليَمان، واسمُ اليمان حُسيل بمهملتين مصغّر، ويقال حِسْل بكسر ثم سكون، العَبْسي بالموحّدة، حليفُ الأنصار، صحابي جليل من السابقين، ويقال[3]: صاحب السر، وأبوه أيضاً صحابي. مات حُذيفة في أول خلافة عليّ، سنة ست وثلاثين[4].

قولُه: (رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحُمّى فقطعه، وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[٢٢/ب] فيه: دليلٌ/ على أنَّ هذا شرك، وأنَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يستدلون بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر على الأصغر[5]؛ لدخوله في عموم[6] الشرك المنهي عنه في الآيات والأحاديث عموماً وخصوصاً، لما قد عرفْت أنه يُنافي كمالَ الإخلاص.

إذا كان مثل هذا، وقد خافه ﷺ على أصحابه[7]؛ كما تقدم في قوله:

---

(١) الحافظ. ليس في (ط).

(٢) ينظر في ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٦٣.

(٣) (ط): ويقال له.

(٤) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٢/ ٤٩٦.

(٥) المسألتان: الثامنة والتاسعة.

(٦) عموم. ليست في (ط).

(٧) (ط): الصحابة.

«أخوفُ ما أخاف عليكم الشركُ الأصغر» فإذا كان يقعُ مثلُ هذا في تلك القرون المفضَّلة، فكيف يُؤْمَنُ أن يقع ما هو أعظمُ[١]. لكن لغلبة الجهل به، وقع منهم أعظمُ مما وقع من مشركي العرب وغيرهم في الجاهلية، مما[٢] تقدم التنبيهُ عليه.

حتى أنّ كثيراً من العلماء في هذه القرون اشتد نكيرُهم على مَن أنكر الشرك الأكبر؛ فصاروا هم والصَّحابةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في طرفي نقيض.

فالصحابةُ ينكرون القليل من الشرك، وهؤلاء يُنكرون على من أنكر الشرك الأكبر.

ويجعلون النهيَ عن هذا الشرك[٣] بدعةً وضلالة. وكذلك كانت حالهم[٤] مع الأنبياء والرسل جميعهم، فيما بُعثوا به: من توحيد الله تعالى وإخلاصِ العبادة له وحده، والنهيِ عن الشرك به. وقد بعث[٥] اللهُ خاتم رُسله محمد ﷺ بذلك؛ كما بعث به[٥] مَن قبله، فعكس هؤلاء المتأخرون ما دعا إليه رسولُ الله ﷺ مُشركي العرب وغيرهم.

فنصر هؤلاء ما نهى عنه من الشرك غايةَ النصرة، وأنكروا التوحيد الذي بُعث به غاية الإنكار؛ فإنّه ﷺ لما قال لقُريش: «قولوا لا إله إلا الله

---

(١) (ط): أعظم منه.

(٢) (ط): مما قد.

(٣) (ط): عن الشرك.

(٤) (ط): حال الأمم.

(٥) ما بينهما ليس في (ط).

تُفلحوا»(١) عَرَفوا معناها الذي وضعت له وأُريد منها، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥] الآيات، وقوله(٢): ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

وفي صحيح البخاري، وغيره ـ في سؤال هِرقل(٣) لأبي سُفيان ـ عن النبي ﷺ، قال له: ما ذا يأمركم؟ قلتُ، يقول: اعبدوا اللهَ وحدَه لا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقولُ آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة(٤).



(١) أخرجه أحمد، في المسند ٣/ ٤٩٢، ٤/ ٣٤١، والطبراني، في المعجم الكبير ٥/ ٥٦، والأوسط ٢/ ٢٩٠، وصححه الهيثمي، في مجمع الزوائد ٦/ ٢٢، من حديث ربيعة بن عباد، وله شاهدٌ من حديث طارق بن عبد الله: أخرجه الدارقطني، في السنن ٣/ ٤٤، والطبراني، في المعجم الكبير ٨/ ٣٧٦، والحاكم، في المستدرك ٢/ ٦١١ وصححه ووافقه الذهبي. وشاهدٌ من حديث مُدرك: أخرجه الطبراني، في الكبير ٢٠/ ٣٤٣، وصححه الهيثمي، في مجمع الزوائد ٦/ ٢١، وشاهد من حديث شيخٌ من بني مالك: أخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٣٧١، ٣٧٦، وصححه الهيثمي، في مجمع الزوائد ٦/ ٢٢.

(٢) (ط): وقال تعالى.

(٣) هِرَقل: ملك الروم، وهو اسمه، ولقبه: قيصر. ينظر: ابن حجر، الفتح ١/ ٣٣.

(٤) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٧، ٥١، ٢٦٨١، ٢٨٠٤، ومسلم، في الصحيح، رقم ١٧٧٣، وأحمد، في المسند ١/ ٢٦٢.

(٧)
بـــابُ
ما جاءَ في الرُّقى والتَّمائم

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ما جاءَ في الرُّقى والتَّمائم.

ت: أي: من النهي عمّا لا / يجوُز من ذلك. [٢٣/أ]

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الصحيح، عن أبي بَشير الأنصاري: أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً: أنْ لا يَبقينّ في رقبة بعيرٍ قلادةٌ من وَتَرٍ ـ أو قِلادةٌ ـ إلا قُطِعتْ[١].

ت: هذا الحديثُ في الصحيحين، واسم أبي بشير: قيس بن عُبيد. قاله ابنُ سعد. وقال ابنُ عبد البر: لا يُوقف له على اسم صحيح، وهو صحابيٌّ شهد الخَندق، ومات بعد الستين، ويقال: إنه جاوز المائة[٢].

قولُه: (فأرسل رسولاً) هو زيدُ بن حارثة، روى ذلك: الحارثُ بن أبي أسامة، في مُسنده. قاله الحافظ[٣].

---

(١) البخاري، في الصحيح، رقم ٣٠٠٥، ومسلم، في الصحيح، رقم ٢١١٥، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٢١٦.

(٢) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ١٢/ ٦٦.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ٦/ ١٤١.

قولُه: (أنْ لا يَبقينّ) بفتح الياء والقاف، ويُحتمل أنْ يكون بضم الياء المثنّاة وكسر القاف. والوَتَر: بفتحتين، واحد أوتار القوس. وكان أهلُ الجاهلية إذا اخْلَولَقَ الوَتَر أبدلوه بغيره، وقلَّدوا به الدواب؛ اعتقاداً منهم[١] أنَّه يدفع العين عن الدابة[٢]. ولهذا أمر ﷺ بقطع الأوتار التي عُلّقت على الإبل، لما كان أهلُ الجاهلية يعتقدون ذلك فيها.

قولُه: (أو قِلادة إلا قُطعت) يحُتمل أنّ ذلك شكٌّ من الراوي، ولأبي داود «ولا قِلادة» بغير شك[٣]. فعلى هذه الرواية: تكون أو بمعنى الواو.

قال البغوي في شرح السنة: تأول مالكُ أمره ﷺ بقطع القلائد، على أنَّه من أجل العين؛ وذلك أنهم كانوا يشدُّون تلك الأوتار والتمائم والقلائد ويعلِّقون عليها العُوذ، يظنون أنها تعصمُهم من الآفات. فنهاهم النبيُّ ﷺ عنها، وأعلمهم أنَّها[٤] لا ترد من أمر الله شيئاً[٥].

قال أبو عُبيد: كانوا يقلِّدون الإبل الأوتار[٦] لئلا تُصيبها العين، فأمرهم النبيُّ ﷺ بإزالتها؛ إعلاماً لهم بأن الأوتار لا ترد شيئاً[٧].

---

(١) (ط): منهم بهذا.

(٢) (ط): عن الدابة العين.

(٣) أبو داود، في السنن، رقم ٢٥٥٢.

(٤) (ط): أن الأوتار.

(٥) البغوي، شرح السنة ١١/ ٢٧.

(٦) (ص) (ط): أوتاراً.

(٧) أبو عُبيد، غريب الحديث ٢/ ٢.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن ابن مسعود، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ الرُّقى والتمائمَ والتِّولة شركٌ» رواه أحمد وأبو داود[(١)].

ت: ولفظُ أبي داود: عن زينب امرأةِ عبد الله بن مسعود، أنّ عبد الله رأى في عُنُقي خَيطاً، فقال: ما هذا؟ قلتُ: خَيطٌ رُقِي لي فيه. قالتْ: فأخذه فقطعه،/ ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياءُ عن الشرك. سمعتُ رسول الله ﷺ [٢٣/ب] يقول: **«إنَّ الرُّقى والتمائمَ والتِّولةَ شركٌ»**.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لكن إذا كان المعلَّق من القرآن، فرخَّص فيه بعضُ السلف. وبعضُهم لم يرخِّص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابنُ مسعود[(٢)].

والمقصود: بيانُ أن هذه الأمور الشركية وإنْ خفَت[(٣)] فقد نهى عنها رسولُ الله ﷺ وأصحابُه؛ لكمال علمهم بما دلّت عليه لا إله إلا الله: من نفي الشرك قليلِه وكثيره؛ لتعلُّق القلب بغير الله في دفع ضر أو جلب نفع. وقد عمّت البلوى بما هو أعظم من ذلك، بأضعاف مضاعفة. فمَن عَرف هذه

---

(١) أحمد، في المسند ١/ ٣٨١، وأبو داود، في السنن، رقم ٣٨٨٣، وأخرجه ابن ماجه، في السنن، رقم ٣٥٧٦، وابن حبان، في الصحيح، رقم ٦٠٩٠، والحاكم، في المستدرك ٤/ ٢١٧، ٤١٨ وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه من طريق آخر: أبو داود، في السنن، رقم ٤٢٢٢، والنسائي، في المجتبى ٧/ ١٤١، وأحمد، في المسند ١/ ٣٨٠.

(٢) كتاب التوحيد هذا الباب، وينظر أيضاً: المسألة الخامسة.

(٣) (ص) (ط): خفيت.

الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين عَرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك، كما تقدم بيانُه.

وفيه: ما كان عليه أصحاب[١] رسول الله ﷺ من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره، وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر، وقد تقدم دليلُه في الباب الذي[٢] قبل هذا.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن عبد الله بن عُكيم، مرفوعاً «من تعلَّق شيئاً وكِل إليه» رواه أحمدُ، والترمذي[٣].

ش: وعبد الله بن عُكيم، هو[٤]: بضم المهملة مصغر، ويكنى أبا معبد الجُهني الكوفي. قال الخطيب: سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حُذيفة، وكان ثقة[٥].

قولُه: «من تعلَّق شيئاً وكِل إليه». التعلُّق يكون بالقلب، وينشأ عنه القولُ والفعل. وهو التفاتُ القلب عن الله إلى شيء يعتقد أنّه ينفعه أو يدفع عنه،

---

(١) أصحاب. ليست في (ط).

(٢) الذي. ليست في (ط).

(٣) أحمد، في المسند ٤/ ٣١٠، ٣١١، والترمذي، في الجامع، رقم ٢٠٧٣، وأخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف ٧/ ١٣، والطبراني، في الكبير ٢٢/ ٣٨٥، والحاكم، في المستدرك ٤/ ٢١٦ وصححه، والبيهقي، في السنن الكبرى ٩/ ٣٥١، وقال ابن حجر، في الإتحاف ٨/ ٢٦٠: وهو مُرسل. وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة: أخرجه النسائي، في المجتبى ٧/ ١١٢.

(٤) هو. ليست في (ط).

(٥) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٥٢٧.

كما تقدّم بيانُه في الأحاديث في هذا الباب والذي قبله.

وهو يُنافي قولَه تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢] فإنْ كان من الشرك الأصغر فهو يُنافي كمال التوحيد، وإنْ كان من الشرك الأكبر ـ كعبادة أرباب القُبور والمشاهد والطواغيت ونحو ذلك ـ فهو كفرٌ بالله، وخروجٌ من دين الإسلام، ولا يصح معه قولٌ لا عمل.

قولُه: «وُكِل إليه» أي: وكَلَه الله[1] إلى ما علَّق قلبَه به من دون الله، ومن وكلَه الله إلى غيره ضلّ وهلك؛ قال الإمام أحمد: حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، حدثنا من سمع عطاء الخراساني، قال: لقيتُ وهْب بن مُنبِّه وهو يطوف بالبيت، فقلتُ: حدثني/ بحديثٍ أحفظه عنك في [٢٤/أ] مقامي هذا وأوجز، قال: نعم، أوحى اللهُ تبارك وتعالى إلى داود «يا داود أما وعزَّتي وعَظَمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي أعرفُ ذلك من نيَّته فتكيدُه السموات السبعُ ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلتُ له من بينهن مخْرجاً، أمَا وعزَّتي وعَظَمتي ما يَعتصم عبد من عبيدي بمخلوقٍ دوني أعرف ذلك من نيَّته إلا قطعتُ أسبابَ السماء من يده وأسخْتُ الأرضَ من تحت قدميه ثم لا أُبالي بأيِّ وادٍ هَلَك»[2]. وشاهدُ هذا

---

(١) (ط) زيادة: إليه.

(٢) أخرجه أحمدُ من طريقين، كما في إغاثة اللهفان ١/ ٤٥، وأبو داود، في الزهد، رقم ٣، وأخرجه من حديث كعب بن مالك مرفوعاً: أبو نُعيم، في الحلية ٤/ ٢٦، والديلمي، في مسند الفردوس، رقم ٤٩٦، وتمَّام في الفوائد، رقم ١٧٠٠، وابن =

في القــرآن[١]؛ كـمـا قـال تعـالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[١] [الحج: ٣١] فتدبّر.

قـال المـصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وروى أحمدُ، عـن رُويفـعٍ، قـالَ: قـالَ لي رسولُ الله ﷺ: «يا رُوَيْفِعُ، لعلَّ الحياةَ تطُول بـك، فـأخبر النَّـاسَ أنَّ مَـن عَقَدَ لحْيَتَهُ، أو تقلَّد وَتَرًا، أو استنجَى برجيعِ دابَّةٍ أو عظـمٍ، فـإنَّ محمـدًا بريء منه»[٢].

ت: رُويفع، هو: ابن ثابت بن السَّكَن بن عَدي بن حارثـة[٣] الأنـصاري، نزل مصر ووليَ بَرْقَة، لـه ثمانيـةُ أحاديـث. قـال عبـد الغنـي: ولي طـرابُلس، فافتتح إفريقية سـنة سبع وأربعين. وقـال ابنُ يُونس: تـوفي بِبَرْقـة سـنة سـت وخمسين[٤].

= عساكر، في التاريخ كما في كنز العمال ٣/ ١٠٤، وفيـه: يوسـف بـن الـسفر، متروك. كما في اللسان ٦/ ٣٢٢، والإبهام في الـراوي عـن عطاء الخراسـاني. وأخـرج طرفـاً منه: أحمد، في الزهد ٢٩٢، والمرّوذي، في أخبار الشيوخ، رقم ٢٠٨.

(١) ما بينهما ليس في (ط).

(٢) أحمد، في المسند ٤/ ١٠٨، وأخرجه أبو داود، في السنن، رقم ٣٦، والطبراني، في الكبير، رقـم ٤٤٩١، وأخرجـه مـن طريـق آخـر: النـسائي، في المجتبـى ٨/ ١٣٥. وإسنادُه جيّد، كما قال النووي في المجموع ١/ ٣٢٣، وابن الملقّـن في البـدر المنير ٢/ ٣٥٢.

(٣) (ط): الحارث.

(٤) ينظر ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٣/ ٥٥٦.

قولُه: «لعل الحياة تطول بك» فقد طالت حياتُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما أخبر النبيُّ ﷺ.

قوله: «فأخبِرِ الناسَ أنَّ من عقَد لحيته» قال الخطَّابي: أمّا نهيُه عن عقد اللحية، فيُفسَّر على وجهين: أحدُهما، ما كانوا يفعلونه في الحرب، كانوا يعقدون لحاهم؛ وذلك من زيٍّ بعض الأعاجم يفتلونها ويعقدونها، قال أبو السعادات: تكبّراً أو عُجباً.

ثانيهما، أنَّ معناه: مُعالجة الشَّعر ليتعقَّد ويتجعّد، انتهى[(١)].

قلت: ويُشبه هذا ما يفعله كثيرٌ من فتل أطراف الشارب، فيترُك أطرافه لذلك، وهي بعضه؛ وفي حديث زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يأخُذ من شاربه فليس منّا» رواه أحمد، والنسائي، والترمذي وقال: صحيح[(٢)].

وفي الصحيح: «خالفوا المشركين احْفُوا الشَّوارب واعْفُوا اللِّحى»[(٣)] وذلك يدل على الوجوب. وذكر ابنُ حزم: الإجماع على أنه فرضٌ[(٤)].

---

(١) ينظر: الخطابي، معالم السنن ١/ ٢٧.

(٢) أحمد، في المسند ٤/ ٣٦٦، ٣٦٨، والترمذي، في الجامع، رقم ٢٧٦١، والنسائي، في المجتبى ١/ ١٥، ٨/ ١٢٩، وأخرجه ابن حيان، في الصحيح، رقم ٥٤٧٧.

(٣) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٥٥٥٣، ومسلم، في الصحيح، رقم ٢٥٩ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) ابن حزم، مراتب الإجماع ٢٥٢.

فيتعيّن النهيُ عنه لذلك[١].

[٢٤/ب] قولُه: «أو تقلّد وتَراً» فيه: ما[٢] تقدّم أنه شرك؛ لما كانوا يقصدونه / بتعليقه على الدواب وغيرها.

قولُه: «أو استنجى برجيع دابّة أو عظم فإنَّ محمداً بريء منه» هذا دليلٌ على أنَّ هذا والذي قبله من الكبائر؛ لأن قوله: «فإن محمداً بريء منه» يدلّ على ذلك، وقول[٣] النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: بريءٌ من فعله. فهذا التأويلُ بعيدٌ؛ لعود الضمير إلى مَن.

وقد ورد النهيُ عن الاستنجاء بالرَّوث والعظام في أحاديث صحيحة كما لا يخفى؛ منها: ما رواه مسلم في صحيحه، عن ابن مسعود، مرفوعاً «لا تستنجوا بالرَّوث والعظام فإنَّه زادُ إخوانكم من الجنّ»[٤]، وروى[٥] ابنُ خزيمة، والدارقطني، عن أبي هريرة: نهى أنْ يُستنجى بعظم أو روث، وقال: «إنهما لا يُطهِّران»[٦] وعليه[٧]: لا يجزي الاستنجاءُ بهما، كما هو ظاهر مذهب أحمد[٨].

---

(١) (ط): عن ذلك.

(٢) (ط): مع ما.

(٣) (ط): وقال.

(٤) مسلم، في الصحيح، رقم ٤٥٠، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٤٣٦، ٤٥٧.

(٥) (ط): لما روى.

(٦) ابن خزيمة، في الصحيح، رقم ٨٢، والدارقطني، في السنن ١/ ٥٦ وقال: إسنادٌ صحيح.

(٧) (ط): وعنه.

(٨) المذهب عند الحنابلة: لا يجوز الاستجمار بالروث والعظام ولا يُجزئ، واختار ابن =

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن سعيد بن جُبير، قال: من قطع تَميمةً من إنسان كان كعَدْل رقَبَةٍ. رواه وكيع[(١)].

ت: هذا عند أهل العلم له حُكم الرفع؛ لأن مثل هذا[(٢)] لا يُقال بالرأي. ويكون[(٣)] هذا مُرسلاً؛ لأن سعيداً تابعي.

فعلى هذا: يجب النهيُ عن تعليق التمائم، والترغيب في قطعها، وأنَّ ذلك مما يجب. وفيه: مع ما تقدم ـ من[(٤)] أنه شرك ـ[(٥)] بيانُ حال السلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، من تعظيم الشرك قليله وكثيره والنهيِ عنه.

فلمّا اشتدّت غُربة الإسلام في أواخر هذه الأمة، صار إنكارُ هذا وما هو أعظم منه مِن[(٦)] أعظم المنكرات حتى عند من يُنسب إلى العلم كما لا يخفى.

ووكيع، هو: ابنُ الجرَّاح بن وَكيع الكُوفي، ثقةٌ إمام، صاحبُ تصانيف، منها الجامع وغيره، روى عنه الإمامُ أحمد، وطبقتُه. مات سنة سبع وتسعين ومائة[(٧)].

= تيمية الإجزاء بهما. ينظر: المرداوي، الإنصاف ١/ ٢٢٤.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف ٧/ ٣٧٥.

(٢) (ص) (ط): ذلك.

(٣) (ط): فيكون.

(٤) (ط): من. ساقطة.

(٥) (ط): وبيان.

(٦) (ط): من. ساقطة.

(٧) ينظر ترجمته: ابن حجر، التقريب ١٠٣٧.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وله، عن إبراهيم، قال: كانوا يَكرهون التمائمَ كلَّها، من القرآن وغيرِ القرآن[١].

ش: إبراهيم، هو: الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي، الكوفي، يُكنى أبا عمران، ثقة من كبار الفقهاء. مات سنة ست وتسعين، وله خمسون سنة أو نحوها[٢].

قولُه: (كانوا يَكرهون) أراد أصحابَ عبد الله بن مسعود: كعلقمة، والأسود، وأبي وائل، والحارث بن سُويد، وعَبيدة السلماني، ومَسروق، والربيع بن خُثيم، وسويد بن غَفَلة، وغيرهم، وهم من سادات التابعين.

وفي زمانهم كانوا يُطلقون الكراهة على المحرّم. وهذا القولُ هو[٣] الصحيح؛ لأن ما كان من غير القرآن قد تقدّم النهيُ عنه بلا ريب.

[٢٥/أ] وأمّا إذا كان من القرآن فيتعيَّن/ النهيُ عنه أيضاً[٤]؛ لأمور ثلاثة. منها: دخولُه في عُموم المنهي عنه. ومنها: كونه ذريعة إلى تعليق ما ليس من القرآن، فيفضي إلى عدم إنكارها. الثالث: أنَّ تعليق القرآن يكون سبباً لامتهانه[٥]؛ فإنَّ من علَّقه[٦] فلا بدَّ أنْ يدخل به الخلاءَ ونحوه.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف ٧/ ٣٧٤، وأبو عُبيد، في فضائل القرآن ٣٨٢.

(٢) ينظر ترجمته: ابن حجر، التقريب ١١٨، وفي الأصل و (ط): بن زيد: تصحيف.

(٣) (ص) (ط): هو. ساقط.

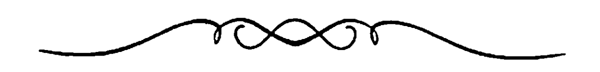
(٤) (ط): أيضاً. ساقطة.

(٥) (ص) (ط): في امتهانه.

(٦) (ط): فإن من علقه. ساقط.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والرُّقى: هي التي تُسمَّى العزائم. وخصّ منه[١] الدليلُ ما خلا مِن الشرك؛ فقد رخَّص فيه رسولُ الله ﷺ من العين والحُمَةِ. والتِّولة: شيءٌ[٢] يصنعونه يزعُمون أنَّه يُحبب المرأةَ إلى زوجها والرجلَ إلى امرأته.

ت: قال الحافظ: التِّولة: بكسر المثنَّاة وفتح الواو واللام مخففاً، كانت المرأةُ[٣] تجلب به محبةَ زوجها، وهو ضربٌ من السحر[٤]. والله أعلم.



(١) (ط): منها.

(٢) (ط): هي شيء.

(٣) (ط): شيء كانت.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ٦/ ١٩٦.

(٨)
بــــابُ
مَن تبرَّك بشجرةٍ أو حَجرٍ ونحوهما

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ من تبرَّك بشجرةٍ أو حجَر ونحوهما.

ت: كبُقعةٍ وقبر ومشْهد، وغير(١) ذلك. ومَن: اسمُ شرط، والجواب محذوفٌ تقديره: فقد أشرك بالله.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ الآيات [النجم: ١٩-٢٣].

ت: هذه الأوثانُ الثلاثة، هي أعظمُ أوثان أهل الجاهلية مِن أهل الحجاز. فاللَّاتُ: لأهل الطائف ومَن حولهم من العرب، والعُزّى: لقُريش وبني كِنانة، ومَناة: لبني هلال، وقال ابنُ هشام: كانت لهُذيل وخُزاعة(٢).

واللَّات: بتخفيف التاء في قراءة الجمهور، وقرأ: ابنُ عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وحميد، وأبو صالح، ورويس(٣)، عن يعقوب بشديد التاء.

فعلى الأولى، قال الأعمش: سمّوا اللات من الإله، والعُزّى من

---

(١) (ط): ونحو.

(٢) ابن هشام، السيرة ٤/ ١٣٨، وينظر: هشام الكلبي، كتاب الأصنام ١٤.

(٣) الأصل، و(ص): ورش. تصحيف.

العزيز[١]. وقال ابنُ كثير: اللات كانت صخرةً بيضاء منقوشة، عليها بيتٌ بالطائف له أستارٌ وسَدَنة، وحوله فناءٌ معظّم عند أهل الطائف ـ وهم ثقيف ومن تبعها ـ يفخرون به[٢] على من عداهم من أحياء العرب بعد قُريش. قاله ابنُ هشام[٣].

وعلى الثانية: قال ابنُ عباس: كان رجلاً يلتُّ السويق[٤] للحاج، فلما مات عكفوا[٥] على قبره. ذكره البخاري[٦].

قلتُ: ولا مُنافاة بين ما ذكره البخاريُّ وغيره، من عبادتهم الصخرة التي كان يُلَتُّ السويق عليها باسمه، وعبادةِ قبره لمّا مات.

وأمّا العُزّى، فقال ابنُ جرير: كانت صخرةٌ عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف، كانت قريشٌ يعظّمونها[٧]؛ كما قال أبو سفيان يوم أُحد: لنا العُزى ولا عزى لكم. قال رسول الله ﷺ :/ «قُولوا: اللهُ مولانا ولا مولى [٢/ب]

---

(١) ينظر: ابن جرير، التفسير ٢٢/ ٤٦.

(٢) (ط): بها.

(٣) ابن كثير، التفسير ١٣/ ٢٦٦، وينظر: ابن هشام، السيرة ٤/ ١٣٨. وكانت تقع كما يقول ابنُ الكلبي في كتاب الأصنام ١٦: في موضع مَنارة مسجد الطائف اليُسرى اليوم.

(٤) السويق: شرابٌ من حنطة وشعير. الفيومي، المصباح ٢٤٤.

(٥) (ط): فمات فعكفوا.

(٦) البخاري، في الصحيح، رقم ٤٨٥٩، وأخرجه ابن جرير، في التفسير ٢٢/ ٤٨، دون الجملة الأخيرة.

(٧) ابن جرير، التفسير ٢٢/ ٤٨. ونخلة: نخلةُ الشامية، وهو واد على ليلتين من مكة. ينظر: ياقوت، معجم البلدان ٥/ ٢٧٧.

لكم»[١].

ومناسبةُ هذه الآية للترجمة: أنَّ عبادة المشركين للعُزّى والصخرة ومَناة[٢] إنّما كان[٣] بالتفات القلوب رغبةً إليها في حصول ما يرجونه ببركتها، من نفع أو دفع[٤] ـ ومن ذلك التبركُ بها ـ[٥] فصارت أوثاناً تُعبد من دون الله، وذلك من شدة ضلال أهل الشرك وفساد عُقولهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾ [الفرقان: ٥٥][٦].

فصارت[٧] عبادة القبور، وعبادةُ الشجر والحجر: هو شركُ المشركين. وقد جرى ذلك وما هو أعظم منه في أواخر هذه الأمة.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أبي واقد اللَّيثيِّ، قالَ: خرجنا مع رسُولِ الله ﷺ إلى حُنَيْن، ونحن حُدثاءُ عهْد بكُفْر، وللمُشْركينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عندَها وينوطون بها أسلِحتهُمْ، يُقالُ لها ذَاتُ أَنْواطٍ، فمررنا بسدرة،

---

(١) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٣٠٣٩، ٤٥٦١، وأحمد، في المسند ٤/ ٢٩٣ من حديث البراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) (ط): والصخرة ومناة. ساقطة.

(٣) (ط): كانت.

(٤) (ط): أو دفع ضر.

(٥) (ط): ومن ذلك التبرك بها. ساقطة.

(٦) (ط) ذكر الآية ١٨ من سورة يونس.

(٧) (ط): فصار.

فقلنا: يا رسُول الله، اجعلْ لنا ذَاتَ أَنْواط كما لهمْ ذَاتُ أَنْواط، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهُ أكبر، إنها السُّنَنُ، قلتمْ ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ لَتركبُنَّ سُنَنَ مَنْ كانَ قبلَكُمْ» رواه الترمذيُّ وصحَّحه[1].

ش: قولُه: (عن أبي واقد) هو صحابيٌّ مشهور، مات سنة ثمان وستين، وله خمسٌ وثمانون سنة[2].

قولُه: (خرجنا مع رسول الله ﷺ) يُشير إلى أهل مكة، ممن إسلامُه قريب[3].

قولُه: (إلى حُنين) هو اسمُ واد بشرقي مكة معروف، قاتل فيه رسول الله[4] ﷺ هوازن؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥] والوقعةُ مشهورةٌ عند أهل المغازي والسير وغيرهم، وما جرى فيها من النصر وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم ونسائهم؛ كما في الآية الكريمة ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٦].

---

(١) الترمذي، الجامع رقم ٢١٨١، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٢١٨.

(٢) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ١٣/ ٧٧.

(٣) (ط): قريب إذ ذاك.

(٤) رسول الله. ليست في (ط). وحُنين: هو المعروف اليوم بالشرائع، عن مكة ٢٦ كيلاً. ينظر: ابن بليهد، صحيح الأخبار ٣/ ١٢٧.

قولُه: (ونحنُ حُدثاء عهد بكفر) يُشير إلى أهل مكة الذي أسلموا قريباً إذ ذاك[١]؛ فلذلك خفي عليهم هذا الشرك المذكور في الحديث، بخلاف من تقدم إسلامُه.

قولُه: (وللمشركين سدرةٌ يعكُفون عندها) عبادةً لها وتعظيماً وتبركاً؛ لما كانوا يعتقدونه فيها من البركة.

قولُه: (يُقال لها ذاتُ أنواط) هو برفع التاء، كما لا يخفى./ و[٢] (ينوطون بها أسلحتَهم) أي: يعلِّقونها. [٢٦/أ]

قولُه: (فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم) أي: للمشركين (ذاتُ أنواط) ظنوا أنَّ النبي ﷺ لو جعل لهم ذلك لجاز اتخاذها؛ لحصول البركة بها لمن اعتقد ذلك[٣] فيها. وأنواط: جمع نَوط، سمي به المنوط وهو مصدر[٤].

قولُه: (فقال النبي ﷺ: اللهُ أكبر) تعظيماً لله تعالى عن أن يجعل له شريك في عبادته التي هي حقه على عباده، كالتبرك بالأحجار والأشجار ونحوها[٥]؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) (ط): إذ ذاك. ساقط.

(٢) (ط) زيادة: قوله.

(٣) (ط): البركة لمن اعتقدها

(٤) (ط): وهو مصدر سمي به المنوط.

(٥) كالتبرك بالأحجار والأشجار ونحوها. ليست في (ط).

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ [يونس: ١٠٥]، وقال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣]، وهو الإخلاص. والشرك يُنافي ذلك، وتقدم معنى الحَنيف.

وتضمَّنت هاتان الآيتان، وما في معناهما: التوحيدُ الذي دلَّت عليه لا إله إلا الله، نفياً وإثباتاً؛ كما تقدم بيانُه.

فمن التفت قلبُه إلى غير الله لطلب نفع أو دفع ضر فقد أشرك؛ والقرآن كلُّه في تقرير[1] هذا الأصل العظيم: الذي هو أصلُ دين الإسلام، و هو الإخلاص[2] الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه.

قولُه: «السُّنن» بضم السين المهملة[3]. أي: الطرق. يُشير إلى الطرق التي تخُالف دينَه الذي شرعه الله تعالى[4].

قولُه: «قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ» حلف ﷺ على ذلك؛ تأكيداً لهذا الخبر، وتعظيماً له «كما قالت بنوا إسرائيل لموسى»[5]، أخبر: أنّ التبرك بالأشجار يجعلها آلهة[6]؛ ولذلك شبّه قولَهم هذا بقول بني إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ فظهر بهذا الحديث: أنّ التعلُّق على الأشجار والأحجار وغيرها لطلب البركة بها شركٌ في العبادة، كشرك عُبّاد الأصنام.

---

(١) (ط): تقدير.

(٢) وهو الإخلاص. ليس في (ط).

(٣) (ط): المهملة. ساقطة.

(٤) (ص) (ط) زيادة: لعباده.

(٥) (ط): زيادة: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ وإن لم يسموها آلهة.

(٦) (ط): زيادة: وإن لم يسموها آلهة.

قولُه: «لتركَبُنَّ سُنن من كان قبلكم» أي: اليهود والنصارى. وقد وقع كما أخبر به ﷺ في هذه الأمة. فركبوا طريق من كان قبلهم ممن ذكرنا؛ كما هو مذكور[١] في الأحاديث الصحيحة، كحديث: «**لتتبعُن سَنن من كان قبلكم حذوَ القُذَّة بالقذة حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله: اليهودُ والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»، و هو في الصحيحين، عن أبي سعيد الخُدري، و في رواية: «**ومَن الناسُ إلا أولئك**»[٢].



(١) (ط): مذكور. ساقطة.

(٢) سيأتي تخريجه في الباب (٢٢).



(٩)

بابُ
ما جاء في الذَّبح لغير الله

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء في/ الذَّبح لغير الله، وقولِ الله [٢٦/ب] تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ت: قال ابنُ كثير: يأمره[١] تعالى أن يُخبر المشركين الذين يَعبدون غيرَ الله، ويذبحون له: أنه أخلص لله صلاتَه وذبيحته؛ لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها. فأمره الله تعالى[٢] بمخالفتهم والانحرافِ عمّا هم فيه، والإقبالِ بالقصد والنيّة والعزم على الإخلاص لله تعالى. انتهى[٣].

فالصلواتُ الخمس: هي أعظمُ فرائض الإسلام بعد الشهادتين.

وقولُه: ﴿صَلَاتِي﴾ يشمل الفرائضَ والنوافل. والصلواتُ كلُّها عبادة، وقد اشتملت على نوعي الدعاء: دعاء المسألة، ودعاءِ العبادة. فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاءُ مسألة، وما كان فيها من الحمد والثناء

---

(١) (ط): يأمر.

(٢) (ط): فأمره تعالى.

(٣) ابن كثير، التفسير ٣/ ٣٧٧.

والتسبيح والتكبير[١] والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات فهو دعاءُ عبادة. وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة؛ لأنها اشتملت على نوعي الدعاء، الذي هو صلاة لغة وشرعاً. قرره شيخُ الإسلام، وابن القيم بهذا المعنى[٢].

قوله: ﴿وَنُسُكِي﴾ وقال الثوري، عن السدي، عن سعيد بن جبير: ﴿وَنُسُكِي﴾ ذبحي. وكذا[٣] قال الضحاك[٤].

قولُه: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: ما آتيه في حياتي، ومُتُّ[٥] عليه من الإيمان والعمل الصالح ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالصاً لوجهه ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ أي: من هذه الأمة. وهذا قولُ أئمة التفسير.

والمقصود: أنَّ هذه الآية دلّت على أنّ أقوال العبد وأعمالَه الباطنة والظاهرة لا يجوز أنْ يُصرف منها شيءٌ لغير الله كائناً مَن كان، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد وقع فيما نفاه تعالى من الشرك؛ بقوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ [الأنعام: ٧٩] والقرآنُ كلُّه: في تقرير هذا التوحيد في عبادته وبيانه، ونفي الشرك والبراءة منه.

---

(١) والتكبير. ليست في (ط).

(٢) بهذا المعنى. ليست في (ط). وينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٣١، وابن القيم، بدائع الفوائد ٣/ ٨٤٢.

(٣) (ط): وكذلك.

(٤) أخرجه الطبري، في التفسير ١٠/ ٤٧، ٤٨.

(٥) (ط): وما أموت.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢].

ت: قال شيخُ الإسلام: أمره أنْ يجمع بين هاتين العبادتين، وهما الصلاةُ والنسك الدالتان على القُرب والتواضع والافتقار وحُسن الظن وقوة اليقين وطمأنينةِ القلب إلى الله وإلى عِدته، عكس حال(١) أهل الكِبر والنُّفرة وأهل الغنى عن الله / الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم، والذين لا [٢٧/أ] ينحرون له خوفاً من الفقر؛ ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ الآية انتهى(٢).

وقد قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣] الآية.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عنْ عليٍّ، قال: حدَّثني رسولُ الله ﷺ بأربع كلماتٍ: «لعنَ اللهُ مَنْ ذبحَ لغيرِ الله، لعن اللهُ مَنْ لعنَ والدَيْهِ، لعَن اللهُ مَنْ آوَى محُدِثًا، لعنَ اللهُ مَنْ غيَّرَ مَنارَ الأَرْضِ» رواهُ مُسْلِمٌ(٣).

ت: قولُه: (عن علي) علي بن أبي طالب، هو: الإمام أبو الحسن الهاشمي، ابنُ عم النبي ﷺ وزوجُ ابنته فاطمة الزهراء، كان من أسبق السابقين الأولين ومن أهل بدر وبيعة الرِّضوان وأحدِ العشرة المشهود لهم بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين، ومناقبُه مشهورة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قتله ابنُ ملجم

---

(١) (ط): حال. ساقطة.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٣١.

(٣) مسلم في الصحيح رقم ١٩٧٨، وأخرجه أحمد في المسند ١/ ١٠٨، ١١٨، ١٥٢.

الخارجي في رمضان سنة أربعين[١].

قولُه: «لعن الله» قال أبو السعادات: أصلُ اللعن الطردُ والإبعاد من الله[٢].

قولُه: «من ذبحَ لغير الله» قال شيخُ الإسلام: قولـه ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] ظاهرُه: أنّه ما ذُبح لغير الله، مثل أنْ يقال: هذه[٣] ذبيحة لكذا. وإذا كان هذا[٤] هو المقصود، فسواء لفظ به أو لم يلفظ. وتحريمُ هذا أظهر من تحريم ما ذُبح للحم، وقال فيه: باسم المسيح،ونحوه. كما أنّ ما ذبحناه متقرِّبين به إلى الله كان أزكى وأعظمَ مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: باسم الله. فإذا حرُم ما قلنا[٥] فيه: باسم المسيح والزهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قُصد به ذلك أولى؛ فإن العبادة لغير الله أعظم كُفراً من الاستعانة بغير الله.

فعلى هذا فلو ذبح لغير الله مُتقرباً إليه يحرم، وإن قال فيه: بسم الله. كما قد يفعله طائفةٌ من منافقي هذه الأمة، الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك، وإن كان هؤلاء مُرتدين لا تُباح ذبيحتهم بحال. لكن يجتمع في الذبيحة ما نعان[٦]. قلت[٧]: ومن ذلك الذبحُ للجن.

---

(١) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٧/ ٢٧٥.

(٢) ابن الأثير، النهاية ٤/ ٢٥٥.

(٣) (ص) (ط): هذا.

(٤) (ط): هذا. ساقطة.

(٥) (ص) (ط): قيل.

(٦) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٦٣.

(٧) لكن يجتمع في الذبيحة مانعان. قلت. ساقط من (ط).

قولُه: «لعن الله مَن لعن والديه» يعني: أباه وأمه وإن عليا[1]؛ وفي الصحيح، أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شَتْم الرجل والديه» / قالوا يا [٢٧/ب] رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يَسبُّ أبا الرجل فيسب أباه ويسبُّ أمّه فيسب أمه»[2].

قولُه: «لعن الله من آوى محدثاً» هو بفتح الهمزة مَمدود[3]. أي: ضمَّه إليه، وحماه. وأمَّا «محُدثاً» فقال أبو السعادات: يُروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول. فمعنى الكسر: مَن نصر جانياً وآواه، وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يُقتصّ منه. والفتح: هو الأمر المُبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه: الرضى به والصبر[4]؛ فإنه إذا ارتضى بالبدعة وأقر فاعلَها ولم يُنكر عليه فقد آواه[5].

قال ابن القيم: هذه الكبيرة تختلف مراتبُها باختلاف مراتب الحدث بنفسه[6]، فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم[7].

---

(١) (ط): علوا.

(٢) البخاري، في الصحيح، رقم ٥٩٧٣، ومسلم، في الصحيح، رقم ٩٠، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ١٦٤ من حديث عبد الله بن عمرو.

(٣) (ط): ممدودة.

(٤) (ط): والنصر.

(٥) ابن الأثير، النهاية ١/ ٨٢، ٣٥١. وينظر: المسألة الخامسة.

(٦) (ط): في نفسه.

(٧) ابن القيم، كتاب الكبائر، كما في تيسير العزيز الحميد ١٩٢.

قولُه: «لعن الله من غيَّر مَنار الأرض» بفتح الميم: علامات حُدودها، وهي التي تُوضع لتمييز حق الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم في الأرض والدور. قال في النهاية: أي: معالمها وحدودها[١].

قلتُ: وذلك بأن يرفع ما جُعل علامة على تمييز حقه من حق شريكه، فيأخذ من حق شريكه بعضه[٢]. فهذا ظلمٌ عظيم؛ وفي الحديث: «من ظلم قيد شِبْر[٣] من الأرض طُوِّقه من سَبع أرضين يوم القيامة»[٤] فما أجهلَ أكثر الخلق، حتى وقعوا بجهلهم وظلمهم فيما يضرُّهم في دنياهم وأخراهم؛ وذلك لضعف الإيمان بالمعاد والحساب على الأعمال والجنة والنار، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعنْ طارقِ بن شهاب، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنةَ رجلٌ في ذُباب، ودخل النَّار رجلٌ في ذباب». قالوا: وكيف ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «مر رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يجوزُه أحدٌ حتى يقرِّبَ له شيئًا. فقالوا لأحدهما: قَرِّب. قال: ليس عندي شيءٌ أقرِّب. قالوا له: قرِّبْ ولو ذبابًا، فقرَّب ذبابًا، فخَلَّوا سبيلَه، فدخل النَّار. وقالوا للآخَر: قرِّب. قال: ما كنتُ لأقرِّب لأحدٍ شيئًا دُون اللهِ عز وجلَّ،

---

(١) ابن الأثير، النهاية ١/ ١٨٣.

(٢) ينظر: المسألة السادسة.

(٣) (ط): ظلم شبراً.

(٤) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٢٤٥٣، ومسلم، في الصحيح، رقم ١٦١٢، وأحمد، في المسند ٦/ ٦٤، ٧٩، ٢٥٢. من حديثة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

فضربوا عُنقَه، فدخل الجنَّة» رواه أحمد[١].

ت: قولُـه: (عـن طـارق) هـو[٢]: ابـنُ شِـهاب الـبَجَلي الأحمُسي، أبـو عبد الله، قال أبو داود: رأى النبيَّ ﷺ ولم يسمع منه شيئاً[٣].

قال الحافظ: إذا ثبت أنه لقي النبيَّ ﷺ فهـو صحابي/ وإذا ثبت أنـه لم [٢٨/أ] يسمع منه فروايتُه عنـه مُرسل صحابي، وهـو مقبول على الـراجح، وكانت وفاتُه على ما جزم به ابنُ حِبَّان سنة ثلاث وثمانين[٤].

قال ابنُ القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الإمـام أحمـد: حـدثنا أبو مُعاويـة، حـدثنا[٥] الأعمش، عن سُليمان بن ميسرة، عن طارق بـن شـهاب يرفعـه، قـال: **«دخـل الجنةَ رجلٌ في ذباب»** الحديث[٦].

قولُـه: «في ذُبـاب» أي: مـن أجلـه. قولُـه: (قـالوا وكيـف ذلـك يـا رسـول الله؟). كأنهم ــ والله أعلـم ــ تقـالّوا هـذا الفعـل[٧]، وهـو[٨] تقريـب الـذباب

---

(١) أحمد، في الزهد ٢٢، وأخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف ١٢/ ٣٥٨، وأبو نُعيم، في الحلية ١/ ٢٠٣ موقوفاً على سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) (ط): هو. ساقط.

(٣) أبو داود، السنن ١/ ٦٤٤.

(٤) ابن حجر، الإصابة ٥/ ٣٨٤.

(٥) (ط): حدثنا. ساقطة.

(٦) ابن القيم، الجواب الكافي (الداء والدواء) ٧٦.

(٧) (ط): العمل.

(٨) (ط): هو. ساقطة.

للصنم، فبيّن لهم ﷺ أنّ من فعل هذا وما هو أعظم منه وجبت له النار.

قولُه: «قال: مر رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يجوزُه أحد حتى يُقرِّب له شيئًا. فقالوا لأحدهما: قرِّب. قال: ليس عندي شيءٌ أُقَرِّب. قالوا له: قربْ ولو ذبابًا، فقرَّب ذبابًا فخلَّوا سبيلَه، فدخل النَّار» لأنه قصد غيرَ الله بقلبه و[1] انقاد بعمله، فوجبت له النار.

ففيه: معنى حديث مسلم ـ الذي تقدَّم في باب الخوف من الشرك ـ عن جابر مرفوعاً: «مَن لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار» فإذا كان هذا فيمن قرّب للصنم ذُباباً، فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم؛ ليتقرب بنحرها وذبحها لمن كان يعبد[2] من دون الله، من ميّت أو غائب أو طاغوت أو مشهد أو شجر أو حجر أو غير ذلك[3].

وكان هؤلاء المشركون ـ في أواخر هذه الأمة ـ يَعدّون ذلك أفضل من الأضحية في وقتها الذي شُرعت فيه، وربما اكتفى بعضُهم بذلك عن أن يُضحّي؛ لشدة رغبته وتعظيمه[4] لمن كان يعبده من دون الله، وقد عمّت البلوى بهذا وما هو أعظم منه.

قولُه: «وقالوا للآخر: قرِّب. قال: ما كنت لأقرِّب لأحدٍ شيئًا دون الله عز وجلَّ، فضربوا عنقه، فدخل الجنَّة» ففيه: معرفةُ قدر الشرك في قلوب أهل

---

(١) (ط): أو.

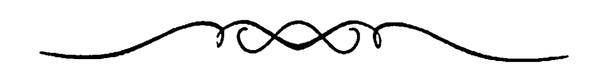
(٢) (ط): يعبده.

(٣) ينظر: المسألة التاسعة.

(٤) (ط) زيادة: ورجائه.

الإيمان ونُفرتهم منه(١)، وصلابتهم في الإخلاص(٢)؛ كما في حديث أنس ـ الذي في البخاري وغيره ـ الآتي إن شاء الله «ثلاث مِن كن فيه وجد حلاوة الإيمان» وفيه «وأنْ يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار» / . [٢٨/ب]

وفيه: تفاوتُ الناس في الإيمان(٣)؛ لأن هذا الرجل الذي قرّب الذباب لم يكن له عملٌ يستحق به دخول النار قبل ما فعله مع هذا الصنم، كما هو ظاهر الحديث، والله أعلم.



(١) (ط): عنه.

(٢) ينظر: المسألة العاشرة.

(٣) ينظر: المسألة الحادية عشرة إلى المسألة الثالثة عشرة.

(١٠)
بـــابٌ
لا يُذبحُ لله بمكانٍ يُذبح فيه لغير الله

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب لا يُذبحُ لله بمكانٍ يُذبح فيه لغير الله.

ت: أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى ما كان الناسُ يفعلونه في نجد وغيرها قبل دعوتهم إلى التوحيد، من ذبحهم للجن وطلب[1] الشفاء منهم لمرضاهم، ويتخذون للذبح لهم مكاناً مخصوصاً في دورهم. فنفى الله سبحانه الشركَ بهذه الدعوة الإسلامية، فلله الحمدُ على زوال الشرك والبدع والفساد؛ بطلعة الداعي إلى توحيد رب العباد[2].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولُ الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ﴾ [التوبة: ١٠٨].

ت: أي: مسجد الضرار المذكور في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًاۢ بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨]

---

(١) (ط): لطلب.

(٢) (ط): العالمين.

هو[١] مسجد قُبا[٢]، فقد أُسس على التقوى من أول يومٍ قدم فيه ﷺ المدينة مُهاجراً.

وكان أهلُ مسجد الضرار قد بنوه قبل خُروج رسول الله[٣] ﷺ إلى غزوة تبوك، فأتوه فسألوه أن يُصلي فيه، وذكروا له أنهم إنما[٤] بنوه للضعفاء وأهل العِلة[٥] في الليلة الشاتية[٦]، فقال: «إنا على سفرٍ ولكن إذا رجعنا إن شاء الله» فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة، ولم يبق بينه وبينها إلا يومٌ أو بعضُه نزل الوحي بخبر المسجد، فبعث إليه وهدمه قبل قُدومه إلى المدينة ـ صلواتُ الله وسلامه عليه ـ وأنزل الله فيه هذه الآيات[٧].

---

(١) (ص) (ط): وهو.

(٢) قُبا: اسمُ بئر في العوالي، لبني عمرو بن عوف من الخزرج، يقع في الجنوب الغربي من المدينة على ميلين منها، حتى امتد إليها عمران البلد فأصبح حياً من أحيائها، وقد بنى رسولُ الله ﷺ أول قدومه على الأنصار مسجداً عنده في مِرْبد لكلثوم بن الهدم، فسمّي مسجد قباء. وكان النبي ﷺ يأتيه كل سبت؛ كما في صحيح البخاري. ينظر: الحموي، معجم البلدان ٤/ ٣٠١.

(٣) (ط): النبي.

(٤) (ط): إنما. ساقطة.

(٥) العِلّة: المرض الشاغل. ينظر: الفيومي، المصباح المنير ٣٤٧.

(٦) من قوله: وذكروا. إلى هنا معلق في هامش الأصل وعليه كلمة صح.

(٧) أخرجه ابن إسحاق، في المغازي، كما في الدلائل للبيهقي ٥/ ٢٥٩، وابن مردويه، كما في الدر المنثور ٧/ ٥٢٥، وله شاهدٌ عن ابن عباس: أخرجه الطبري، في التفسير ١١/ ٦٧٥، وابن المنذر، كما في الدر المنثور ٧/ ٥٢٢ وابن أبي حاتم، في التفسير ٦/ ١٨٧٩، والبيهقي، في الدلائل ٥/ ٢٦٢.

ووجهُ مُطابقة الآية للترجمة: أنّ هذا المسجد لما أُسس على معصية الله والكفر به صار محلّ غضب؛ فنهى الله نبيه ﷺ أنْ يقوم فيه[١].

وخرج مخرج الخصوص، والنهيُ عام. وما كان مثلُه من الأمكنة ـ مما أعدّ للمعصية وخص بفعلها فيه ـ[٢] فإنّه يُعطي حكمه؛ لوجود العلة المانعة[٣]؛ لأن المعصية صيّرته محلاً خبيثاً، وأثرت فيه بالنهي عن العبادة فيه. ويقابلُ ذلك المساجد[٤] فإن الله شرفها؛ لما بنيت لطاعته والصلاة فيها جمعة و جماعة[٥]. وهي/ أشرف بقاع الأرض، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ [٢٩/أ] ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ﴾ [النور: ٣٦-٣٧] الآية. فما أحسن هذا القياس، ويأتي تقريرُه إن شاء الله تعالى في الحديث في الباب.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن ثابت بن الضَّحَّاك، قال: نذرَ رجلٌ أنْ يَنْحرَ إبلاً بِبُوَانَةَ، فسألَ النَّبيَّ ﷺ، فقال: «هل كانَ فيها وثنٌ منْ أوثانِ الجاهليَّة يُعبَد؟». قالوا: لا. قال: «فهل كانَ فيها عِيدٌ من أعيادِهِم؟». قالوا: لا. فقال رسُول الله ﷺ: «أوفِ بنذْركَ، فإنَّه لا وفاء لنذرٍ في معصيَة الله،

---

(١) (ط) زيادة: لوجود العلة المانعة.

(٢) مما أعد للمعصية وخص بفعلها فيه. ليست في (ط).

(٣) لوجود العلة المانعة. ليست في (ط).

(٤) (ط): المسجد.

(٥) من قوله: فإن الله. إلى هنا. ليس في (ط).

ولا فيما لا يملكُ ابنُ آدم» رواه أبو داود، وَإسناده على شرطهما[(١)].

ت: قولُه: (عن ثابت بن الضحاك) أي: ابن خليفة لأشهلي، صحابيٌّ مشهور، روى عنه أبو قِلابة وغيرُه. مات سنة أربع وستين[(٢)].

قولُه: (بِبُوانة) بضم الباء، وقيل بفتحها. قال البغوي: موضعٌ في أسفل مكة، دون يَلَملَم[(٣)]. قال أبو السعادات: هَضْبَةٌ من وراء يَنبع[(٤)].

قولُه: «فهل كان فيها وثنٌ مِن أوثان الجاهلية يُعبد؟» فيه: المنعُ من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثنٌ، ولو بعد زواله. قاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]. وهو شاهدُ الترجمة.

قولُه: «فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟» قال شيخُ الإسلام: العيد اسمٌ لما يعود من الاجتماع العام على وجه مُعتاد، عائدٌ إما بعود السنة أو بعود الأسبوع والشهر ونحوه، والمراد به هنا: الاجتماعُ المُعتاد من اجتماع أهل

---

(١) أبو داود، في السنن، رقم ٣٣١٣، وله شاهدٌ من حديث كردم: أخرجه أبو داود، في السنن، رقم ٣٣١٤، وابن ماجه، في السنن، رقم ٢١٣١، وأحمد، في المسند ٣/ ٤١٩، ٦/ ٣٦٦، وصححه ابن تيمية وابن حجر. ينظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٣٦، وابن حجر، التلخيص ٤/ ١٨٠.

(٢) ينظر في ترجمته:، ابن حجر، الإصابة ٢/ ٤٨.

(٣) البغوي، شرح السنة ١٠/ ٣١ ولم يُشر إلى ذلك الحموي في مُعجم البلدان ١/ ٥٠٥.

(٤) ابن الأثير، النهاية ١/ ١٦٤. وعُلّق في هامش الأصل و (ص) ما نصه: وله يقول وضَّاح اليمن: أيا نخلتي وادي بُوانة حبَّذا إذا نام حرّاسُ النخيل جناكما. اهـ ينظر: الحموي، المعجم ١/ ٥٠٦.

(٥) المسألة السادسة.

الجاهلية. فالعيدُ يجمع أموراً، منها: يوم عائدٌ، كيوم الفِطر ويوم الجمعة، ومنها: اجتماعٌ فيه، ومنها: أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات. وقد يختص العيدُ بمكان بعينه، وقد يكون مُطلقاً. وكلٌّ من هذه الأمور قد يُسمى عيداً: فالزمان[١]؛ كقول النبي ﷺ في يوم الجُمعة: «**إن هذا يومٌ جعله الله للمسلمين عيداً**»[٢]. والاجتماع[٣] والأعمال؛ كقول ابن عباس: شهدتُ العِيد مع رسول الله ﷺ[٤]. والمكان؛ كقول النبي ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عِيداً**»[٥].

وقد يكون العيدُ[٦]: لمجموع اليوم والعمل فيه، وهو الغالب؛ كقول النبي ﷺ: «**دعهما يا أبا بكر فإنّ لكل قومٍ عيداً**»[٧] انتهى[٨][٩].

---

(١) (ط): في الزمان.

(٢) أخرجه ابن ماجه، في السنن، رقم ١٠٩٨، والطبراني، في الصغير، رقم ٧٦٢ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٣٠٣، ٥٣٢، والبيهقي، في السنن الكبرى ٣/ ٢٤٣، وشاهدٌ مرسل: أخرجه مالك، في الموطأ، رقم ١٤٤، وابن أبي شيبة، في المصنف ٢/ ٩٦.

(٣) (ط): وللاجتماع.

(٤) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٩٧٧، ٥٢٤٩، وأحمد، في المسند ١/ ٢٤٢.

(٥) سيأتي تخريجه في الباب (٢١).

(٦) (ط): يكون لفظ العيد اسماً.

(٧) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٩٥٢، ٣٩٣١، ومسلم، في الصحيح، رقم ٨٩٢، وأحمد، في المسند ٦/ ٣٣، ٩٩، ١٣٤ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٨) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٤١.

(٩) (ط): زيادة: وقد أحدث هؤلاء المشركون أعياداً عند القبور التي تعبد من دون الله =

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه استفصالُ المفتي، والمنعُ من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله[١].

[٢٩/ب] قلتُ: وفيه / المنعُ من اتخاذ آثار المشركين محلاً لعبادة الله[٢]؛ لكونها صارت محلاً لما حرّم الله من الشرك والمعاصي. والحديثُ وإن كان في النذر، فيشمل كلَّ ما كان عبادة لله؛ إذ لا فرق[٣]، فلا تُفعل في هذه الأماكن الخبيثة التي اتُّخذت محلاً لما يُسخط الله، فبهذا صار الحديثُ شاهداً للترجمة[٤].

والمصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يُرد التخصيص بالذبح، وإنّما ذكر الذبح كالمثال[٥].

قولُه: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ» وذلك لعدم المانع.

= ويسمونها عيداً، كمولد البدوي بمصر وغيره، بل هي أعظم لما يوجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة.

(١) المسألتان الرابعة والسابعة.

(٢) (ط): للعبادة.

(٣) إذ لا فرق. ليست في (ط).

(٤) (ط): فهذا الحديث شاهد للترجمة.

(٥) (ط): زيادة: وقد استُشكل جعلُ محل اللات بالطائف مسجداً، والجواب - والله أعلم -: أنه لو تُرك هذا المحل في هذه البلدة لكان يُخشى أن تفتتن به قلوب الجهال، فيُرجع إلى جعله وثناً كما كان يفعل فيه أولاً. فجعلُه مسجداً والحالة هذه يُنسي ما كان يُفعل فيه، ويَذهب به أثرُ الشرك بالكلّية، فاختص هذا المحل لهذه العلة، وهي قوة المُعارض. والله أعلم.

قولُه: «فإِنَّهُ لا وفاءَ لنذْرٍ في معْصِيَةِ الله». فالحديثُ: دلّ على أنّ اتخاذ أماكن الشرك والمعاصي لا يجوِّز أنْ يُعبد اللهُ فيها، ونذرُ ذلك معصيةٌ لا يجوز الوفاءُ به(١).

قولُه «ولا فيما لا يَملك ابنُ آدم». قال في شرح المصابيح: يعني إذا أضاف النذرَ إلى معيّن لا يملكه، بأن قال: إن شفى اللهُ مريضي، فلله علي أن أُعتقَ عبد فلان، ونحو ذلك. وأمّا(٢) إذا التزم في الذّمة، بأن قال: إنْ شفى اللهُ مريضي فلله علي أن أعتق رقبة. وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها، فإذا شفى اللهُ مريضه ثبت ذلك في ذمته.

قولُه: (رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما) أي: البخاري ومسلم. وأبو داود، اسمه: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بَشير بن شداد الأزدي السجستاني، صاحبُ الإمام أحمد، ومصنفُ السنن والمراسيل وغيرِهما، ثقةٌ إمام حافظ من كبار العلماء، مات سنة خمس وسبعين ومائتين(٣).



---

(١) ينظر: المسألة الثامنة.

(٢) (ط): فأما.

(٣) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٤٠٤.

(١١)
بـــابٌ
من الشِّرْك النَّذرُ لغير الله

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ من الشرك النذرُ لغير الله، وقولُ الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ الآية [الإنسان: ٧].

ت: قال العِمادُ بن كثير: أي: يتعبّدون الله فيما أوجب[١] عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر[٢].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

ت: قال ابنُ كثير: يخُبر تعالى بأنه عالمٌ بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات، وتضمَّن ذلك مجازاته[٣] على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجه الله[٤].

قال شيخُ الإسلام: وأما ما نُذر[٥] لغير الله، كالنذر للأصنام والشمس

---

(١) (ط): أوجبه.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٨/ ٣١٣.

(٣) (ط): مجازاتهم.

(٤) ابن كثير، التفسير ١/ ٥٧٢.

(٥) (ط): النذر.

والقمر والقبور ونحو ذلك: فهو شرك.

وقال: ـ فيمن نذر للقبور ونحوها دُهناً لتنوّر به ويقول: إنها تقبل النذر كما يقولُه بعضُ المشركين ـ فهذا النذرُ معصيةٌ باتفاق المسلمين/ [٣٠/أ] لا يجوز الوفاءُ به، وكذلك إذا نذر مالاً للسّدنه أو المجاورين أو[1] العاكفين بتلك البقْعة؛ فإن فيهم شبهاً من السَّدنة التي كانت عند اللّاتِ و[2] العُزَّى ومَناة، يأكلون أموالَ الناس بالباطل ويصدُّون عن سبيل الله. والمجاورون هناك فيهم شبهٌ من الذين قال فيهم الخليلُ عليه السلام ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾ [الأنبياء: ٥٢]. فالنذرُ لأولئك السَّدنة والمجاورين في هذه البقاع نذرُ معصية، وفيه شبهٌ من النذر لسدنة الصُّلبان والمجاورين عندها. انتهى[3].

وذلك لأن الناذر لله وحده، قد[4] علّق رغبته به وحده؛ لعلمه بأنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى ولا مُعطي لما منع. فتوحيدُ القصد هو[5] العبادة[6]؛ ولهذا ترتب عليه وجوبُ الوفاء فيما[7] نذره طاعة لله، والعبادة[6] إذا صُرفت لغير الله صار ذلك شركاً بالله؛ لالتفاته

---

(١) (ط): أو. ساقطة.

(٢) (ط): اللات و. ساقطة.

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٤٤.

(٤) (ط): قد. ساقطة.

(٥) (ط): هو توحيد.

(٦) ما بينهما معلقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح، وهو انتقال نظر.

(٧) (ص): بما.

إلى غيره فيما يرغب فيه[١].

فقد جعله شريكاً لله في عبادته[٢]، فيكون قد أثبت ما نفتْه لا إله إلا الله من إلهيَّة غير الله، ولم يُثبت ما أثبتته من الإخلاص.

وكلُّ هذه الأبواب التي ذكرها المصنف: تدلُّ على أنَّ مَن أشرك مع الله غيرَه بالقصد والطلب، فقد خالف ما نفته لا إله إلا الله. فعكس مدلولها، فأثبت ما نفته ونفى ما أثبتته من التوحيد، وهذا هو الشرك. هذا[٣] معنى قولِ شيخنا: وشرحُ هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب[٤].

فكلُّ شرك يقع أو قد وقع[٥]، فهو يُنافي كلمة الإخلاص وما تضمّنته من التوحيد.

قال الرافعي[٦] ـ في شرح المنهاج: وأمّا النذرُ للمشاهد ـ التي على قبر ولي أو شيخ، أو على اسم مَنْ حلَّها من الأولياء، أو تردّد في تلك

---

(١) (ط): زيادة: أو يرهب.

(٢) (ط): العبادة.

(٣) هو الشرك. هذا. ليست في (ط).

(٤) ينظر: كتاب التوحيد، الباب الخامس.

(٥) (ط): وقع أو قد يقع.

(٦) هكذا في جميع النسخ، والصواب: الأذْرَعي، كما في حاشية الشَرواني ١٠/ ١٠٠، والدرر السنية ١/ ٣٠١ وهو: أحمد بن حمدان بن أحمد الأذرَعي، أبو العباس، فقيه شافعي، له قوت المحتاج شرح المنهاج، والغنية وغيرهما، مات سنة ٧٨٣هـ. ينظر: ابن قاضي شُهبة، طبقات الشافعية ٢/ ٢٩٢.

البقعة[1] من الأولياء والصالحين ـ فإنْ قصد الناذرُ بذلك تعظيم البقعة[1] أو المشهد أو الزاوية، أو تعظيم من دُفن بها أو نُسبت إليه أو بُنيت على اسمه: فهذا النذرُ باطل غيرُ منعقد؛ فإنّ معتقدَهم أنّ لهذه الأماكن خُصوصيات، ويرون أنها مما يُدفع به البلاء، ويُستجلب به النعماء، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء، حتى إنهم لينذرون لبعض الأحجار لما قيل[2]: إنه استند إليها عبد صالح. وينذرون لبعض القبور السرجَ والشّمع والزيت، ويقولون: القبر الفُلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر. يعنون / [٣٠/ب] بذلك: أنه يحصل به الغرض المأمول، من شفاء مريض أو قُدوم غائب أو سلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المُجازاة. فهذا النذرُ على هذا الوجه باطلٌ لا شك فيه، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطلٌ مطلقاً. ومن ذلك: نذرُ الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل[3] عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء. فإنّ الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبركاً وتعظيماً، ظاناً أن ذلك قُربة. فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقادُ المذكور محرَّم سواء انتفع به مُنتفع أم لا[4].

---

(١) ما بينهما ساقط في (ط).

(٢) (ط): قيل لهم.

(٣) (ط): إبراهيم الخليل.اهـ. وقبرُ الخليل عليه السلام في المَرْبعة التي بناها سليمان بن داود عليه السلام بعد ذلك بزمن طويل في بلد حَبْرون، وهو البلد المعروف بالخليل الآن في فلسطين، إلا أن عين القبر لا تُعرف اليوم، وإن زعم بعضهم ذلك. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ١/ ٤٠٥.

(٤) ينظر: الشَرَواني، حاشية تحفة المحتاج ١٠/ ١٠٠.

وقال الشيخ قاسمُ الحَنَفي[١]، في شرح دُرر البحار: النذرُ الذي[٢] ينذرُه أكثرُ العوام على ما هو مُشاهد: كأن يكون لإنسان غائبٌ أو مريض، أو له حاجة، فيأتي إلى [قبر][٣] بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سُترةً، ويقول: يا سيّدي فلان، إنْ ردَّ الله غائبي أو عُوفي مريضي[٤] أو قُضيت حاجتي، فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا. فهذا النذرُ باطلٌ بالإجماع؛ لوجوه، منها: أنه نذرٌ لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادةٌ، والعبادةُ لا تكون لمخلوق. ومنها: أنّ المنذور له ميت؛ والميتُ لا يملك[٥]. ومنها: أنه ظن أنَّ الميتَ يتصرَّف في الأمور دون الله؛ واعتقادُ ذلك كفر.

إلى أن قال: و[٦] إذا علمت هذا، فما يُؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ويُنقل إلى ضرائح الأولياء تقرُّباً إليهم: فحرامٌ بإجماع المسلمين.

---

(١) القاسم بن قُطلوبُغا بن عبد الله المصري الحنفي، فقيهٌ مؤرخ، له شرح دُرر البحار، وتاجُ التراجم، وغيرهما. مات سنة ٨٧٩هـ. ينظر: إسماعيل البغدادي، هدية العارفين ١/ ٨٣٠.

(٢) (ط): الذي. ساقطة.

(٣) إضافة من المصادر.

(٤) (ط): أو عوفي مريضي. ساقط.

(٥) (ط): يملك شيئاً.

(٦) (ص) (ط): و. ساقطة.

نقله عنه ابنُ نُجيم[(١)] في البحر الرائق[(٢)]، ونقله المرشدي[(٣)] في تذكرته، وغيرُهما عنه[(٤)]، وزاد: وقد ابتُلي الناسُ بهذا لاسيما في مولد البَدوي[(٥)].

وقال الشيخ صُنع الله الحلبي الحنفي[(٦)] ـ في الرد على من أجاز الذبحَ والنذر للأولياء ـ: فهذا الذبحُ والنذر إنْ كان على اسم فلان فهو لغير الله، فيكون باطلاً؛ وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] والنذرُ لغير الله إشراكٌ مع الله، كالذبح لغيره. انتهى[(٧)].

---

(١) زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نُجيم، فقيهٌ حنفي، له كتاب البحر الرائق، والأشباه والنظائر وغيرهما. مات سنة ٩٧٠هـ. ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب ٨/ ٣٥٨.

(٢) ابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٢/ ٣٢٠-٣٢١.

(٣) عبد الرحمن بن عيسى العمري المَرشدي، فقيهٌ حنفي، مُفتي مكة. مات سنة ١٠٣٧هـ. ينظر: إسماعيل البغدادي، هدية العارفين ١/ ٥٤٨.

(٤) نقله الإمام محمد بن عبد الوهاب في مُفيد المستفيد ١/ ٣٠٤ (مجموع مؤلفات الشيخ)، وأبا بطين في الانتصار ٧٥.

(٥) أحمد بن علي البرّي البدوي، أبو العباس، من مجاذيب الصوفية. مات سنة ٦٧٥هـ، وله قبر في بلدة طندتا (طنطا) في مصر. الشذرات ٥/ ٣٤٥.

(٦) صُنع الله بن صُنع الله الحلبي المكي، فقيهٌ حنفي، واعظ، له كتاب سيف الله، وأُرجوزة في الحديث. مات سنة ١١٢٠هـ. ينظر: إسماعيل باشا، إيضاح المكنون ٢/ ٣٥، وهدية العارفين ١/ ٤٢٨.

(٧) صنع الله، سيف الله على من كذب على أولياء الله، ورقة ١١.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي الصَّحيحِ، عنْ عائشةَ، أنَّ رسول الله ﷺ قال:/ «مَن نذرَ أنْ يُطِيعَ اللهَ فليُطِعهُ، ومَن نذر أنْ يَعْصِيَ اللهَ فلا يَعْصِهِ»[١]. [٣١/أ]

ت: قولُه: (وفي الصحيح) أي: صحيحُ البخاري.

قولُه: (عن عائشة) هي: أمُّ المؤمنين زوجُ النبي ﷺ وابنة الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأعلمُ النساء بحديث رسول الله ﷺ، تزوجها النبيُّ ﷺ وهي ابنة سبع ودخل بها وهي ابنة تسع، وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة، ففيها خلافٌ.

فلا ينبغي أن[٢] يُقال: خديجةُ أفضل ولا عائشة أفضل؛ والتحقيق: أنّ لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة، مِن سبقها إلى الإيمان بالنبي ﷺ وتأييده في تلك الحال التي بُدئ بالوحي فيها؛ كما في صحيح البخاري[٣] وغيره. فما زالت كذلك حتى تُوفيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قبل الهجرة، ولعائشة من العلم بالأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة؛ لعلمها بأحوال النبي ﷺ ونزول الوحي بالأحكام وبيان[٤] الحلال والحرام، وكان الصحابةُ بعد وفاته يرجعون إليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبي ﷺ وحديثه، صلوات الله وسلامه عليه، ورضي عن أصحابه وأزواجه. تُوفيت سنة سبع وخمسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[٥].

---

(١) البخاري، في الصحيح، رقم ٦٦٩٦، ٦٧٠٠، وأخرجه أحمد، في المسند ٦/ ٣٦.

(٢) (ط): بل لا.

(٣) البخاري، في الصحيح، رقم ٣، ٣٣٩٣، ٦٩٨٢.

(٤) (ط): ونزول القرآن وبيان.

(٥) ينظر في الترجمة لخديجة، وعائشة: ابن حجر، الإصابة، ١٣/ ٣١٣، ١٤/ ٢٧.

قولُه: «مَنْ نذرَ أنْ يُطِيع اللهَ فَلْيُطِعْـهُ» لأنـه نـذَره لله خالـصاً، فوجـب عليه الوفاءُ به فصار عبادة.

وقد أجمع العلماء: على أنّ من نذر طاعةً لشرط يرجوه ـ كإنْ شفى اللهُ مريضي فعلي أنْ أتصدق بكذا ونحو ذلك ـ وجب عليه إنْ حـصل لـه ما علّق نذره على حصوله[١]. إلا أنَّ أبا حنيفة، قـال: لا يلزمه الوفـاء إلا بـما جنسه واجبٌ بأصْل الشرع، كالصوم ونحوه[٢]. وأما مـا لـيس كـذلك فـلا يُوجَبُ عليه الوفاء به[٣].

قولُه: «وَمَنْ نَـذَرَ أَنْ يَعْـصِيَ اللهَ فَـلاَ يَعْـصِهِ» زاد الطحـاوي[٤] «ولْيكفِّر عن يمينه»[٥]، وقد أجمع العلماء: أنه لا يجـوز الوفـاءُ بنـذر المعـصية[٦]. واختلفوا هل تجب فيه كفار يمين؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد، أحدهما: تجب. وهـو المـذهب[٧]، وروي: عـن ابـن مسعود، وابـن عبـاس، وبـه قـال أبـو حنيفة وأصحابه[٨].

---

(١) ابن المنذر، الإجماع ١٥٧.
(٢) (ط): ونحوه. ساقطة.
(٣) ينظر: ابن الهمام، فتح القدير ٥/ ١٨١.
(٤) الأصل: البخاري. تصحيف.
(٥) الطحاوي، مشكل الآثار ٣/ ٤٣.
(٦) ابن حزم، مراتب الإجماع ٢٥٩.
(٧) الصحيح من المذهب عند الحنابلة. ينظر: المرداوي، الإنصاف ٢٨/ ١٨٠.
(٨) ينظر: ابن الهمام، فتح القدير ٥/ ٨٥، وابن أبي عمر، الشرح الكبير ٢٨/ ١٨٠.

(١٢)
بـــابٌ
من الشرك الاستعاذةُ بغير الله

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ من الشرك الاستعاذةُ بغير الله.

ت: الاستعاذةُ: الالتجاء والاعتصام. فالعائذُ / قد هرب إلى ربِّه، والتجأ [٣١/ب] إليه مما يخافه عموماً وخصوصاً.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله[١] والاعتصام به، والانطراحِ بين يدي الرب والافتقار إليه والتذللِ له، أمرٌ لا تُحيط به العبارة. انتهى[٢].

وقد أمر اللهُ تعالى عباده في كتابه بالاستعاذة به في مواضع؛ كقوله ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]، وفي المعوِّذتين وغير ذلك. فهو عبادةٌ لا تجوز[٣] أن تُصرف لغير الله، كغيرها من أنواع العبادة.

---

(١) إلى الله. ليست في (ط).

(٢) ابن القيم، بدائع الفوائد ٢/ ٧٠٤.

(٣) (ط): لا يجوز.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولُ الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾ [الجن: ٦].

ت: قال أبو جعفر بن جَرير في تفسير[١] هذه الآية: عن ابن عباس، قال: كان رجالٌ من الإنس يبيتُ أحدُهم بالوادي في الجاهلية، فيقول: أعوذُ بعزيز هذا الوادي؛ فزادهم ذلك[٢] إثماً. وقال بعضُهم: فزاد الإنسُ الجنَّ باستعاذتهم بالجن ـ باستعاذتهم بعزيزهم ـ جراْةً عليهم، وازدادوا هم بذلك إثماً. وقال مجُاهد: فازداد الكفارُ طغياناً. وقال ابنُ زيد: وزادهم الجنُّ خوفاً[٣].

وقد أجمع العلماء: على أنه لا تجوز الاستعاذةُ بغير الله.

وقال ملا علي قاري الحنفي[٤]: لا تجوز الاستعاذةُ بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك ـ وذكر الآية ـ وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ [الأنعام: ١٢٨] الآية. فاستمتاعُ الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيّبات، واستمتاعُ الجني بالإنسي:

---

(١) (ط): تفسيره.

(٢) (ط): لذلك.

(٣) ابن جرير، التفسير ٢٣/ ٣٢٢، ٣٢٤-٣٢٦.

(٤) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: علي بن أبي العز الحنفي، وهو علي بن علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي الدمشقي، فقيهٌ حنفي، له التنبيه على الهداية، وشرح العقيدة الطحاوية. مات سنة ٧٩٢هـ. ينظر: ابن تغربردي، الدليل الشافي ١/ ٤٦٥.

تعظيمه إيّاه واستعاذته به وخضوعُه له. انتهى ملخصاً[١].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه: أنَّ كون الشيء يحصل به منفعةٌ دنيوية[٢] لا يدل على أنه ليس من الشرك[٣].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعنْ خَوْلَة بنتِ حَكيم، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَن نَزل مَنْزِلاً، فقال: أَعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ ما خلَق؛ لم يَضُرَّه شيءٌ حتَّى يرحل مِنْ منزله ذلكَ» رواه مسلم[٤]. / [٣٢/أ]

ت: هي[٥] خولةُ بنت حكيم بن أمية السُّلَمية، يقال لها: أمُّ شَريك، ويقال: إنها هي الواهبة، وكانت قبلُ تحت عثمان بن مظعون. قال ابنُ عبد البر: وكانت صالحةً فاضلة[٦].

قولُه: «أعوذُ بكلمات الله التامات» شرع اللهُ لأهل الإسلام أنْ يستعيذوا به بدلاً عما يفعله[٧] أهلُ الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فشرع اللهُ للمسلمين أنْ يستعيذوا بأسمائه وصفاته.

---

(١) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٧٦٥-٧٦٦.
(٢) (ط): زيادة: من كف شر أو جلب نفع.
(٣) المسألة الخامسة.
(٤) مسلم في الصحيح، رقم ٢٧٠٨، وأخرجه أحمد في المسند ٦/ ٣٧٧، ٤٠٩.
(٥) (ط): هي. ساقطة.
(٦) ينظر في الترجمة: ابن عبد البر، الاستيعاب ١٢/ ٣٠٣.
(٧) (ط): كما يفعل.

قال القُرطبي: قيل معناه: الكاملات التي لا يلحقها نقصٌ ولا عيب، كما يلحق كلام البشر. وقيل معناه: الشافية الكافية. وقيل: الكلمات هنا هي القرآن؛ فإن الله أخبر عنه أنه هُدى وشفاء. وهذا الأمرُ على جهة الإرشاد إلى ما يُدفع به الأذى، وعلى هذا: فحقٌّ المستعيذ بالله تعالى وبأسمائه وصفاته أنْ يَصدُق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويحُضر ذلك في قلبه. فمتى[(١)] فعل ذلك، وصل إلى مُنتهى طلبه ومغفرة ذنبه[(٢)].

قال شيخُ الإسلام: وقد نص الأئمةُ كأحمد وغيره، على أنه لا يجوز الاستعاذةُ بمخلوق؛ وهذا مما استدلوا به على أنّ كلام الله غيرُ مخلوق[(٣)]، قالوا: لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمرَ بذلك، ولهذا نهى العلماءُ عن التعازيم والتعاويذ التي لا يُعرف معناها؛ خشية أن يكون فيها شرك[(٤)].

قال ابنُ القيم: ومَن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرّب إليه بما يحُب فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة، ويُسميه استخداماً. وصَدَق، هو استخدامٌ من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه؛ ولذلك يخْدمه الشيطانُ، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة، فإن الشيطان لا يخضعُ له ولا يعبده كما يفعل هو به[(٥)].

---

(١) (ط): فمن.

(٢) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/ ٣٦.

(٣) (ط): ليس بمخلوق.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١/ ٣٣٦.

(٥) ابن القيم، بدائع الفوائد ٢/ ٧٦٠.

قولُه: «من شر ما خلق» قال ابن القيم: من كل شر[1]، في أي مخلوق قام به الشرُ من حيوان أو غيره، إنسياً أو جنياً أو هامّة أو دابة أو ريحاً أو صاعقة، أيَّ نوع كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة[2].

وما: هاهنا موصولة ليس إلا، وليس المرادُ بها العموم الإطلاقي، بل المرادُ التقييدي الوصفي، والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر / لا من شر [٣٢/ب] كل ما خلقه الله؛ فإن الجنة والأنبياء والملائكة ليس فيهم شر، والشرّ يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يُفضي إليه.



(١) (ط): من شر كل ذي شر.

(٢) ابن القيم، بدائع الفوائد ٢/ ٧٢٦.



(١٣)
بــــابٌ
من الشرك أن يستغيثَ بغير الله أو يدعُوَ غيره

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ من الشرك أن يستغيثَ بغير الله أو يدعُوَ غيره.

ت: قال شيخُ الإسلام: الاستغاثةُ هو[١] طلبُ الغَوث، وهو إزالة الشدة؛ كالاستنصار طلبُ النُّصرة[٢]، والاستعانةِ طلبُ العَون. انتهى[٣].

قلتُ: فبين الاستغاثة والدعاء عمومٌ وخصوص مُطلق، يجتمعان في مادة وهو دعاءُ المُستغيث، وينفرد الدعاءُ الذي هو مُطلق الطلب أو السؤال من غير المُستغيث؛ وقد نهى تعالى عن دُعاء غيره الأخصِ منه[٤] والأعم في كتابه، كما يأتي بيانُه.

فكلُّ ما قُصد به غيرُ الله تعالى مما لا يقدر عليه إلا الله[٥] تعالى، فهو من الشرك الذي لا يغفره الله؛ والأدلةُ على ذلك من القرآن والسنة أكثرُ من أن تُحصر.

---

(١) (ط): هي.

(٢) (ط): النصر.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١/ ١٠٣.

(٤) (ط): منه. ساقطة.

(٥) (ط): زيادة: كدعوة الأموات والغائبين.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولُ الله تعالى ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

ش: قولُـــه: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ففي هذه الآية النهيُ عن أنْ يُدعى أحدٌ من دونه تعالى، وأخبر تعالى أنّ غيره لا يضر ولا ينفع.

وقولُه: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والظلمُ في هذه الآية هو الشرك؛ كما قال تعالى عن لُقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

وقولُـــه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ هـــذا في حـــق المُستغيث، أخبر تعالى أنه[١] لا يكشف ضُرَّه إلا الله وحده دون ما سواه مُطلقاً.

وقولُـه: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ وهـذا في حـق كـلِّ طالـب وراغب. أخبر تعالى أنه[١] هو الذي يتفضَّل على مَن سأله، ولا يقدر أحدٌ أنْ يمنعه شيئاً من فضل الله عليه؛ فهو المُعطي والمانع، لا مانع لما أعطى، ولا مُعطي لما منع.

وفي هذا المعنى: ما في حديث ابن عباس، وفيه: «واعلمْ أنَّ الأمة لو اجتمعوا على أنْ ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيء قد كَتَبه الله لك، ولو اجتمعوا على أنْ يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»[٢].

---

(١) ما بينهما ساقطٌ من (ط).

(٢) أخرجه الترمذي، في الجامع، رقم ٢٥١٦، وقال: حديثٌ حسن صحيح، وأحمد، في =

فمن تدبَّر هذه الآية، وما في معناها: علم أنّ ما وقع فيه الأكثرُ من دعوة غير الله هو الظلمُ العظيم، والشرك الذي لا يُغفر، وأنهم قد أثبتوا ما نفته لا إله إلا الله من الشرك في الإلهية، ونفوا ما أثبتته / من الإخلاص؛ كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣]، والدين، هو: طاعةُ الله فيما أمر به وشَرَعه، ونهى عنه وحرَّمه. [٣٣/أ]

وأعظمُ ما أمر به: التوحيدُ والإخلاص، وأن لا يَقصد العبد بشيءٍ من عمله سوى الله تعالى؛ الذي خَلَقه لعبادته، وأرسل الرسلَ بذلك[1]، وأنزل[2] كتبه ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥][3].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقولُه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

ت: فهذه الآيةُ تبيِّن وتوضِّحُ ما تقرَّر في الآية قبلها[4]، فأخبر تعالى: أنه لا أضلَّ ممن يدعو أحداً من دونه كائناً مَن كان، وأخبر أنّ المدعو لا

= المسند ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، وصححه ابنُ رجب في جامع العلوم ١/ ٤٦٠. والشطر الثاني من الحديث ليس في (ط).

(١) (ط): بذلك رسله.

(٢) (ط): وأنزل به.

(٣) (ط): زيادة: وأعظم ما نهى عنه الشركُ به في ربوبيته وإلهيته.

(٤) الآية قبلها في التعليق لا في متن كتاب التوحيد.

يستجيب ما[1] طَلب منه من ميّت أو غائب، أو ممن لا يقدر على الاستجابة مُطلقاً من طاغوت أو وثن؛ فليس لمن دعا غيرَ الله إلا الخيبة والحرمان[2].

ثم قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾؛ كما قال تعالى في آية يونس: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٨-٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل: ٨٦][3].

ثم قال: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ فلا يحصل للمشرك يومَ القيامة إلا نقيض قصده، فيتبرأ منه المدعو[4] ومن عبادته، ويُنكر ذلك عليه أشد الإنكار، وقد صار المدعو للداعي عدواً.

ثم أخبر تعالى: أن ذلك الدعاء عبادة، بقوله: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾، فدلَّت أيضاً: على أنّ دعاء غيرِ الله عبادةٌ له، وأنَّ الداعي له في غاية الضلال.

---

(١) (ط): لما.

(٢) (ط): الخسران.

(٣) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ ليست في (ط).

(٤) (ط): المدعو. ساقطة.

وقد وقع من هذا الشركِ في آخر[١] هذه الأمة ما عمَّ وطم[٢]، حتى أظهر اللهُ مَن يُبيِّنه بعد أن كان مجهولاً عند الخاصة والعامة، إلا من شاء الله.

وهو في الكتابِ والسنة في غاية البيان، لكن القلوب انصرفت إلى ما زيّن لها الشيطان؛ كما جرى للأُمم مع الأنبياء والمُرسلين، لمّا دعوهم إلى توحيد الله: جرى لهم من شِدَّة العداوة ما ذكره الله؛ كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ / [٣٣/ب] مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣]، ويُشبه هذه الآية في المعنى قولُه تعالى[٣] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣-١٤]، أخبر: أنّ ذلك الدعاء شِركٌ بالله، وأنه لا يغفرُه لمن لقيه به.

فتدبّر هذه الآيات وما في معناها، كقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[٤] [الجن: ١٨]، وهو في القرآن أكثرُ من أن يُستقصى.

قال المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولُه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

---

(١) (ط): آخر. ساقطة.

(٢) (ط): ما طم وعم.

(٣) قوله تعالى. ليس في (ط).

(٤) في (ط) زيادة: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

ت: وهذا مما أقر به المشركون[1] العرب وغيرُهم في جاهليتهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥] أخبر تعالى: أنهم يُخلصون الدعاء له إذا وقعوا في شِدة.

قال أبو جعفر بن جرير: يقول تعالى[2] ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يفعلُ هذه الأشياء بكم ويُنعم بهذه النعم[3] عليكم؟

وقولُه: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تذكُّراً قليلاً من عظمة الله وأياديه عندكم، تذكَّرون وتعتبرون حُجج الله عليكم يسيراً؛ فلذلك أشركتم بالله غيرَه في عبادته[4].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وروى الطَّبرانيُّ، بإسناده: أنَّه كان في زمنِ النَّبيِّ ﷺ منافقٌ يُؤذي المؤمنين، فقال بعضُهم: قوموا بنا نستغيثُ برسولِ الله ﷺ من هذا المنافقِ. فقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّه لا يُسْتغاث بي، وإنَّما يُسْتغَاث بالله»[5].

---

(١) (ط): مشركوا.

(٢) يقول تعالى. ليست في (ط).

(٣) بهذه النعم. ليست في (ط).

(٤) ابن جرير الطبري، التفسير ١٨/ ١٠٢.

(٥) الطبراني عن عُبادة بن الصامت، كما في جامع المسانيد ٤/ ٥٦٨، قال الهثمي، في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، واحتج به ابنُ تيمية، كما في الاستغاثة ١٥٢. وأخرج القصة في =

ت: قولُه: (وروى الطبراني) الطبراني، هو الإمام الحافظ، سليمان بن أحمد بن أيوب اللَّخميّ الطبراني، صاحبُ المعاجم الثلاثة وغيرها؛ روى عن: النسائي، وإسحاق بن إبراهيم الدَّبَري، وخلقٍ كثير. مات سنة ستين وثلاثمائة[١]. روى هذا الحديث: عن عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قولُه: (فقال بعضُهم: قُومُوا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق)[٢].

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: إنّ النبي ﷺ كان لا[٣] يقدر أنْ يُغيثهم منه[٤].

قلتُ: فلعله أراد أنّ النبي ﷺ يترك المنافقين أن يَفْعَل[٥] بهم ما يستحقونه[٦]؛ مخافة أن يفتتن[٧] بعضُ المؤمنين من قبيلة المُنافق؛ وفي السنة ما يدلُّ على / ذلك، كما فَعل مع ابن أُبيّ وغيره. [٣٤/أ]

= سياق طويل، وبغير هذا اللفظ: أحمد، في المسند ٥/ ٣١٧، وابنُ سعد، في الطبقات ١/ ٣٨٧، وابنُ أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير ٩/ ٣٩٢، وقال: هذا حديثٌ غريب جداً.

(١) ينظر في ترجمته: الذهبي، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩١٣.

(٢) (ط): زيادة: الحديث.

(٣) (ط): لا. ساقطة.

(٤) ابن تيمية، الاستغاثة ٢٠٠.

(٥) (ط): كان يقدر أن يترك المنافقين يفعل.

(٦) (ط): زيادة. ولكن لم يفعل.

(٧) (ط): ينفض.

وقيل: إنّ النبي ﷺ كان يقدر أنْ يُغيثهم من ذلك المُنافق، فيكون نهيه ﷺ على هذا القول[١] عن الاستغاثة به: حمايةً لجناب التوحيد وسداً لذريعة[٢] الشرك، كنظائر ذلك مما نهى عنه[٣]، مما كان يُستعمل لغة[٤] فيما للمُستغاث به قدرة عليه. فنهى عنه[٥]؛ مخافة أن يقع من أمته الاستغاثةُ بمن لا يضر ولا ينفع، ولا يسمعُ ولا يستجيب: من الأموات، والغائبين، والطواغيت، والشياطين، والأصنام وغير ذلك.

وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمَّت به البلوى ـ كما تقدم ذكره ـ حتى أنهم أشركوا[٦] مع الله في ربوبيته وتدبير أمور[٧] خلقه، كما أشركوا[٨] معه في إلهيته وعبوديته[٩].



(١) (ط): على هذا القول. ساقط.
(٢) (ص) (ط): لذرائع.
(٣) (ط): كنظائره مما للمستغاث به قدرة عليه.
(٤) (ط): لغة وشرعاً.
(٥) (ط): فيما للمستغاث به قدرة عليه. فنهى عنه. ساقط.
(٦) (ص) (ط): أشركوهم.
(٧) (ط): أمر.
(٨) (ص) (ط): أشركوهم.
(٩) (ط): زيادة: والوسائلُ لها حكم الغايات في النهي عنها، والله أعلم.

(١٤)
بـــابُ

قولِ الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ قولِ الله تعالى ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

ت: وهذا مما احتجّ به تعالى على المُشْركين، لمّا وقع منهم من اتّخاذ الشُّفعاء والشركاء في العبادة؛ لأنهم مخلوقون، فلا يصلح أن يكونوا شركاء(١) لمن هم خلْقُه وعبيده.

وأخبر: أنهم مع ذلك لا يَستطيعون لهم نصراً، أي: لمن سألهم النُّصرة ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فإذا كان المدعو لا يقدر أنْ ينصر نفسه، فلأن لا ينصر غيره من باب أولى(٢). فبطل تعلُّقُ المُشرك بغير الله؛ بهذين الدليلين العظيمين، وهو: كونهم عَبيداً لمن خلقهم لعبادته، والعبد لا يكون مَعبوداً. الدليل الثاني: أنهم(٣) لا قُدرة لهم على نفع أنفسهم، فكيف يُرجى منهم أن

---

(١) (ط): هم شركاء.

(٢) (ط): الأولى.

(٣) (ط): أنه.

ينفعوا غيرَهم. فتدبّر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

ش: ابتدأ تعالى هذه الآيات، بقوله ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾ يخبر الخبيرُ: أنّ الملك له وحده، والملوكُ و جميع الخلق تحت تصرُّفه وتدبيره؛ ولهذا قال ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ فإنّ مَن كانت هذه صفتُه، فلا يجوز أنْ يُرغب ـ في طلب نفع أو دفع ضر ـ إلى أحدٍ سواه[1] تعالى وتقدّس. بل يجب إخلاصُ / الدعاء له، الذي هو أعظم أنواع العبادة. [٣٤/ب]

وأخبر: أنَّ ما يدعوه المشرك[2] لا يملك شيئاً، وأنهم لا يسمعون دُعاء من دعاهم، ولو فُرض أنهم يَسمعون فلا يستجيبون لداعيهم، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم، أي: يُنكرونه ويتبرّأون من[3] فعله معهم. فهذا الذي أخبر به الخبير، الذي لا يَخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

وأخبر: أنّ ذلك الدعاء شركٌ به، وأنه لا يغفره لمن لَقيه به. فأهلُ الشرك: ما صدّقوا الخبير، ولا أطاعوه فيما حكم به وشَرَع، بل قالوا: إن الميت يسمع، ومع سماعه ينفع. فتركوا الإسلام والإيمان رأساً؛ كما ترى

(١) (ط): سوى الله.

(٢) (ط): أهل الشرك.

(٣) (ط): ممن.

عليه الأكثرين من جَهلة هذه الأمة.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي الصحيح، عن أنس، قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أُحدٍ، وكُسِرتْ رَباعيتُه، فقال: «كيف يُفلح قومٌ شَجُّوا نبيهم؟» فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. وفيه: عن ابن عمر، أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول إذا رَفع رأسَه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العَنْ فُلاناً وفُلاناً» بعدَ ما يقولُ: «سمع الله لمَن حمده، ربّنا وَلَكَ الحمْد» فأنزلَ اللهُ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾، وفي رواية: يدعو على صَفوان بن أميّة، وسُهيل بن عمرو، والحارثِ بن هشام، فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

ت: وأسلم هؤلاء، وحسُن إسلامُهم.

قولُه: (في الصحيح) أي: الصحيحين، علّقه البخاري: عن حُميد، عن[1] ثابت، عن أنس[2]. ووصله: أحمدُ، والترمذي، والشافعي[3]، عن: حُميد، عن أنس[4].

---

(١) هكذا في جميع النسخ، والصواب: وعن.

(٢) البخاري، في الصحيح (فتح الباري) ٧/ ٣٦٥، وأخرجه عن ثابت موصولاً: مسلم، في الصحيح، رقم ١٧٩١، وأحمد، في المسند ٢/ ٢٥٣، ٢٨٨.

(٣) هكذا في جميع النسخ، والصواب: والنسائي.

(٤) أحمد، في المسند ٣/ ٩٩، ١٧٨، ٢٠٦، والترمذي، في الجامع، رقم ٢٠٠٥، وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح، والنسائي، في السنن الكبرى ١٠/ ٥١.

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والآياتُ في هذا[1] المعنى كثيرة.

والمقصودُ: أنَّ الذي له الأمر كلُّه والمُلك كلُّه، لا يستحق غيرُه شيئاً من العبادة؛ ولهذا المعنى قال تعالى لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]. فالذي قال الله في حقه صلوات الله وسلامه عليه[2]: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ وهو خيرةُ الله تعالى من خلقه، فما[3] زال يدعو الناس: إلى[4] أنْ يُخلصوا العبادة للذي له الأمر كلُّه، وهو الله. فهذا دينُه ﷺ الذي بُعث به، وأُمر أنْ يبلِّغه أمته ويدعوهم إليه؛ كما تقدم في باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله[5].

[٣٥/أ] فإياك أنْ تتبع سبيلاً غيرَ سبيل المؤمنين/ الذي شرعه اللهُ ورسوله لهم، وخصهم به.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه، عن أبي هُرَيرة، قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أُنْزِل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ أو كلمةً نحْوها ـ اشْتَرُوا أنفسكمْ، لا أُغْنِي عنكم مِن الله شَيْئًا، يا عبَّاسُ بن عبد المطَّلب لا أُغْنِي عنكَ مِن الله شيئًا، يا صفيَّةُ عمَّة

(١) ط: هذه.

(٢) قال الله في حقه صلوات الله وسلامه عليه. ليست في (ط).

(٣) (ط): ما.

(٤) (ط): إلى. ساقطة.

(٥) الباب الرابع.

رسول الله لا أُغْنِي عنكِ مِن الله شيئًا، ويا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ، سَلِيني مِن مالي ما شِئْتِ، لا أُغْنِي عنكِ منَ الله شيئًا»(١).

ش: قولُه: (وفيه، عن أبي هريرة) أي: في(٢) صحيح البخاري. واختُلف في اسم أبي هريرة، وصحّح(٣) النووي: أنَّ اسمَه عبد الرحمن بن صَخْر(٤). وهو دوسيٌّ من حُفَّاظ الصحابة، حفظ من الحديث ما لم يحفظه غيرُه؛ كما في صحيح البخاري، عن وهب بن مُنبّه، عن أخيه: سمعتُ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: ما من(٥) أصحاب رسول الله ﷺ أحدٌ(٦) أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو؛ فإنَّه كان يكتُب ولا أكتب(٧). مات سنة سبع ـ أو ثمانٍ أو تسع ـ وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة(٨).

وهذا الحديثُ له طرقٌ كثيرة، في الصحيحين والمسند، والسنن، وغيرها.

---

(١) البخاري، في الصحيح، رقم ٢٧٥٣، ٣٥٢٧، ٤٧٧١، ومسلم، في الصحيح، رقم ٢٠٦، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٣٦٠.
(٢) (ط): في. ساقطة.
(٣) (ط): وصححه.
(٤) ينظر: النووي، التهذيب ٢/ ٥٤٦.
(٥) (ط): من أحدٍ من.
(٦) (ط): أحد. ساقطة.
(٧) البخاري، في الصحيح، رقم ١١٣.
(٨) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ١٢١٨.

قولُـه: «يـا معـشر قـريش ــ أو كلمـةً نحوهـا ــ اشـترُوا أنفـسكم»، أي: بالإيمان بالله وبرسوله[١]، واتّباعه فيما جاءكم به، مما أُنزل عليه: مـن توحيـد الله تعالى في العبادة، وتركِ ما كنتم تعبدونه من دونـه مـن الأوثـان والأصنام؛ فإنّهم بذلك[٢] الشرك صاروا عَبيداً لمن لا يضر ولا ينفـع، ولا يـستجيب ولا يسمع[٣].

وهم قد عرفوا أنَّ ما كانوا يفعلونه من عبادة غير الله شركٌ بالله؛ فإنّهم كانوا[٤] يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريك[٥] هو لك تملكه وما مَلك. فسبحان الله، كيف جاز في عقولهم أنَّ المملوك يكون شريكاً لمالكه؛ وقد قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الروم: ٢٨-٢٩].

[٣٥/ب] قولُه: «لا أُغني عنكم من الله شيئاً» هـذا هـو معنـى مـا / تقدّم: مـن أنـه تعالى هو المتصرِّفُ في خلقه بما شاء مما اقتضته حكمتُـه في خلقـه وعلمُـه بهم، والعبد لا يعلـم إلا مـا علَّمـه الله، ولا ينجـو أحـدٌ مـن عذابـه وعقابـه إلا

---

(١) (ط): ورسوله.

(٢) (ط): بعد ذلك.

(٣) (ط): زيادة: إلا هو.

(٤) (ط): كانوا. ساقطة.

(٥) هكذا في الأصل و(ص)، والصواب: شريكاً. إما على الاستثناء أو البدل.

بإخلاص العبادة له وحده والبراءةِ من عبادة ما سواه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]، والنبيُّ ﷺ في هذا الحديث: أنذر الأقربين نذارةً خاصة، وأخبر أنه لا يُغني عنهم من الله شيئاً، وبلَّغهم وأعذر إليهم. فأنذر قريشاً ببطونها وقبائل العرب في مواسمها، وأنذر عمَّه وعمَّته وابنته ــ وهم أقربُ الناس إليه ــ وأخبر أنَّه لا يُغني عنهم من الله شيئاً؛ إذا لم يُؤمنوا به ويقبلوا ما جاء به من التوحيد وترك الشرك به.

قولُه: «سَليني مِن مالي مَا شِئتِ» لأنَّ هذا هو الذي يقدر عليه ﷺ، وما كان أمرُه إلى الله فلا قُدرة لأحدٍ عليه؛ كما في هذا الحديث. ولمَّا مات أبو طالب ــ وكان يحوط رسولَ الله ﷺ ويحميه، وقد كان لا يُنكر[1] ملةَ عبد المطلب من الشرك بالله ـ فقال[2] ﷺ: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنك» فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾[3] [التوبة: ١١٣] فأخبر: أنَّ أبا طالب من أصحاب النار؛ لما مات على غير شهادة أن لا إله إلا الله. فلم تَنفعه[4] حمايتُه للنبي[5] ﷺ من المشركين بدون البراءة من الشرك،

---

(١) (ط): ولم ينكر.

(٢) (ط): وقال.

(٣) سيأتي تخريجه في الباب رقم (١٧).

(٤) (ط): ينفعه.

(٥) (ط): النبي.

ولا اعترافُه(١) بأنَّ النبي ﷺ على الحق(٢)، لكنه(٣) لم يبرأ من ملة أبيه.

فكلُّ تعلُّقٍ على غير الله ــ من طلب شفاعة أو غيرها ــ شركٌ بالله، يكون(٤) وبالاً في الدنيا والآخرة. والشفاعةُ لا تكون إلا لأهل الإخلاص خاصة؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام: ٥١]. والآياتُ في هذا المعنى كثيرة، وكذلك الأحاديث ـ والله أعلم ـ وستأتي(٥) في: باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.



(١) (ط): من أن يكون من المشركين ولا الاعتراف.

(٢) (ط): زيادة: بدون البراءة من الشرك.

(٣) (ط): لأنه.

(٤) (ط): يكون عليه.

(٥) (ط): سيأتي.

(١٥)

بـــابُ

قولِ الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب قولِ الله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟/ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]. [٣٦/أ]

ت: قولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال عنها الفزَع. قاله ابنُ عباس وغيرُه(١). ذكر تعالى هذه الآية، في سياق قوله ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢].

قال ابنُ جرير: قال بعضُهم: الذين فُزِّع عن قلوبهم الملائكة، قالوا: وإنّما فُزِّع عن قلوبهم من غَشْيَةٍ تُصيبهم عند سماع كلام الله بالوحي(٢).

قال ابنُ كثير: وهو الحقُّ الذي لا مِرية فيه؛ لصحةِ الأحاديث فيه

---

(١) أخرجه ابن جرير، في التفسير ١٩/ ٢٧٥، وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ١٢/ ٢٠٦، وأخرجه عن قتادة: عبد الرزاق، في التفسير ٢/ ١٣٠، وابن أبي حاتم، في التفسير، كما في الدر المنثور ١٢/ ٢١٣، وأخرجه عن الحسن: عبد بن حُميد، وابن المنذر، كما في الدر المنثور ١٢/ ٢١٤.

(٢) ابن جرير، التفسير ١٩/ ٢٧٥.

والآثار[١].

وقال أبو حيّان[٢]: تظاهرتِ الأحاديثُ عن رسول الله ﷺ، أنَّ قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحيَ إلى جبرائيل وأمرَ الله به، سمعت كجرِّ السلسلة الحديد على الصَّفوان، فتفزع عند ذلك تعظيماً وهيبة. قال: وبهذا المعنى - مِنْ ذكر الملائكة في صدر الآيات - تتسقُ هذه الآية[٣] على الأولى، ومَن لم يشْعر أن الملائكة مُشارٌ إليهم من أول قوله ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ لم تتصل له[٤] هذه الآية[٥] بما قبلها[٦].

وهذه الآيات تقطع عُروقَ الشرك[٧]، بأمور أربعة: الأوّل: أنهم لا يملكون مثقال ذرَّة مع الله. والذي لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في[٨] الأرض، لا ينفع ولا يضر. فهو تعالى: هو الذي يملكهم، ويدبرهم

---

(١) ابن كثير، التفسير ٦/ ٥٠٣.

(٢) محمد بن يوسف بن علي النفْزي أبو حيّان الأندلسي، له البحر المحيط في التفسير، وشرح التسهيل في النحو وغيرهما. مات في القاهرة عام ٧٤٥هـ. ينظر: الداوودي، طبقات المفسرين ٢/ ٢٨٧.

(٣) الأصل: الآيات.

(٤) (ط): له. ساقطة.

(٥) الأصل: الآيات.

(٦) أبو حيّان، البحر المحيط ٧/ ٢٦٥، ونقله عن ابن عطية.

(٧) ينظر: المسألة الثانية.

(٨) (ط): لا في. ساقطة.

ويتصرّف فيهم وحده.

الثاني: قولُه: ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ أي: في السموات والأرض. أي: وما لهم شركٌ مثقال ذرة من السموات والأرض.

الثالث: قولُه: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ والظهير: المُعين. فليس لله معينٌ من خلقه، بل هو الذي يُعينهم على ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم[(١)]؛ لكمال غناه عنهم، وضرورتهم إلى ربهم فيما قل وكثُر من أمور دُنياهم وأخراهم.

الرابع: قولُه: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ فلا يشفع عنده أحدٌ إلا إذا أذن له؛ كما قال تعالى ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾[(٢)] [يونس: ٣]. وأخبر تعالى: أنَّ من اتّخذ شفيعاً من دُونه حُرم شفاعةَ الشفعاء؛ قال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ / وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨] لأن اتخاذ الشفعاء شركٌ؛ لقوله في حقهم ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾. [٣٦/ب]

والمشركُ مَنفيةٌ الشفاعةُ[(٣)] في حقه؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨] وقال: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ

---

(١) ويدفع عنهم ما يضرهم. ليست في (ط).

(٢) (ط): عنه الشفاعة.

(٣) (ط): إلا بإذنه.

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤] وذلك أنَّ متخذ(١) الشفيع: لابُد أنْ يرغب إليه، ويدعوه، ويرجوه، ويخافه، ويحُبه؛ لما يؤمِّله منه.

وهذه(٢) من أنواع العبادة، التي لا يُصرف منها شيءٌ لغير الله، وذلك الشرك(٣): يُنافي الإخلاص.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الصَّحِيحِ، عن أبي هُرَيرَة: أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «إذا قضى اللهُ الأمرَ في السَّماء ضربتِ الملائكةُ بأجنحتها خَضَعانًا لقوله، كأنَّه سلسلةٌ على صفوانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذلكَ. حتَّى إذا فُزِّع عن قلوبهم، قالوا: ماذا. قال: ربُّكم؟ قالوا: الحقَّ وهو العليُّ الكبير. فيسمعُها مُسترِقُ السَّمع، ومُسترِقُ السَّمْع هكذا بعضُه فوق بعض، ـ وصفه سُفيانُ بكفِّهِ. فحرَّفهَا وبَدَّد بين أصابعه ـ فيسمعُ الكلمةَ فيُلقيهَا إلى مَن تحته، ثُمَّ يُلقيها الآخَرُ إلى مَن تحته، حتَّى يُلقيها على لسانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فرُبَّما أدركه الشِّهابُ قبل أنْ يُلقيها، ورُبَّما ألقاها قبل أن يُدركه، فيكذبُ معها مائةَ كَذْبة، فيُقال: أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا. فيُصَدَّقُ بتلكَ الكلمة التي سُمِعَتْ مِن السَّماء»(٤).

---

(١) الأصل: متخذي.

(٢) الأصل: وهذه هي.

(٣) (ط): هو الشرك الذي.

(٤) البخاري، في الصحيح، رقم ٤٧٠١، ٤٨٠٠، ٧٤٨١. وأخرجه أبو داود، في السنن، رقم ٣٩٨٩.

ت: قولُه: (في الصحيح) أي: صحيح البخاري. ففي هذا الحديث: أنَّ من عرف الله تعالى ذلّ له تعظيماً ومهابة وخوفاً، لاسيما عند سماع كلامه تعالى؛ لأن قوله «إذا قضى الله الأمر» أي: بكلامه ووحيه إلى جبرائيل.

وقولُه «في السماء» يدل على العلو.

ففيه: إثباتُ كلام الله وعلوِّه على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل.

وهذا الحديث، ونحوُه: مما احتج به أهلُ السنة على الجهمية والأشاعرة والكُلَّابية[1] وغيرهم من أهل البدع، ممن ألحد بالتعطيل في أسماء الله وصفاته[2].

قولُه: «خَضَعاناً» / هو[3]: مصدر خَضَع. [٣٧/أ]

قولُه: «لقوله» صريحٌ: في أنهم سمعوا قولَه تعالى، وأنه بصوت، وأن ذلك ينفُذُ جميع الملائكة. أي: يسمعونه كلُّهم.

قولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال[4] عنها الفزع[5].

---

(١) (ط): والكلامية.

(٢) ينظر: المسألة العشرون.

(٣) (ط): هو. ساقطة.

(٤) (ط): أزيل.

(٥) تقدم ذلك في أول الباب.

قولُه: «فَيَسْمعُها مُسْترق السّمع» أي: الكلمة التي سمعها[١] الملائكةُ وتحدثوا بها.

قولُه: «ومسترقُ السّمع هكذا بعضُه فوْقَ بَعْض، وَصَفَه سُفيان» راوي الحديث ـ وهو: ابن عُيينة ـ (بكَفِهِ).

قولُه: «فيسمع الكلمة» يعني: مُسترق السمع «فيلقيها إلى مَن تحته» من الشياطين «ثُم يلقيها الآخرُ إلى مَن تحته، حتى يُلقيها على لسان الساحر أو الكاهن» ـ فيتكلم بها[٢] ـ الحديث.

قولُه: «فيكذب معها» أي: الساحر أو الكاهن «مائة كَذْبة» «فيُصَدَّق» في المائة كلِّها[٣] «بتلك الكلمة التي سُمعت مِن السماء» لقبول النفوس[٤] للباطل[٥].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعنِ النَّوَّاس بن سِمْعَانَ، قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحيَ بالأمرِ تكلَّم بالوحي، أخذت السَّمواتِ منه رَجْفةٌ ـ أو قال: رِعْدَةٌ ـ شديدةٌ؛ خوفًا مِن الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السَّمواتِ صَعِقُوا وخَرُّوا لله سُجَّدًا، فيكونُ أوَّلَ مَن يرفعُ رأسه جبرائيلُ، فيكلمه اللهُ مِن وحيه بما أرادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جبرائيل على

(١) (ط): سمعتها.

(٢) (ط): فيتكلم بها. ساقط.

(٣) (ط): في المائة كلها. ساقط.

(٤) (ط): الناس.

(٥) ينظر: المسألتان السابعة عشرة، والثامنة عشرة.

الملائكة، كُلَّما مرَّ بسماء سأله ملائكتُها: ماذا قال ربنا يا جبرائيلُ. فيقولُ جبرائيل: قال الحقَّ، وهو العليُّ الكبير. فيقولون كُلُّهم مثل ما قال جبرائيل، فينتهي جبرائيل بالوحي إلى حيثُ أمرهُ اللهُ عز وجل»[١].

ت: الحديثُ: رواه ابنُ أبي حاتم بسنده[٢]

(عن النَّوّاس بن سِمْعان)[٣] ــ بكسر السين ــ ابن خالد الكِلابي، ويقال[٤]: الأنصاري. صحابيٌّ، ويقال: إنَّ أباه صحابي أيضاً[٥].

قولُه: «إذا أراد اللهُ» فالإرادة صفةٌ من صفات الله، وهي نوعان: شرعية وقدَرية؛ كما قال تعالى ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾[٦] [الإسراء: ١٦] ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[٧] [الكهف: ٨٢]. ونحو هذه الآيات.

قولُه: «أنْ يُوحيَ بالأمر» فيه: بيانُ معنى ما تقدّم في الحديث قبله، من

---

(١) ابنُ أبي حاتم، في التفسير، كما في الدر المنثور ١٢/ ٢٠٩، وأخرجه ابن جرير، في التفسير ١٩/ ٢٧٨، وابنُ خزيمة، في التوحيد، رقم ٢٠٦، وابن أبي عاصم، في السنة ١/ ٢٢٧، والطبراني، في المسند، رقم ٥٩١. قال ابن تيمية في الصفدية ١/ ٢١٤: معروف من حديث النواس بن سمعان. ويشهد له الحديث قبله.

(٢) الحديث رواه ابن أبي حاتم بسنده. ليست في (ط).

(٣) (ط): زيادة: ابن سمعان.

(٤) (ط): ويُقال له.

(٥) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ١١/ ١٣٦.

(٦) (ط): زيادة: الآية.

(٧) (ط): زيادة: وقال ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.

قوله «إذا قضى الله الأمر».

قولُه: «تكلَّم بالوحْي» فيه: التصريحُ بأنَّه تكلم[١] بالوحي، فيوحيه إلى جبرائيل عليه السلام. ففيه/ [٣٧/ب] الردُّ على الأشاعرة، في قولهم: إنَّ القرآن عبارةٌ عن كلام الله[٢].

قولُه: «أخذتِ السمواتِ منه رَجفةٌ ـ أو قال رِعْدَةٌ ـ شديدةٌ؛ خوفاً من الله عَز وجلَّ» في هذا[٣]: معرفةُ عظمة الله، ويُوجب للعبد شدَّةَ الخوف منه تعالى. وفيه: إثباتُ العلو.

قوله: «فإذا سمع ذلك أهلُ السموات صَعِقُوا وخَرُّوا لله سُجّداً» هيبةً وتعظيماً لربهم وخشية، ولما سمعوه من كلام الله[٤] تعالى وتقدس.

قولُه: «فيكُونُ أوّلَ مَنْ يَرفعُ رأسَهُ جِبْرائيلُ» لأنه مَلَكُ الوحي عليه السلام.

قولُه: «فيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وحيِهِ بما أراد» فيه: التصريحُ بأنَّه تعالى يُوحي إلى جبرائيل بما أراده من أمره؛ كما تقدم في الحديث[٥].

قولُه: «ثمَّ يَمُرُّ جِبْرائيلُ على الملائِكَةِ، كُلَّما مَرَّ بسماءٍ سَأَلَهُ ملائِكَتُهَا» وهذا أيضاً: من أدلة علوّ الرب تعالى.

---

(١) (ص) (ط): يتكلم.

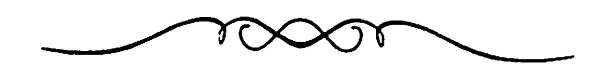
(٢) ينظر: المسألة العشرون.

(٣) (ط): هذه.

(٤) (ط): لما سمعوا من كلامه.

(٥) (ص) (ط): أول الحديث.

قولُه: «ماذا قال ربُّنا يا جِبْرائيلُ؟ فيقُولُ: قال الحقَّ، وهو العَلِيُّ الْكَبِيرُ. فيقُولُونَ كُلُّهُم مثْل ما قال جِبْرائيلُ، فينْتَهِي جِبْرائيلُ بِالوحي إلى حيثُ أمرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ» وهذا دليلٌ: بأنه قال، ويقول؛ وهو في القرآن كثير(١). وأهلُ البدع ـ كالجهيمة(٢) ومن تلقّى عنهم، كالأشاعرة ـ جحدوا ما أثبته الله في كتابه، وأثبته رسولُه ﷺ في سُنته ـ من عُلوّه وكلامه، وغير ذلك من صفات كماله التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسولُه والمؤمنون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل السنة والجماعة، على ما يليق بجلال الله وعظمته(٣) ـ بشُبهات(٤) اختلقوها ما أنزل الله بها من سُلطان.



(١) وهو في القرآن كثير. ليست في (ط).

(٢) (ط): من الجهمية.

(٣) ينظر: المسألة العشرون.

(٤) (ط): تشبيهات.

(١٦)
بـاب
الشَّفاعـة

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ الشَّفاعة.

ت: الشَّفاعةُ نوعان: شفاعةٌ منفية في القرآن، وهي الشفاعة للكافر والمُشرك؛ قال تعالى ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]، وقال تعالى ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨] ونحو هذه الآيات؛ كقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس: ١٨] يخُبر تعالى: أنّ ما اتخذه[١] هؤلاء شفعاء عند الله أنه لا/ يعلمه[٢]، وما لا يعلمه لا وجود [٣٨/أ] له. فنفى وقوعَ هذه الشفاعة، وأخبر أنها شرك؛ بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ

---

(١) (ط): من اتخذ.
(٢) (ط): يعلم أنهم يشفعون له بذلك.

إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣]. فأبطل شفاعةَ من اتخذ شفيعاً يزعم أنّه يُقرِّبُه إلى الله وهو يُبعده عنه وعن رحمته ومغفرته؛ لأنه جعل لله شريكاً يرغب إليه ويرجوه، ويتوكل عليه ويحُبه كما يحُب الله[1].

النوع الثاني: الشَّفاعةُ التي أثبتها القرآن، وهي خاصة[2] لأهل الإخلاص. وقيَّدها بأمرين: إذنه[3] للشافع أنْ يشفع؛ كما قال ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وإذنُه تعالى: لا يصدُر إلا إذا رحم عبدَه الموحّد المذنب، فإذا رحمه تعالى أذِن للشافع أنْ يشفع له.

الثاني:[4]: رضاهُ عمن أذِن للشافع أن يشفع فيه؛ كما قال تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. فالإذنُ في الشَّفاعة[5] له بعد الرضا؛ كما في هذه الآية، وهو لا يرضى إلا التوحيد.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله عز وجلَّ: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١]

ت: الإنذارُ: هو الإعلام بأسباب المخافة[6]، والتحذيرُ منها.

---

(١) (ط): الله تعالى أو أعظم.

(٢) (ط): خالصة.

(٣) (ط): الأول إذنه.

(٤) (ط): الأمر الثاني.

(٥) (ط): بالشفاعة.

(٦) (ط): المخالفة.

قولُه: ﴿بِهِ﴾ أي: القرآن(١) ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وهم أهلُ الإخلاص، الذين لم يتخذوا لهم شفيعاً، بل أخلصوا قصدَهم وطلبهم وجميع أعمالهم لله وحده، ولم يلتفتوا إلى أحدٍ سواه فيما يرجون نفعه ويخافون ضرّه؛ قال الفُضيل بن عياض: ليس كلَّ خلقه عاتَبَ، إنما عاتب الذين يعقلون(٢).

قولُه: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾. قال الزَّجّاج(٣): موضعُ ليس نُصب على الحال، كأنه قال: متخلّين من ولي وشفيع(٤). والعاملُ فيه: يخافون.

قولُه: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: فيعملون في هذه الدار عملاً يُنجيهم اللهُ به من عذاب يوم القيامة، ويتركوا التّعلُّقَ(٥) على الشفعاء وغيرهم؛ لأنه يُنافي الإخلاص الذي لا يقبل اللهُ من أحدٍ عملاً بدونه؛ لأنه طلبٌ وسؤال من غير الله(٦).

---

(١) (ص): بالقرآن.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، في التفسير ٤/ ١٢٩٦.
(٣) إبراهيم بن السَّري بن سهل الزجاج، أبو إسحاق، نَحْوي لُغوي مفسر. مات سنة ٣١٦هـ. ينظر: التنوخي، تاريخ العلماء النحويين ٣٨.
(٤) من قوله: قال الزجاج. إلى هنا. معلقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.
(٥) (ط): وتركوا التعليق.
(٦) لأنه طلب وسؤال من غير الله. ليست في (ط).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ [الزمر: ٤٤].

ت: قولُه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾[١] دلَّت الآيةُ: على أنَّ الشَّفاعة له سبحانه؛ لأنها لا تقع إلا لأهل التوحيد بإذنه سُبحانه وتعالى؛ كما قال تعالى في الآية السابقة، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[٢] / ، فلا شفاعة إلا لمن هي له سُبحانه، ولا تقع إلا ممن أذن له فيها. فتدبّر هذه الآيات العظيمة في اتخاذ الشفعاء[٣]. [٣٨/ب]

وقولُه: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ يُبطل التعلُّقَ[٤] على غيره سبحانه؛ لأنه الذي انفرد بمُلك كلِّ شيءٍ، فليس لأحد في مُلكه مثقال ذرّة دونه سبحانه وبحمده.

والإسلامُ: هو أنْ يُسلم[٥] قلبُك ووجهك[٦] لله بالإخلاص؛ كما في المُسند، عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده[٧]، أنه قال لرسول الله ﷺ: فَبالذي بَعَثَكَ بالحقِّ. وما بَعَثَك به؟ قال: «الإسلامُ» قال: وما الإسلامُ؟ قال:

---

(١) الأصل زيادة: الآية.

(٢) (ط): زيادة: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الآية.

(٣) الأصل: الشفاعة.

(٤) (ط): التعليق.

(٥) (ط): تسلم.

(٦) (ط): وجوارحك.

(٧) ينظر في ترجمة بهز، وأبيه، وجده: ابن حجر، التقريب ١٧٨، ٢٦٦، ٩٥٤.

«أنْ يُسْلِمَ قلْبُك وأنْ توجِّه وَجْهَك إلى الله، وأنْ تُصَلِّي الصلاة المَكْتُوبة، وَتُؤدِّيَ الزكاةَ المفْروضَة»(١).

والآياتُ في بيان الإخلاص كثيرة، وهو: أن لا يلتفت القلبُ ولا الوجه في جميع الأعمال كلِّها إلا إلى الله(٢) وحده؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٣) [غافر: ٦٥] فأمره تعالى بإخلاص الدعاء له وحده، وأخبر: أنه الدين الذي تصح معه الأعمال وتُقبل(٤).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ت: تقدم معنى هذه الآية(٥).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

---

(١) أحمد، في المسند ٥/ ٣، وأخرجه ابن حبان، في الصحيح، رقم ١٦٠، والطبراني، في الكبير ١٩/ ٤٢٦، والأوسط، رقم ٦٣٩٨، ومحمد بن نصر، في تعظيم قدر الصلاة، رقم ٤٠٤، والحاكم، في المستدرك ٤/ ٦٠٠ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) (ط): لله.

(٣) ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ليس في (ط).

(٤) (ط): زيادة: قال شيخُ الإسلام: الإخلاصُ محبة الله وإرادةُ وجهه.

(٥) تقدم في أول هذا الباب.

ت: فإذا كان هذا في حق ملائكته[1]، الذين وصفهم تعالى بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩][2]، فظهر من هذه الآيات المحكمات: ما يُبيِّن حقيقةَ الشَّفاعةِ المُثبتة في القرآن، التي هي مُلكٌ لله لا يملكها غيرُه.

وقيّد حصولَها بقيدين؛ كما في هذه الآية وغيرها ـ كما تقدم قريباً ـ إذنُه للشافع أن يشفع؛ كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ورضاهُ عمّن أراد رحمته، ممن أذنب من الموحّدين. فاختصت الشفاعةُ بأهل الإخلاص خاصة، وتَبيَّن[3] أنَّ اتخاذ الشفعاءِ من دين المُشركين؛ قد أنكره اللهُ عليهم فيما تقدَّم من الآيات.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ..﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣] الآيتين. قال أبو العبّاس[4]: نفى / اللهُ عمَّا سواه كلَّ ما يتعلَّقُ به المُشْركونَ. فنفى أنْ يكون لغيره مِلْكٌ أو قسط منه، أو يكونَ عونًا لله. [٣٩/أ] ولم يبق إلا الشَّفاعةُ، فبين أنَّها لا تنفع إلا لمن أذن له الربُّ؛ كما قال:

---

(١) (ط): الملائكة.

(٢) الجواب مقدر، دل عليه السياق. ينظر: ابن كثير، التفسير ٧/ ٤٣٤.

(٣) (ط): تبين. ساقطة.

(٤) شيخ الإسلام، أحمد بن تيمية.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنُّها المشركون: هي منفيَّةٌ يوم القيامة؛ كما نفاها القرآن، وأخبر النَّبيُّ ﷺ: «أنَّه يأتي فيسجد لربه ويحمدُه ـ لا يبدأُ بالشَّفاعةِ أولاً ـ ثمَّ يُقالُ له: ارفع رأسك، وقلْ يُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ»(١). وقال له أبو هريرة: من أسعَدُ النَّاس بشفاعتِكَ؟ قال: «مَنْ قال: لا إله إلاَّ اللهُ خالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»(٢). فتلكَ الشَّفَاعَةُ لأَهْلِ الإخْلاصِ بإذْنِ الله، ولا تكونُ لمنْ أَشرَكَ بِالله. وحقِيقتُهُ: أنَّ اللهَ سبحانهُ هو الذي يتفضَّلُ على أهلِ الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء مَنْ أذنَ لهُ أنْ يشْفعَ؛ لِيُكْرِمَهُ ويَنَال المقامَ المحْمُودَ. فالشَّفَاعَةُ الَّتي نفاهَا القرآنُ ما كان فيها شركٌ؛ ولهذا أثبت الشَّفَاعَةَ بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ أنها لا تكونُ إلاَّ لأهلِ التوحيدِ والإخْلاَصِ. انتهى كلامُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣).

ت: وفيه تحقيقٌ لأمر الشفاعة، وجمعٌ للأدلة. والله أعلم.



---

(١) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٣٣٤٠، ٣٣٦١، ٤٧١٢، ومسلم، في الصحيح، رقم ١٩٤، وأحمد، في المسند ٢/ ٤٣٥ من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٩٩، ٦٥٧٠، وأحمد، في المسند ٢/ ٣٧٣.

(٣) ابن تيمية، الكلام على حقيقة الإسلام ١١٩-١٢١.



(١٧)

بـــابُ

قولِ الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية

قـال المـصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بـابُ قـولِ الله تعـالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] الآية.

ت: قال ابنُ كثير: يقول تعالى لرسوله: إنك يا محمد لا تهدي مَن أحببت. أي: ليس ذلك إليك[١]، إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء، وله الحكمةُ البالغة والحجة الدامغة؛ كما قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[٢] [يوسف: ١٠٣].

قلتُ: والمنفي ههنا هدايةُ التوفيق والقبول؛ فإنَّ أمْر ذلك إلى الله[٣]، وهو القادرُ عليه. وأما الهدايةُ المذكورة في قول الله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]: فإنها هدايةُ الدلالة والبيان، فهو المُبيِّن عن الله والدالُّ على دينه وشرعه.

---

(١) (ط): إليك ذلك.

(٢) ابن كثير، التفسير ٦/ ٢٥٥.

(٣) (ط): الله وحده.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الصَّحِيحِ، عن ابن المُسَيِّبِ، عن أبيه، قال: لمَّا حَضَرَتْ أبا طالبٍ الوفاةُ جاءهُ رَسُولُ الله ﷺ، وعندهُ عبد الله بن أبي أُمَيَّة وأبو جَهْلٍ. فقال له: «يا عمِّ، قُلْ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، كَلِمَةً/ أُحاجُّ لَكَ بها عند الله». فقالا له: أترْغبُ عن ملَّة عبد المُطَّلِب؟ فأعاد عليهِ النَّبيُّ ﷺ، فأعَادا. فكان آخِرَ ما قالَ: هو على مِلَّةِ عبد المُطَّلِبِ. وأَبى أنْ يقول: لا إله إلاَّ اللهُ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لأَستغْفِرَنَّ لَكَ، ما لمْ أُنْهَ عَنْكَ». فأنزل اللهُ عز وجلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾. وأَنْزَلَ الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[1]. [٣٩/ب]

ت: قولُه: (في الصحيح، عن ابن المسيب) أي: في الصحيحين. وابن المسيّب: هو سَعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ[2] بن عمران بن مخزوم القُرشي المخزومي، أحدُ العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين، اتفق أهلُ الحديث أنَّ مراسيله أصحُّ المراسيل، وقال ابن المَديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه. مات بعد[3] التسعين وقد ناهز الثمانين. وأبوه المسيب: صحابيٌّ بقي إلى خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ،

---

(١) البخاري، في الصحيح، رقم ١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢، ٦٦٨١، ومسلم، في الصحيح، رقم ٢٤، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٤٣٣، وأخرجه من حديث أبي هريرة: مسلم، في الصحيح، رقم ٢٥، وأحمد في المسند ٢/ ٤٣٤، ٤٤١.

(٢) (ط): عمر بن عائذ.

(٣) (ط): في.

وكذلك جده حزن: صحابيٌّ استُشهد باليمامة[١].

قولُه: (لما حضرتْ أبا طالبٍ الوفاةُ) أي: علاماتُها ومقدماتها.

قولُـه: (جـاءه رسـولُ الله ﷺ) يحُتمـل: أنْ يكـون المسيّب حضر مع الاثنين؛ فإنهما من بني مخزوم، وهو أيضاً مخزومي. وكان الثلاثةُ إذ ذاك كفاراً، فَقُتل أبو جهل على كُفره وأسلم الآخران.

قولُه: «يا عمِّ، قلْ لا إله إلا الله» أمره أنْ يقولها[٢]؛ لعلم أبي طالب بأنَّها دلَّت: على نفي الشرك بالله، وإخلاصِ العبادة له وحده. فإنَّ من قالها: عن علم، ويقين، وقبول؛ فقد أنكر الشركَ وتبرأ منه. وكذلك الحاضرون، يعلمون ما[٣] دلّت عليه من نفي الشرك والبراءةِ منه[٤]؛ ولهذا عارضوا قولَ النبي ﷺ، بقولهم: أَترْغَبُ عن مِلَّة عبد المطلب. لأن ملة عبد المطلب: الشركُ بعبادة الأوثان؛ كما كانت قُريش وغيرُهم في جاهليتهم كذلك.

قولُه: «كلمةً» قال القُرطبي: بالنصب، على أنه بدل من لا إله إلا الله. ويجوز الرفع، على أنه خبر مُبتدأ محذوف[٥].

قولُه: «أُحاجُّ لكَ بها عندَ الله» لأنه لو قالها في تلك الحال لقُبلت منه،

---

(١) ينظر في تراجمهم: ابن حجر، التقريب ٣٨٨، ٩٤٤، ٢٣٢، وينظر في ضبط المسيب. ابن حجر، تبصير المنتبه ٤/ ١٢٨٧، وفيه: كان سعيد يكره الفتح.

(٢) (ط): بقولها.

(٣) (ط): بما.

(٤) ينظر: المسألة الرابعة.

(٥) القرطبي، المفهم ١/ ١٩٣.

ودخل بها في الإسلام.

قولُه: (فقالا له: أترغَبُ عن مِلَّة عبد المطلب؟)، ذكَّراه الحُجَّة الملعونة، التي يحتج بها المشركون على المرسلين؛/ كقول فرعون(١): ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ [طه: ٥١]، وكقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. [٤٠/أ]

قولُه: (فأعاد عليه النبيُّ ﷺ فأعادها)، فيه: مضرَّةُ أصحاب السوء، والحذرُ من قربهم والاستماع لهم(٢)؛ ففيه: معنى قول الناظم(٣):

إذا ما صحبتَ القومَ فاصحبْ خيارَهُمْ ولا تصحبِ الأَرْدى فتردى مع الرَّدي(٤)

قولُه: (فكان آخرَ ما قال: هو عَلى ملَّةِ عبد المطلب، وأَبى أنْ يقول: لا إله إلا الله) قال الحافظُ: هو تأكيدٌ من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب(٥).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه الردُّ على من زَعم إسلامَ عبد المطلب وأسلافِه(٦).

---

(١) (ط): فرعون لموسى.

(٢) المسألة الثامنة.

(٣) محمد بن عبد القوي بن بدران المقدسي، فقيهٌ محدث، له عقد الفرائد، ومنظومة الآداب. مات سنة ٦٩٩هـ. ينظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ٤/ ٣٠٧.

(٤) ابن عبد القوي، منظومة الآداب.

(٥) ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٥٠٧.

(٦) المسألة السادسة.

قولُه: فقال النبي ﷺ: «لأستغفرنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عَنْك» اللام لامُ القسم. قال النوويُّ: فيه جوازُ الحلِف من غير استحلاف(١).

قال ابنُ فارس(٢): مات أبو طالب ولرسول الله ﷺ تسعٌ وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، وتوفّيت خديجةُ أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد موت أبي طالب بثمانية أيام(٣).

قولُه: فأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾(٤) وهو خبرٌ بمعنى النهي(٤)، والظاهرُ: أنَّ هذه الآية نزلت في أبي طالب؛ فإنَّ الإتيان بالفاء المُفيدة للترتيب في قوله (فأنزل الله) بعد قوله «لأستغفرنَّ لكَ ما لم أُنه عنك» يُفيد ذلك. وقد ذكر العلماءُ لسبب نزول هذه الآية أسباباً أُخر، فلا منافاة؛ لإن(٥) الآية الواحدة قد يتعدد نزولُها. وفيه: تحريمُ الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبَّتهم(٦).



---

(١) النووي، المنهاج ١/ ٢١٥.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، أبو الحسين الرازي، لُغوي، مؤرخ، له مقاييس اللغة، وسيرة النبي ﷺ. مات سنة ٣٩٥هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة ١/ ٣٥٢.

(٣) ابن فارس، كما في المنهاج للنووي ١/ ٢١٥، وفيه: بثلاثة أيام. وهو الصواب.

(٤) ما بينهما ساقطٌ من (ط).

(٥) (ط): لإن. ساقطة.

(٦) ينظر: المسألة السابعة.

(١٨)

بـــابُ

ما جاء أنَّ سَبَبَ كُفرِ بني آدمَ وتركِهم دينَهم هو الغُلوُّ في الصالحين

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء أنَّ سَبَبَ كُفرِ بني آدمَ وتركِهم دينَهم هو الغُلوُّ في الصالحين.

ت: قد أنذر ﷺ الأمة عن[١] الغلو وأبلغَ في الإنذار؛ تحذيراً عما وقع من جهلة[٢] هذه الأمة، كما سيأتي ذكرُه.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله عز وجل ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١] الآية.

ت: الغلو: هو الإفراطُ في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي: لا ترفعوا المخلوقَ عن منزلته التي أنزله الله.

والخطابُ وإن كان لأهل الكتاب، فهو تحذيرٌ لهذه الأمة: أنْ يفعلوا مع نبيّهم ﷺ كما فعلت النصارى مع المسيح وأمهِ، واليهودُ مع العُزَيْر.

وقد وقع / ذلك الشركُ في العبادة[٣] نظماً ونثراً، كما في كلام: [٤٠/ب]

(١) (ط): أمته من.

(٢) (ط): جهالة.

(٣) (ط): زيادة: في هذه الأمة.

البُوصِيري[١]، والبُرَعي[٢] وغيرهما. وفيما فعلوه من الغلو، والشرك: محادَّةٌ لله ولكتابه ولرسول الله ﷺ. فأين ما وقع فيه هؤلاء الجهلة[٣]، من قول مَنْ قال للنبي ﷺ: أنت سيدُنا وابن سيدِنا، وخيرُنا وابن خيرنا؛ فكره ذلك النبيُّ[٤] ﷺ أشد الكراهة ـ كما سيأتي: في الكلام على هذا الحديث إن شاء الله[٥] ـ، وقولِ القائل: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجَعلْتَني لله نداً؟ بل ما شاءَ اللهُ وَحْده**»[٦].

قال شيخُ الإسلام: ومن تشبَّه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط، فقد شابههم.

قال: وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حرَّق الغاليةَ من الرافضة، فأمر بأخاديد خُدت لهم عند باب كِندة فقذفهم فيها؛ واتفق الصحابةُ على قتلهم، لكن ابن عباس مذهبه: أن يُقتلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قول أكثر العلماء[٧].

---

(١) محمد بن سعيد بن حماد البُوصِيري، الصنهاجي، شاعر متصوف، ابتُلي بالفقر وسلاطة اللسان، له قصائد في مدح النبي ﷺ فيها غلو شديد. مات في مصر عام ٦٩٦هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام ٦/ ١٣٦.

(٢) عبد الرحيم بن أحمد بن علي البُرَعي، اليماني، شاعر صوفي، له مدائح في النبي ﷺ تُشبه قصائد البوصِيري. مات عام ٨٠٣هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام ٣/ ٣٤٣.

(٣) (ط): الجهال.

(٤) النبي. ليست في (ص) و (ط).

(٥) في الباب رقم (٤٣).

(٦) سيأتي تخريجه في الباب رقم (٤٣).

(٧) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة ١/ ٢٨، ومجموع الفتاوى ٣/ ٣٧٠.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الصحيح، عن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]. قال: هذه أَسْمَاءُ رجالٍ صالحينَ من قوم نوحٍ، فلمَّا هلكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إلى قومهم: أن انْصِبُوا إلى مجالسهم التي كانوا يجْلسُونَ فيها أنصابًا وسمُّوها بأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، ولمْ تُعْبَدْ، حتَّى إذا هَلَكَ أُولَئِكَ ونُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ[(١)].

ت: قولُه: (في الصحيح) أي: صحيحُ البخاري، وهذا الأثر: اختصره المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولفظُ ما[(٢)] في البخاري، عن ابن عباس: صارت الأوثانُ التي في قوم نوح في العرب بعدُ، أمَّا وَدٌّ: فكانت لكَلْب بدُوْمة الجَنْدل[(٣)]. وأما سُواعٌ: فكانت لهُذيل. وأما يغُوث: فكانت لمُراد ثم لبني غُطيف بالجُرف عند سبأ[(٤)]. وأما يعوقُ: فكانت لهَمْدان. وأما نَسْر: فكانت لحِمْيَر،

---

(١) البخاري، في الصحيح، رقم ٤٩٢٠، وأخرجه الفاكهي، في أخبار مكة ٥/ ١٦٢ عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، وأخرجه من طريق عطاء الخراساني، عن ابن عباس: عبد الرزاق، في التفسير ٢/ ٣٢٠. وينظر: المِزّي، تحُفة الأشراف ٥/ ٩٠، وابن حجر، فتح الباري ٨/ ٦٦٧.

(٢) (ط): والذي.

(٣) دُومة الجندل: عينُ ماء عندها حصن مبني من الجَندَل، وهي الآن: محافظةٌ من محافظات منطقة الجوف في شمال المملكة العربية السعودية. ينظر: الحموي، معجم البلدان ٢/ ٤٨٧، ومعجم شمال المملكة للجاسر ٢/ ٥٣٧.

(٤) الجُرْف: موضع باليمن. ينظر: الحموي، معجم البلدان ٢/ ١٢٨.

لآل ذي الكَلاع[(١)]. أسماءُ رجال صالحين في قوم نوح. إلى آخره.

قولُه: (أنْ انصِبوا) بكسر المُهملة. قولُه: (أنصاباً) جمع نُصُب، وهي الأصنام التي صَوَّروها على صُور الصالحين.

قولُه: (فَفَعَلُوا، ولمْ تُعْبَدْ، حتَّى إذا هَلَكَ أُولَئِكَ ونُسخ العِلْمُ عُبِدَتْ) هكذا في البخاري: ونُسِخ[(٢)]. / فصارت هذه الأصنام ـ بهذا التصوير على صُور الصالحين ـ سُلَّماً إلى عبادتها. [٤١/أ]

وكلُّ ما عبد من دون الله ـ من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت ـ فالأصلُ في عبادته: هو الغلو ـ كما لا يخفى على ذوي البصائر ـ كما جرى لأهل مصر وغيرهم. فإنَّ أعظم آلهتهم: أحمد البدَوي، وهو لا يُعرف له أصلٌ ولا فضل، ولا علم ولا عبادة. ومع هذا: صار[(٣)] أعظمَ آلهتهم، مع أنه لا يُعرف: إلا أنه دخل المسجد يوم الجُمعة فبال فيه، ثم خرج ولم يُصلّ.

ذكره السَّخاويُّ، عن أبي حيَّان: أنه رآه فعل ذلك في مسجد قريته[(٤)].

فزيَّن لهم الشيطانُ عبادته، فاعتقدوا فيه[(٥)]: أنه يتصرف في الكون، ويُطفئ الحريق، ويُنجي الغريق. وصرفوا له الإلهية والربوبية وعلمَ الغيب،

---

(١) ينظر في أوصاف هذه الأصنام ومواضعها: الكلبي، كتاب الأصنام ٥٦-٥٨.

(٢) (ط): الذي في البخاري: ونسخ العلم. فلعل الذي هنا رواية.

(٣) (ط): فصار.

(٤) أنه رآه فعل ذلك في مسجد قريته. ليست في (ط). وينظر: السخاوي، الضوء اللامع ٩/ ١٥٠.

(٥) (ط): فيه. ساقطة.

وكانوا يعتقدون أنه يسمعُهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة، وفيهم من يَسجد على عَتبة حضرته.

وكان أهلُ العراق ـ ومن حولهم كأهل عمّان ـ يعتقدون في عبد القادر الجيلاني، كما يعتقد أهلُ مصر في البدوي.

وعبد القادر: من مُتأخري الحنابلة، وله كتاب الغُنية ـ وغيرُه ممن[(١)] قبله وبعده من الحنابلة، من هو أفضل منه في العلم والزهد ـ لكن فيه زُهد وعبادة[(٢)]، وسببُ ذلك: الغلو، ودعوى أنَّ له كرامات. وقد جَرَت الكراماتُ لمن هو خيرٌ منه وأفضل، كبعض الصحابة والتابعين فلم يُعبدوا بها[(٣)].

وهكذا حالُ أهل الشرك مع مَن فُتنوا به وأعظم، كما جرى من الرافضة مع أهل البيت[(٤)]، وأعظمُ من هذا: عبادةُ أهل الشام لابن عَربي، وهو إمامُ أهل الوَحدة الذين هم أكفرُ أهل الأرض[(٥)]. وأكثرُ مَن يعتقد فيه هؤلاء: لا فضل له ولا دين، كأُناس بمصر وغيره[(٦)]. وجرى في نجد قبل هذه الدعوة مثلُ هذا، وفي الحجاز واليمن وغيرهما: من عبادة الطواغيت والأشجار

---

(١) (ص): و.

(٢) ينظر في ترجمته: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٨٧، وفي (ط): زيادة: وفُتنوا به أعظم فتنة، كما جرى من الرافضة مع أهل البيت.

(٣) (ط): فلم يُعبدوا بها. ساقط.

(٤) (ط): وأعظم، كما جرى من الرافضة مع أهل البيت. ساقط.

(٥) ينظر في ترجمته: ابن كثير، البداية والنهاية ١٧/ ٢٥٢، والبقاعي، تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي.

(٦) (ط): وغيرها.

والأحجار والقبور، ما عمَّت به البلوى. كعبادتهم للجن، وطلب الشفاء[١] منهم؛ والأصلُ في ذلك الغلوُّ بتزيين[٢] الشيطان.

وذكر أهلُ السير، أنَّ التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام: لبَّيْك اللهم لبيك، لا شريك لك لبَّيك. حتى كان عمرو بن / لحَي[٣]، فبينما هو يُلبي: [٤١/ب] تمثَّل له الشيطانُ في صُورة شيخ يُلبِّي معه، فقال: لبيك لا شريك لك. فقال الشيخ: إلّا شريك[٤] هو لك. فأنكر ذلك عمرو، فقال: وما هذا[٥]؟. فقال الشيخ: قُل[٦] تملكه وما ملك؛ فإنه لا بأس بهذا. فقالها عمرو، فدانت بها[٧] العرب.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعنْ عُمر، أنَّ رسولَ الله ﷺ، قالَ: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصارَى ابنَ مريمَ، إنَّما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسولُهُ» أخرجاه[٨].

ش: قولُه: (عن عمر) هو ابن الخطَّاب بن نُفيل ـ بنون وفاء مصغَّر ـ

---

(١) (ط): وطلبهم الشفاعة.

(٢) (ط): تزيين.

(٣) (ط): بن لحي الخزاعي.

(٤) (ط): شريكاً. وتقدم التنبيه على ذلك.

(٥) (ط): وقال: ما هذا.

(٦) (ط): قل. ساقطة.

(٧) (ص): لها.

(٨) البخاري، في الصحيح، رقم ٣٤٤٥، ٦٨٣٠، وأصله: في صحيح مسلم، رقم ١٦٩١، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٢٣، ٢٤، ٤٧، ٥٥.

العَدَوي، أميرُ المؤمنين وأفضلُ الصحابة بعد الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولي الخلافة عشر سنين ونصفاً: فامتلأت الدنيا عدلاً، وفُتحت في أيامه ممالكُ كِسرى وقيصر. واستُشهد في ذي الحِجة سنة ثلاث وعشرين[١].

قولُه: «لا تُطرُوني» الإطراء: هو الغلو، «كما أطرت النصارى ابنَ مريم»؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

قولُه: «إنَّما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسولُهُ» أمرهم ﷺ أنْ لا يتجاوزوا هذا القول في الخطاب[٢]؛ لأن أشرفَ مقامات الأنبياء العبوديةُ الخاصة والرسالة.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قال[٣]: قال رسولُ الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ».

ت: هذا الحديثُ ذكره المصنفُ بدون ذكر راويه[٤]، وقد رواه: الإمامُ

---

(١) الأصل (ص) زيادة: سنة. (ط): من الهجرة. وينظر في الترجمة: ابن حجر، الإصابة ٧/ ٣١٢.

(٢) (ط): في الخطاب. ساقط. وفي (ط): زيادة: وقد أمر الله عباده بالصلاة والسلام عليه.

(٣) في بعض نُسخ كتاب التوحيد الخطية: وفي الصحيح، عن ابن عباس، قال.

(٤) (ط): رواية.

أحمد، والترمذي، وابنُ ماجه، من حديث ابن عباس. وهذا لفظُ[١] رواية أحمد، عن ابن عباس[٢].

قال شيخُ الإسلام: هذا عامٌّ في جميع أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال[٣].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولمسلم، عن ابن مسعود، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «هَلكَ المُتنطِّعون». قالها ثلاثاً[٤].

ش: قال الخطَّابي: المُتنطِّع: المتعمِّق في الشيء، المتكلِّف في البحث عنه. على مذهب أهل الكلام: الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولُهم[٥].

وقال أبو السعادات: هم المتعمِّقون، الغالون في الكلام، المتكلِّمون

(١) (ط): اللفظ.

(٢) أحمد، في المسند ١/ ٢١٥، ٣٤٧، وابن ماجه، في السنن، رقم ٣٠٦٤، وأشار إليه الترمذيُّ، في الجامع ٣/ ٢٥٨، قال: وفي الباب، عن ابن عباس والفضل ابن عباس. ولم يعزه المِزِّي في تحفة الأشراف ٤/ ٣٨٧ إلى الترمذي. وابنُ عباس المذكور: هو الفضل، لا عبد الله كما قال ابن حجر في النكت الظراف ٤/ ٣٨٧، وأخرجه النسائي، في المجتبى ٥/ ٢٦٨، وابن حبان، في الصحيح ٦/ ٦٨، والحاكم، في المستدرك ١/ ٤٦٦ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه ابن تيمية. ينظر: مجموع الفتاوى ٣/ ٣٨٣.

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٨٩.

(٤) مسلم، في الصحيح، رقم ٢٦٧٠، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٣٨٦.

(٥) الخطابي، معالم السنن ٧/ ١٣ (مع مختصر المنذري).

بأقصى حُلوقهم[١]. وقال النووي: فيه كراهةُ التقعُّر في الكلام بالتشدُّق، وتكلُّفِ الفصاحة / ، واستعمال وحشِيِّ اللغة ودقائق الإعراب في مُخاطبة [٤٢/أ] العوام[٢] ونحوهم[٣].

قولُه: (قالها ثلاثاً) أي: قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغةً في التعليم والإبلاغ. فقد بلَّغ البلاغ المبين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه[٤] أجمعين.

ومناسبة[٥] هذا الحديث للترجمة: أنَّ الغلو: من التنطع والزيادة؛ لما فيه من[٦] الخروج إلى ما يُوصل إلى الشرك بالله.



(١) ابن الأثير، النهاية ٥/ ٧٤.

(٢) (ط): القوم.

(٣) النووي، رياض الصالحين ٥٩٠.

(٤) (ط): وأصحابه.

(٥) (ط): ووجه مناسبة. (ص) علق في الهامش: خ: ووجه.

(٦) (ط): من. ساقطة.

(١٩)

بـــابُ

ما جاء من التَّغْلِيظِ فيمن عبد اللهَ عند قبر رجلٍ صالحٍ، فكيف إذا عَبَدَه

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء من التَّغْلِيظِ فيمن عبد اللهَ، عند قبرِ رجلٍ صالحٍ، فكيف إذا عَبَدَه.

ت: فكلُّ ما كان وسيلةً إلى الشرك فهو حرام؛ لكونه يُوقع في الشرك بالله وعبادةِ ما سواه؛ كما في هذه[١] الأحاديث.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الصّحيح، عن عائشة: أنَّ أمَّ سَلَمَة ذكرتْ لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتْها بأرضِ الحبشة، وما فيها من الصُّور، فقال: «أولئكِ إذا مات فيهم الرجلُ الصالح، أو العبد الصالح، بَنَوْا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصُّور. أولئكِ شِرارُ الخلقِ عند الله»[٢]. فهؤلاء جمَعوا بين الفتنتين: فتنةِ القبور، وفتنةِ التماثيل.

ت: قولُه: (في الصحيح) أي: الصحيحين.

قولُه: (أنَّ أم سلمَة) هي: هندُ بنت أبي أميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن

---

(١) (ط): هذه. ساقطة.

(٢) البخاري، في الصحيح، رقم ٤٢٧، ٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٨، ومسلم، في الصحيح، رقم ٥٢٨، وأخرجه أحمد، في المسند ٦/ ٥١.

عمر[١] بن مخزوم القُرشية المخزومية، تزوَّجها النبيُّ ﷺ بعد أبي سلمة ـ سنة أربع، وقيل ثلاث، وله اثنتان وستون سنة[٢] ـ وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة. ماتت[٣] سنة اثنتين وستين[٤].

قولُه: (ذكرتُ لرسول الله ﷺ كنيسة)[٥] والكَنِيسةُ: بفتح الكاف وكسر النون: متعبَّد[٦] النصارى.

قولُه: (رأتْها بأرض الحبشة وما فيها من الصُّور)، لأن أمَّ سلمة هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة، ثم رجعا إلى مكة فهاجرا منها إلى المدينة، والحبشةُ دينهم النصرانية، وفيهم من أسلم.

قولُه: «فقال: أولئكِ» بكسر الكاف، خطابٌ للمرأة.

قولُه: «إذا مات فيهم الرجلُ الصالحُ أو العبد الصالح»، هذا ـ والله أعلم ـ شكٌّ من الراوي.

قولُه: «أولئكِ شِرارُ الخلق عند الله»، ولم يذكرا[٧] غيرَ بناء المساجد

---

(١) (ط): المغيرة بن عمرو.
(٢) : وله اثنتان وستون سنة. ليست في (ط). وفي التقريب: وعاشت بعد ذلك ستين سنة.
(٣) (ط): توفيت. وعلق في هامش الأصل و (ص): صوابه: ماتت ولها. والصواب: ما أثبت، كما في الأصل والتقريب وغيره.
(٤) ينظر في ترجمة أبي سلمة وأم سلمة: ابن حجر، الإصابة ٦/ ٢٤٦، ١٤/ ٣٨٥.
(٥) (ط): زيادة: وفي الصحيحين، أن أم حبيبة وأم سلمة: ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ.
(٦) (ط): مستعبد.
(٧) (ط): يذكر.

والتصوير؛ لكونه ذريعة إلى عبادة من بنوا عليه المسجد وصوَّروا صورته، فبذلك صاروا شرار الخلق.

فانظر إلى ما وقع في هذه الأمة ـ من ذرائع الشرك والوقوع فيه/ ـ مما [٤٢/ب] هو أعظم من هذا(١)، ومع ذلك يعتقدوه(٢) ديناً، وهو الشرك: الذي حرَّمه الله، وأرسل الرسل وأنزل الكتب بالنهي عنه.

قولُه: (فهؤلاء جمعوا بين الفِتْنَتَين فِتْنَةِ القبور وفِتْنَةِ التماثيل). هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية(٣)، لم يذكره المصنف؛ لأن ذلك معلومٌ عند من يقرأ هذا الكتاب.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهما، عنها قالت: لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطْرح خَميصةً له على وجهه، فإذا اغْتَمَّ بها كشفها، فقال، وهو كذلك: «لَعنةُ الله على اليهود والنصارى. اتخذوا قُبُورَ أنبيائهم مساجد» يُحذِّرُ ما صَنَعوا؛ ولولا ذلك لأُبْرِزَ قبره، غير أنه خُشيَ أن يُتَّخذ مسجداً. أخرجاه(٤).

ت: قولُه: (خميصةً) الخَميصةُ: كساءٌ له أعلام، والشاهدُ للترجمة: قولُه

---

(١) (ط): زيادة: كالبناء على القبور وتعظيمها وعبادتها.

(٢) (ط): يعتقدونه.

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٧٤، ونقله ابن القيم بلفظه في إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٣.

(٤) البخاري، في الصحيح، رقم ٤٣٥، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٤٤٤٣، ٥٨١٥، ومسلم، في الصحيح، رقم ٥٣١، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٢١٨، ٦/ ٢١، ٣٤، ٨٠، ٢٥٥.

ﷺ: «لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فلعنهم ﷺ على تحرّي الصلاة عندها، وإنْ كان المُصلي إنما يُصلي لله.

فمن كان يُصلي عند القبور، ويتخذها مسجداً[1] فهو ملعونٌ؛ لأنه ذريعة إلى عبادتها. فكيف إذا عبد أهلَ القبور والغائبين بأنواع العبادة، وسألهم ما لا قُدرة لهم عليه؟ وهذا هو الغايةُ التي تكونُ[2] اتخاذُ القبور مساجد ذريعة إليها. واللعنةُ ليست مختصةً باليهود والنصارى، بل تعمُّ مَن فعل فعلهم وما هو أعظم منه.

وهذا هو الذي أراده ﷺ من لعنهِ اليهودَ والنصارى على هذا الفعل؛ تحذيراً لأمته أن يفعلوا ما فعلته اليهودُ والنصارى، فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم.

قوله: (ولو لا ذلك) أي: ما كان يحذَره[3] من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجداً (لأُبْرِزَ قبرُه) مع قبور أصحابه في البقيع[4].

قولُه: (غير أنه خُشي أنْ يُتَّخذ مسجداً) رُوي بفتح الخاء وضمها، فعلى الفتح: يكون هو الذي خشي ذلك[5] ﷺ وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قُبض فيه، وروي في ذلك حديثٌ معروف[6].

---

(١) (ص) (ط): مساجد.

(٢) (ط): يكون.

(٣) (ط): يحذر.

(٤) (ط): بالبقيع.

(٥) (ظ): ذلك. ساقطة.

(٦) وروي في ذلك حديث معروف. ليست في (ط). والحديثُ المشار إليه: أخرجه الترمذي، في الجامع، رقم ١٠١٨، وقال: حديثٌ غريب، وابن ماجه، في السنن، =

وعلى رواية الضم: يحتمل أن يكون الصحابةُ هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة، فلم يُبرزوا قبرَه خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة / ؛ [٤٣/أ] غلواً وتعظيماً، لمَّا أبدى وأعاد: من النهي والتحذير منه[1]، ولعنِ فاعله.

قال القرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلَوا حيطان تُربته، وسدّوا المداخل إليها وجعلوها محُدقةً بقبره ﷺ، ثم[2] خافوا أن يُتَّخَذ موضعُ قبره قِبْلَةً ـ إذا كان مُستقبل المُصلين فتصوّر الصلاةُ إليه بصورة العبادة ـ فبنوا جدارين من رُكني القبر الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال؛ حتى لا يتمكن أحدٌ من استقبال قبره. انتهى[3].

قلتُ: فبذلك صان الله قبره، وقبِل دعوتَه بقوله: **«اللهم لا تجْعل قَبْري وثَناً يُعبد اشتدَّ غَضَبُ الله على قومٍ اتَّخذوا قُبور أنبيائهم مساجد»**[4].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولمسلم، عَن جُندَب بن عبد الله، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ قبل أن يمُوت بخمسٍ، وهو يقول: «إني أبْرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيمَ

= رقم ١٦٢٨، وأبو يعلى، في المسند، رقم ٢٢، ٢٣، وابن سعد، في الطبقات ٢/ ٢٩٢، والبيهقي، في الدلائل ٧/ ٢٦١ من حديث أبي بكر، وله شاهدٌ من حديث ابن جُريج مرسلاً: أخرجه أحمد، في المسند ١/ ٧.

(١) (ط): منه. ساقطة.

(٢) (ط): ثم. ساقطة.

(٣) القرطبي، المفهم ٢/ ١٢٨.

(٤) سيأتي تخريجه في الباب التالي (٢٠).

خليلاً، ولو كُنتُ مُتَّخذاً من أُمَّتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ألَا وإنَّ مَنْ كان قَبلكم كانُوا يتَّخذون قُبُور أنبيائهم مساجِد، ألا فلا تتَّخذوا القُبور مَسَاجد، فإنِّي أنهاكُم عَن ذلك»[١].

ت: قولُه: (عن جُندَب بن عبد الله) أي: ابن سُفيان البَجَلي، ويُنسب إلى جده، صحابيٌّ مشهور. مات بعد الستين[٢].

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمَّا بناءُ المساجد على القبور، فقد صرَّح عامةُ الطوائف: بالنهي عنه؛ للأحاديث الصحيحة. وصرَّح أصحابُنا، وغيرُهم من أصحاب مالك والشافعي: بتحريمه.

قال: ولا ريب في القطع بتحريمه ـ ثم ذكر الأحاديثَ في ذلك، إلى أن قال ـ: وهذه المساجد المبنية على قُبور الأنبياء والصالحين أو الملوك وغيرهم: تتعيَّن إزالتُها بهدم أو بغيره[٣]، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين[٤].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقد نهى عنه في آخر حياته، ثُمَّ إنَّه لعن ـ وهو في السياق ـ مَن فعله. والصلاةُ عندها من ذلك، وإن لم يُبن مسجد. وهو معنى قولها: خُشِيَ أن يُتَّخذ مسجداً. فإنَّ الصحابة لم يكونوا ليَبنوا

---

(١) مسلم، في الصحيح، رقم ٥٣٢، وأخرجه أحمد، في فضائل الصحابة رقم٧١، وابن حبان، في الصحيح رقم ٦٤٢٥.

(٢) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة٢/ ٢٤٨.

(٣) (ط): غيره.

(٤) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٧٧، ٦٩٩.

حول / قبره مسجداً. وكل موضع قُصدت الصلاةُ فيه فقد اتُّخِذ مسجداً، [٤٣/ب] بل كلُّ موضع يُصلَّى فيه يُسمَّى مسجداً؛ كما قال ﷺ: «جُعلت لي الأرضُ مسجداً وطَهُوراً»(١).

ت: هذا ذكره شيخُنا، وهو من تقرير شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه الأحاديث(٢).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولأحمد بسند جيِّد، عن ابن مسعود مرفوعاً «إنَّ من شِرار الناس مَن تُدركهم الساعةُ وهُم أحياء، والذين يَتَّخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه(٣).

ت: قلتُ: وقد وقع هذا في الأمة كثيرٌ(٤)، كما وقع في أهل الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ، كما لا يخفى على ذوي البصائر. وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الأمة على ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشرك بأمور، منها: أنَّهم يُخلصون عند الاضطرار لغير الله، وينسونَ الله. ومنها: أنهم يعتقدون أنَّ آلهتهم من الأموات يتصرَّفون في الكون دون الله، وجمعوا

---

(١) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٣٣٥، ٤٣٨، ٣١٢٢، ومسلم، في الصحيح، رقم ٥٢١، وأحمد، في المسند ٣/ ٣٠٤، من حديث جابر.

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٦٨، ٦٧١.

(٣) أحمد، في المسند ١/ ٤٠٥، ٤٣٥، ٤٥٤، وأبو حاتم بن حبان، في الصحيح، رقم ٦٨٤٧، وصححه ابن تيمية، في اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٦٨، والهيثمي، في مجمع الزوائد ٢/ ٢٧.

(٤) (ط): كثيراً.

بين نوعي الشرك في الإلهية والربوبية، وقد سمعتُ[١] ذلك منهم مُشافهة، ومن ذلك: قولُ ابن كمال من أهل عُمان[٢] وأمثالِهِ: إنَّ عبد القادر الجيلاني يسمعُ مَن دعاه، ومع سماعه ينفع.

فزعم أنَّه يعلم الغيبَ وهو ميت: فلقد ذهب عقلُ هذا، وضلَّ وكذب وافترى، وكفر[٣] بما أنزله الله في كتابه؛ كقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٤] فما صدَّقوا الخبير فيما أخبر به عن آلهتهم التي كانوا يَعبدونها من دون الله، ولا آمنوا بما أنزله الله في كتابه. بل بالغوا وعاندوا في ردّه، وكذبوا وألحدوا وكابروا المعقولَ والمنقول. فالله المستعان.



(١) (ص) (ط): سمعنا.

(٢) ابن كمال، من شيوخ عبد اللطيف الصّحاف، وهما من المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد رد عليه أحمد الكتلاني في كتاب سمّاه: الصيّب الهطال في كشف شُبه ابن كمال. ينظر: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، مجموع الرسائل ٢/ ٩٦٢.

(٣) (ط): ضل فكفر.

(٢٠)

بـــابُ

ما جاء أنَّ الغلوَّ في قُبور الصالحين يُصيِّرها أوثاناً تُعبد من دُون الله

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء أنَّ الغلوَّ في قُبور الصالحين يُصيِّرها أوثاناً تُعبد من دُون الله. روى مالكٌ في الموطأ، أن رسول الله ﷺ، قال: «اللهم لا تجْعَل قَبْري وثناً يُعْبَدُ، اشتدَّ غَضَبُ الله على قوْمٍ اتَّخذوا قُبُور أنبيائهمْ مساجدَ»(١).

ت: وذلك أنَّه ﷺ خاف أنْ / يقع من أمته في حقه، كما وقع من اليهود [٤٤/أ] والنصارى في حق أنبيائهم: مِن عبادتهم من دون الله. وسببُ ذلك الغلو فيهم؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧] ولذلك(٢) رغب ﷺ إلى ربه بدعائه(٣): أنْ لا

---

(١) مالك، في الموطأ، رقم ٤١٧ مرسلاً، وأخرجه عبد الرزاق، في المصنف ١/ ٤٠٦، وابن أبي شيبة، في المصنف ٣/ ٣٤٥، وابن سعد، في الطبقات ٢/ ٢٤٠، ووصله البزار، في المسند، رقم ٤٤٠ (كشف)، وصححه ابنُ عبد البر، في التمهيد ٦/ ٢٠٣ من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه من حديث أبي هريرة: أحمد، في المسند ٢/ ٢٤٦، والحُميدي، في المسند، رقم ١٠٥٥، وأبو يعلى، في المسند، رقم ٦٦٨١.

(٢) (ط): وكذلك.

(٣) (ط): بدعائه. ساقطة.

يجعل قبرَه وثناً يُعبد[١] ـ وتقدَّم في حديث عائشة: ولـولا ذلـك لَأُبْـرِزَ قَـبْرُه، غيرَ أنَّه خُشي أنْ يُتَّخـذ مسجداً ـ وقـد استجاب اللهُ دعوتـه[٢] وصـان قـبره، وأحاطه بثلاثة الجُدران[٣]؛ كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

فأجـــاب ربُّ العـــالمين دعـــاءَه وأحاطـــه بثلاثـــة الجُـــدران[٤]

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولابن جرير بسنده، عن سُفيان، عن منصور، عـن مجُاهـد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ قـال: كـان يَلُـتُّ لهـم الـسَّويق، فمات، فَعَكَفُوا على قبره[٥]. وكذا قال أبو الجوزاءِ، عن ابن عباس: كان يلتُّ السَّويق للحاج[٦].

ت: قولُه: (ولابن جرير) ابن جريـر: هـو أبـو جعفـر ابـن جريـر، صـاحبُ التفـسير الكبـير وهـو أجـل التفاسـير وأحـسنُها، وهـو مـن أئمـة المـسلمين المجتهدين، وله كتابُ الأحكام. رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٧].

قولُه: (كان يَلُـتُّ لهـم الـسَّويق، فـمات، فَعَكَفُـوا عـلى قـبره) فيـه: شـاهدٌ

(١) (ط): زيادة: وقد عُبدت القبور بأنواع العبادة، كما لا يخفى.

(٢) (ص) (ط): دعوة نبيه ﷺ.

(٣) (ط): جدران.

(٤) ابن القيم، الكافية الشافية ٢١٥، البيت رقم ٤٠٤٢.

(٥) ابن جرير الطبري، التفسير ٢٢/ ٤٧.

(٦) ابن جرير الطبري، التفسير ٢٢/ ٤٨، وأخرجه البخاري في الصحيح، رقم ٤٨٥٩.

(٧) ينظر في ترجمته: الداوودي، طبقات المفسرين ٢/ ١١٠.

للترجمة؛ فإنهم غلوا فيه لأجل صلاحه، واتخذوه وثناً بتعظيمه وعبادته، وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن ابن عباس، قال: لَعَنَ رسولُ الله ﷺ زائِرَاتِ القُبُور والمتَّخذين عليها المساجدَ والسُّرُجَ. رواه أهلُ السننَ[1].

ت: هذا الحديثُ صحيحٌ، صححه شيخُ الإسلام ابن تيمية[2]. ويكفيك في الاحتجاج به: روايةُ أهل السنن له، ولم يذكر أحدٌ منهم له عِلة، ولا مُعارض له.



(١) أبو داود، في السنن، رقم ٣٢٣٦، والترمذي، في الجامع، رقم ٣٢٠، وقال: حديثٌ حسن. والنسائي، في المجتبى ٤/ ٩٥، وابن ماجه، في السنن، رقم ١٥٧٥، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٣٧.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى ٢٤/ ٣٦٠، واقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٩٤.

(٢١)

بـــابُ

ما جاء في حِمايَة المصطفى ﷺ جنابَ التَّوحيدِ وسَدِّه كلَّ طريقٍ يوصلُ إلى الشِّركِ

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء في حِمايَة المصطفى ﷺ جنابَ التَّوحيدِ وسَدِّه كلَّ طريقٍ يوصلُ إلى الشِّركِ

ت: كما تقدَّم(١) فيما سَلف من الأبواب قبل هذا.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ / عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]. [٤٤/ب]

ت: وجهُ الدلالة بالآية: أنه ﷺ يَعِزُّ عليه كُلُّ ما يُؤثِم الأمة، ويشق عليهم.

وأعظمُ ما يُؤثِم الأمة(٢): الشركُ بالله قليلُه وكثيره، ووسائلُه وما يقرِّب منه من كبائر الذنوب.

وقد بالغ ﷺ في النهي عن الشرك وأسبابه أعظمَ مبالغة كما لا يخفى،

---

(١) (ط): قد تقدم.

(٢) (ط): زيادة: ويشق عليهم.

وقد كانت هذه حالُ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: في قطعهم الخُيوط التي رُقي للمريض فيها، ونحو ذلك من تعليق التمائم.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَجْعَلوا بيوتكم قُبُوراً ولا تجعَلوا قَبْري عِيداً وصَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكُم تَبْلُغُني حيثُ كُنْتُم» رواه أبو داود[1] بإسناد حسن، ورواتُه ثِقاتٌ.

ت: قال الحافظُ محمد بن عبد الهادي: هو حديثٌ حسن جيِّد الإسناد، وله شواهد كثيرة[2] يرتقي بها إلى درجة الصحة[3].

نهاهم ﷺ أن يَهجروا بيوتهم عن الصلاة فيها، كما تُهجر القبور عن الصلاة فيها و[4] إليها[5]. والنهيُ عن ذلك قد تقرّر عندهم، فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك.

قولُه: «ولا تَجْعَلوا قَبْري عِيداً» فيه: شاهدٌ للترجمة؛ قال شيخُ الإسلام: العيدُ اسمٌ لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائدٌ[6] إما بعود

---

(١) أبو داود، في السنن، رقم ٢٠٤٢، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٣٦٧، وصححه النووي وابن تيمية. ينظر: النووي، الآذكار ٩٧، وابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٥٤.

(٢) (ط): كثيرة. ساقطة.

(٣) ابن عبد الهادي، الصارم المُنكي ٤١٤.

(٤) (ط): فيها و. ساقطة.

(٥) (ط) زيادة: مخافة الفتنة بها، وما يفضي إلى عبادتها من دون الله لأن.

(٦) (ط): عائداً.

السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر، ونحو ذلك(١).

وقال ابنُ القيم: العيدُ ما يُعتاد مجيئُه وقصده من زمان ومكان؛ مأخوذٌ من المعاودة والاعتياد. فإذا كان اسماً للمكان، فهو المكان(٢) الذي يُقصد فيه الاجتماع وانتيابُه للعبادة أو لغيرها؛ كما أنَّ المسجد الحرام ومنى ومُزدلفة وعرفة والمشاعر: جعلها اللهُ عيداً للحُنفاء ومَثابة، كما جعل أيام العيد فيها عيداً. وكان للمشركين أعيادٌ زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام: أبطلها، وعوَّض الحُنفاء(٣) عيدَ الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوَّضهم عن أعياد المُشركين المكانية: بالكعبة، ومنى(٤) ومزدلفة، وعرفه والمشاعر(٥).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن علي بن الحُسين، أنَّه رأى رجلاً يجيءُ إلى فُرْجَةٍ كانت عند قبر النَّبي ﷺ، فيدخلُ فيها فيدعو، فنَهاه، وقال: ألا أُحَدِّثُكم حديثاً، سمعتُه من أبي / ، عن جدي، عن رسول الله ﷺ؟ قال: «لا تَتَّخذُوا قبري عِيداً، ولا بُيُوتَكم قبوراً(٦)، فإنَّ تَسْليمَكم يَبْلُغُني أين كنتم». رواه في المُختارة. [٤٥/أ]

---

(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٤١.

(٢) (ص) (ط): المكان. ساقطة.

(٣) (ص) (ط): زيادة: منها.

(٤) من قوله: كما عوضهم. إلى هنا. معلق في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٥) ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/ ٢٠٩.

(٦) الأصل و(ص) زيادة: وصلوا علي. ا.هـ. والمُثبت من المصادر ونسخ كتاب التوحيد الخطية.

ت: هذا الحديثُ: رواه أبو يعلى، والقاضي إسماعيل، والحافظ الضياء في المُختارة[١].

قال شيخُ الإسلام: فانظر هذه السنة: كيف مخرجُها من أهل المدينة، وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قُربُ النسب وقرب الدار؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط، انتهى[٢].

قولُه: (عن علي بن الحسين) أي: ابن أبي طالب[٣]، المعروفُ بزين العابدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أفضلُ التابعين من أهل بيته وأعلمُهم، قال الزهريُّ: ما رأيت قرشياً أفضلَ منه. مات سنة ثلاث وتسعين، على الصحيح[٤].

قولُه: (أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة) بضم الفاء وسكون الراء، وهي الكُوَّة في الجدار والخَوخة ونحوهما.

قولُه: (فيدخُلُ فيها فيدعو، فنهاه) هذا[٥] يدلُّ على النهي عن قَصد القبور والمَشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها. قال شيخُ الإسلام: ما علمتُ أحداً رخَّص فيه؛ لأن ذلك نوعٌ من اتخاذه عيداً.

---

(١) أبو يعلى، في المسند، رقم ٤٦٩، والقاضي إسماعيل، في فضل الصلاة على النبي ﷺ، رقم ٢٠، والمقدسي، في المختارة، رقم ٤٢٨، وحسنه المؤلفُ والشارح. ينظر: المؤلف، فتح المجيد ١/ ٤٢٨، وسليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد ٣٥٤

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦٦٠.

(٣) (ط): ابن علي بن أبي طالب.

(٤) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٦٩٣.

(٥) (ط): وهذا.

ويدل أيضاً: على أنَّ قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد[١] ليصلّي منهيٌّ عنه؛ لأن ذلك لم يُشرع. وكره مالك لأهل المدينة: كلّما دخل إنسانٌ المسجد أنْ يأتي قبرَ النبي ﷺ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك. قال: ولن يُصلح آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أوّلها. وكان الصحابةُ والتابعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا. ولم يكونوا يأتون القبر للسلام؛ لعلمهم أنَّ الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكملُ وأفضل[٢].

وأمّا دخولهُم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو للصلاة والدعاء: فلم يَشرعه لهم، بل نهاهم[٣] في قوله: «**لا تتخذوا قَبْري عيداً وَصَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تَبْلُغني**»[٤] فبيَّن أنَّ الصلاة تصلُ إليه مِن بُعْد، وكذلك السلام. ولعن مَن اتخذ قبورَ الأنبياء مساجد، وكانت الحُجْرة في زمانهم يُدخل إليها من الباب لمَّا / كانت عائشةُ فيها، وبعد ذلك؛ إلى أن بُني الحائطُ الآخر. [٤٥/ب] وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره، لا يدخلون إليه لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يطمعُ فيهم ـ حتى يُسمعهم كلاماً أو سلاماً فيظنُّون أنه هو كلَّمهم وأفتاهم وبيَّن لهم الأحاديث، وأنه قد ردَّ عليهم السلامَ بصوت يُسمع من خارج ـ كما طَمِع الشيطانُ في غيرهم: فأضلَّهم عند قبره وقبر غيره، حتى

---

(١) المسجد. ليست في (ط).

(٢) (ط): عند دخول المسجد هو السنة.

(٣) (ط): نهاهم عنه.

(٤) سيأتي تخريجه.

ظنوا أنَّ صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويُفتيهم[١] ويحدِّثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجاً من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تُكلِّمهم، وأن روح الميت[٢] تجسَّدت لهم فرأوها[٣].

والمقصودُ: أنَّ الصحابة لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره، كما يفعله[٤] مَن بعدهم من الخُلوف.

قال سعيدُ بن منصور، في سُننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد، أخبرني سُهيل بن أبي سُهيل، قال: رآني الحسنُ بن الحسن[٥] بن علي بن أبي طالب، عند قبر النبي ﷺ. فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشَّى، فقال: هَلُمَّ إلى العشاء. فقلتُ: لا أُريدُه. فقال: مالي رأيتُك عند القبر؟ فقلتُ: سلَّمتُ على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلتَ المسجدَ فسلِّم، ثم قال[٦]: إن رسولَ الله ﷺ، قال: «**لا تَتَّخذُوا قبري عِيداً، ولا تتخذوا بُيُوتَكم مقابر**[٧]**، وصَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكم تَبْلُغني حَيْثُما كُنْتُم. لَعَنَ اللهُ اليهود والنَّصارى اتخَذُوا قُبُور**

(١) (ط): ويفتيهم. ساقطة.
(٢) (ط): أرواح الموتى.
(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٧/ ٣٨٦.
(٤) (ط): يفعل.
(٥) (ط): الحسن بن علي بن الحسن.
(٦) (ط): قال لي.
(٧) (ط): قبوراً.

أنبيائهم مساجدَ» ما أنت[١] ومن بالأندلس إلا سواء[٢].

قلتُ: وهذا[٣] أيضاً له قُربُ النسب، وقُرب الدار. فنهى عن المجيء إلى القبر للدعاء عنده؛ ولهذا أنكره الحسن، وعلي بن الحسين[٤]. فالمجيءُ عند[٥] القبر للسلام عليه، وتحرّي إجابة الدعاء: ليس مما شرعه اللهُ ورسوله لهذه الأمة. ولو كان مشروعاً، لما تركه الخلفاءُ والسابقون الأولون: من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان مِن سادات أهل البيت وأئمة التابعين، ولمَا أنكروا على مَن فعله.

وقولهُم هو الحجة، وهو الذي دلَّت عليه الأحاديثُ ـ كحديث عائشة، / وحديث الباب وغيرهما ـ لعلم السلف بما أراده النبيُّ ﷺ بنهيه عن الغلو، [٤٦/أ] وخوفه مما وقع ممن غلا في الدين واتبع غيرَ سبيل المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥] ولمَّا حدث الشركُ بالقبور[٦] في هذه الأمة وتعظيمُها وعبادتُها، صارت تُشد

---

(١) (ط): ما أنتم.

(٢) سعيد بن منصور، كما في الصارم ٤١٩، وأخرجه عبد الرزاق، في المصنف ٣/ ٧١، ٥٧٧، وابن أبي شيبة، في المصنف ٢/ ٣٧٥، ٣/ ٣٤٥، والجهضمي، في فضل الصلاة على النبي ﷺ، رقم ٣٠ مرسلاً.

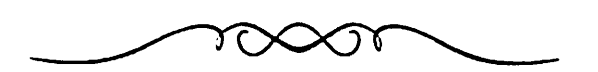
(٣) (ط): وهو.

(٤) ولهذا أنكره الحسن وعلي بن الحسين. ليس في (ط).

(٥) (ط): إلى.

(٦) (ط): بأرباب القبور.

الرحالُ إليها؛ لقصد دعائها والاستغاثة بها، وبذلِ نفيس المال تقرباً إليها وتعظيمِ سدنتها. فيالها مصيبةٌ ما أعظمها، نسألُ الله السلامة من هذا[1] الشرك وما يقرِّب منه أو يُوصل إليه.



(١) (ط): هذا. ساقطة.

(٢٢)
بــابُ
ما جاء أنَّ بعضَ هذه الأمَّةِ يَعبد الأوْثان

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء أنَّ بعضَ هذه الأمَّةِ يَعبد الأوْثان

ت: الوثنُ: يُطلق على كل مَن قُصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله، من صنم أو قبر أو غيره؛ لقول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، مع قوله: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ٧١].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

ت: روى ابنُ أبي حاتم، عن عِكرمة، قال: جاء حُيي بن أخطَب وكَعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا: أنتم أهلُ الكتاب وأهل العِلم، فأخبرونا عنَّا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم ومحمد؟ فقالوا: نحن نَصِل الأرحام وننحر الكَوماء ونسقي الماء على اللبن ونَفك العُناة ونسقي الحجيج، ومحمد صُنْبُورٌ: قطع أرحامَنا واتبعه سُرّاق الحجيج من غِفار، فنحن خيرٌ أم هو. فقالوا: أنتم خيرٌ[1] وأهْدى سبيلاً؛ فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ إلى قوله:

---

(١) أم هو. فقالوا: أنتم خير. ليست في (ط).

﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾(١).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ [المائدة: ٦٠].

ت: قال البَغوي، في تفسيره: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ﴾ يعني، قولَهم: لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا/ [٤٦/ب] والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم. فذكر الجوابَ بلفظ الابتداء؛ كقوله: ﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢].

وقولُه: ﴿مَثُوبَةً﴾ ثواباً وجزاء، نُصب على التفسير ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ فالقردةُ: أصحابُ السبت، والخنازير: كفار مائدة عيسى.

وعن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت. فشبابهم مُسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ أي: وجعل منهم مَن عبد الطاغوت. أي: أطاع الشيطان فيما

---

(١) ابن أبي حاتم، في التفسير ٣/ ٩٧٤، وأخرجه عبد الرزاق، في التفسير ١/ ١٦٤، وسعيد بن منصور، في السنن، رقم ٦٤٨، والطبري، في التفسير ٧/ ١٤٣، وأخرجه عن عكرمة، عن ابن عباس: النسائي، في السنن الكبرى ١٠/ ٣٤٧، وابن حبان، في الصحيح، رقم ٦٥٧٢، والطبراني، في الكبير ١١/ ٢٥١.

سوّل له[١].

وفي تفسير الطبرسي[٢]: قرأ حمزةُ: وعبد الطاغوتِ. بضم الباء وجر التاء. وقرأ ابنُ عباس، وابن مسعود، وإبراهيم النَخعي، والأعمش، وأبان بن تغلب: عبد الطاغوتِ. بضم العين والباء، وفتح الدال وخفض التاء[٣].

قولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ مما تظنون بنا ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وهذا من باب استعمال أفعلَ التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركٌ؛ كقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤] قاله ابنُ كثير[٤].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أبي سعيد، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قَبْلَكُم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْر ضَبٍّ لدَخَلْتُمُوه» قالوا: يا رسول الله، اليهودَ والنصارى؟ قال: «فمن؟» أخرجاه.

ت: وهذا سياقُ مسلم، فبيَّن ﷺ في هذا الحديث: أنَّ كلَّ ما وقع من[٥] أهل الكتاب ـ مما ذمَّهم اللهُ به في هذه الآيات وغيرها ـ لا بُد أن يقع جميعُه من[٦] هذه الأمة، وهو الشاهدُ للترجمة.

---

(١) البغوي، التفسير ٢/ ٤٩.
(٢) (ط): الطبري.
(٣) الطبرسي، معجم البيان ٦/ ١٣٥.
(٤) ابن كثير، التفسير ٣/ ١٣٥.
(٥) (ط): في.
(٦) (ط): في.

قولُه: «سَنَن» بفتح المهملة، أي: طريق مَن كان قبلكم.

قولُه: «حَذْوَ القُذَّة» بنصب حَذو على المصدر، والقُذَّة ـ بضم القاف ـ واحدةُ القُذذ، وهو ريش السهم. أي: لتتبعُن طريقهم في كل ما فعلوه، وتُشبهوهم[١] في ذلك كما تُشبه قُذَّة السهم القُذَّة الأخرى. فوقع[٢] كما أخبر ﷺ؛ قال سُفيان بن عُيينة: من فَسد من علمائنا ففيه شبهٌ من اليهود، ومن فَسد من عُبّادنا ففيه شبهٌ من النصارى، انتهى[٣].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولمسلم، عن ثَوْبان: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ زَوَى ليَ / الأرض، فرأيتُ مشارقَها ومغاربها، وإنَّ أمَّتي سيَبْلُغ ملْكُها ما زُوِي لي منها. وأُعطيتُ الكَنْزَين: الأحْمرَ والأبْيَض، وإنِّي سأَلْتُ ربِّي لأمتي أنْ لا يُهلِكَها بسَنَةٍ بعامَّةٍ، وأن لا يُسلِّط عليهم عدُوّاً من سِوى أنفُسهم، فَيَسْتَبيحَ بَيْضَتَهُم. وَإِنَّ رَبِّي قالَ: يا مُحَمَّدُ إذا قَضَيْتُ قضاءً فإنَّهُ لا يُرَدُّ، وإنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ: أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وأَنْ لا أُسَلِّطَ علَيْهِم عَدُوّاً منْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فيسْتَبِيحَ بَيْضتَهُم، ولو اجْتَمَعَ علَيْهِمْ مَنْ بأَقْطَارِها، حتَّى يكُونَ بعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا ويَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[٤]. ورواهُ[٥]

[٤٧/أ]

(١) (ط): وتشبهونهم.

(٢) (ط): فوقع. ساقطة.

(٣) ينظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٦٧.

(٤) مسلم، في الصحيح، رقم ٢٨٨٩.

(٥) الأصل: وروى. والمثبت من (ص) و (ط) ونُسخ كتاب التوحيد الخطية.

البَرْقانيُّ في صحيحه، وزاد: «وإنَّما أخافُ علَى أُمَّتِي الأئِمَّةَ المُضِلِّينَ، وإذا وَقَعَ عَليهِمُ السَّيْفُ لمْ يُرْفَعْ إلى يوم القيامة، ولا تقومُ السَّاعَةُ حتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ منْ أُمَّتي بالمُشْرِكِين، وحتَّى تَعبد فِئَامٌ منْ أُمَّتي الأوْثانَ. وإنَّهُ سيكُونُ في أُمَّتي كذَّابُونَ ثلاثُون كُلُّهُمْ يَزْعُم أنَّهُ نبيٌّ، وأنا خاتمُ النَّبِيِّينَ، لا نبِيَّ بعْدِي. ولا تزالُ طائفَةٌ منْ أُمَّتِي على الحَقِّ مَنصورَةً، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلهُمْ ولا مَن خالفَهم حتَّى يأْتيَ أَمْرُ الله تباركَ وتعالى».

ت: هذا الحديثُ: رواه أبو داود في سُننه، وابنُ ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنفُ[١].

قولُه: (عن ثَوبان) هو مولى النبيّ ﷺ، ولازمه ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين[٢].

قولـه: «زَوَى لي الأرض» قال التُّوربشتي[٣]: زَويتُ الشيء، جمعته وقبضته. يُريد تقريب البعيد منها، حتى اطَّلع عليه اطِّلاعَه على القريب ﷺ[٤]. وحاصلُه: أنه طَوى له الأرض، وجعلها له[٥] مجموعةً كهيئة كف

---

(١) أبو داود، في السنن، رقم ٤٢٥٢، وابن ماجه، في السنن، رقم ٤٠٠٠، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٢٧٨، ٢٨٤، والترمذي، في الجامع، رقم ٢١٧٧، ٢٢٠٣، ٢٢٢٠، وقال: حديثٌ حسن صحيح. ولفظة: «ولا من خالفهم» من الأصل، وبعض مصادر التخريج ونسخ كتاب التوحيد الخطية.

(٢) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٢/ ٨٨.

(٣) فضل الله بن حسن التوربشتي، شهاب الدين، أبو عبد الله، محدث فقيهٌ شافعي، له شرح المصابيح. مات سنة ٦٦٠هـ. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية ٨/ ٣٤٩.

(٤) صلى الله عليه وسلم. ليست في (ص).

(٥) (ص) (ط): له. ساقطة.

في مرآة ينظُره.

قال الطيبي: أي[١]: جمعها لي، حتى أبصرتُ ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها.

قولُه: «وإنَّ أمَّتي سيبْلُغُ مَلْكُها ما زُويَ لي منها» قال القرطبي: هذا الخبر وُجد مخَبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ؛ وذلك أنَّ مُلك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طَنجَة ـ بالنون والجيم ـ الذي هو مُنتهى عِمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما وراء خُراسان والنهر وكثير من بلاد الهند والسند والصُّغْد[٢]،/ [٤٧/ب] ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال؛ ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أُريه، ولا أخبر أن مُلك أُمته يبلغُه[٣].

قوله: «زُويَ لي منها» يحُتمل أن يكون مبنياً للفاعل، وأن يكون مبنياً للمفعول.

قولُه: «وأُعْطِيتُ الكَنْزَين الأحْمر والأبْيَض» قال القُرطبي: يعني بها[٤] كنزَ كِسْرى ــ وهو مُلك الفُرس ــ وكنز[٥] قيْصَر ــ وهو مُلك الروم ــ

---

(١) (ط): أي. ساقطة.

(٢) (ط): والصين. والصُّغْد: بلادٌ واسعة، عاصمتها سمرقند. ينظر: الحموي، معجم البلدان ٣/ ٤٠٩.

(٣) القرطبي، المفهم ٧/ ٢١٧، وينظر: المسألة الثانية عشرة.

(٤) (ط): به.

(٥) (ط): كنز. ساقطة.

وقصورَهما وبلادَهما، وقد قال ﷺ: «**والذي نَفْسي بِيَده لتُنفَقن كنوزُهما في سبيل الله**»[١] وعبّر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب. وبالأبيض عن كنز كسرى؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة، ووجد ذلك في خلافة عُمر[٢].

قولُه: «وإني سَألْتُ ربيِّ لأُمَّتي أنْ لا يُهلِكَها بِسَنةٍ بِعَامَّة» هكذا ثبت في أصل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعامة[٣]. بالباء، وهي روايةٌ صحيحة في صحيح مسلم، وفي بعضها بحذفها.

قال القُرطبي: وكأنها زائدة؛ لأن عامة صفة السَّنة، والسنة: الجدبُ الذي يكون به الهلاك العام[٤].

قولُه: «مِن سِوى أنفسِهم» أي: من غيرهم من الكفار، من إهلاك بعضهم بعضاً وسبيِ بعضهم بعضاً، كما هو مبسوطٌ في التأريخ.

قولُه: «فَيَسْتبيحَ بَيْضَتهم» قال الجَوهري: بيضةُ كل شيء حَوْزَته، وبيضةُ القوم: ساحتُهم[٥].

وعلى هذا، فيكون معنى الحديث: أنَّ الله لا يسلِّط العدوَّ على كافة

---

(١) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٦٦٢٩، ومسلم، في الصحيح، رقم ٢٩١٩، وأحمد، في المسند ٥/ ٩٢، ٩٩ من حديث جابر بن سمُرة.

(٢) القرطبي، المفهم ٧/ ٢١٧.

(٣) (ط): بعامة. ساقطة.

(٤) القرطبي، المصدر السابق.

(٥) الجوهري، الصحاح ٣/ ١٠٦٨.

المسلمين، حتى يستبيح جميع ما حازوه[١] من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطار الأرض[٢] ـ وهي جوانبها ـ وقيل: بيضَتهم. معظمُهم وجماعتهم، وإنْ قلُّوا.

قولُه: «وإِنَّ رَبِّي قالَ: يا محمَّدُ إذا قَضَيْتُ قضاءً فإنَّهُ لا يُرَدُّ» هذا[٣]؛ كما في الحديث: «**وَلا رادَّ لما قَضَيْت**»[٤].

قولُه: «**حَتَّى يكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا ويَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا**» الظاهر: أنَّ حتى هُنا لانتهاء الغاية، أي: أنَّ أمر الأُمة[٥] ينتهي إلى أنْ يكون بعضُهم يُهلك بعضاً[٦].

قولُه: (ورواه البَرْقاني في صحيحه) هو الحافظُ الكبير، أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

قال الخطيب: كان ثبْتاً ورعاً، لم نر في شيوخنا أثبتَ منه، عارفاً بالفقه، كثيرَ التصانيف، صنَّف/ [٤٨/أ] مُسنداً ضمَّنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمع

---

(١) (ط): جاوره.

(٢) (ط): ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض. ساقط.

(٣) (ط): هكذا.

(٤) أخرجه عبد الرزاق، في المصنف، رقم ١٩٦٣٨، وصححه ابن حجر، في فتح الباري ١١/ ٥١٣، وأصلُه في الصحيحين، عن المُغيرة.

(٥) (ط): أمته.

(٦) في الأصل و (ص) قدمت هذه الفقرة على ما قبلها، والمُثبت من (ط) وهو ما يقتضيه السياق.

حديثَ الثوري وحديث شُعبة وطائفة(١).

قولُه: «وإنَّما أَخافُ على أُمّتي الأئمَّةَ المُضلِّين» أي: الأُمراءَ والعُلماء والعبَّاد، فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم(٢)؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الصافات: ٧١]، وأمثالُ هذه الآيات كثيرةٌ في القرآن(٣).

وعن زياد بن حُدير، قال: قال لي عُمر: هل تعرفُ ما يهدِمُ الإسلام؟ قلتُ: لا. قال: يهدِمُه زلةُ العالم، وجدالُ المنافق بالكتاب، وحُكم الأئمة المضلّين، رواه الدارمي(٤).

قولُه: «وإذا وقع عليهم السيفُ لم يُرْفع إلى يوم القيامة» وقد وقع ذلك، وما زالت الأمةُ كذلك، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

وفيه ما هو حق: كقتال أهل التوحيد لأهل الشرك بالله، وجهادِهم على تركه(٥).

وقد منَّ اللهُ بذلك على مَن أقامهم في آخر هذا الزمان بالدعوة إلى

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٤.
(٢) (ص) فيضلوهم.
(٣) (ط): هذه الآية كثير.
(٤) الدارمي، في السنن، رقم ٢٢٠.
(٥) (ط): تركهم الشرك.

توحيده، لكن[١] أهل الشرك بدأوهم بالقتال وأظهرهم اللهُ عليهم، كما لا يخفى على مَن تدبّر آيات هذا الدين في هذه الأزمنة.

قولُه: «ولا تقومُ الساعةُ حتى يلحقَ حيٌّ من أمتي بالمشركين» الحيُّ: واحدُ الأحياء، وهي القبائل. وفي رواية أبي داود: «حتى يلحق قبائلُ من أمتي بالمشركين» وَكَم وَكَم!

قولُه: «وحتَّى تَعبد فِئامٌ مِن أُمَّتي الأوْثان» والفئام ــ مهموز ــ: الجماعاتُ[٢] الكثيرة، قاله أبو السعادات[٣]. وهذا هو شاهدُ الترجمة[٤].

وقد استحكمت الفتنةُ بعبادة الأوثان، حتى أنه لا يُعرف أحدٌ في هذه القرون المتأخرة أنكر ما وقع من ذلك، حتى أقام اللهُ شيخَ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الذي أنكره ونهى عنه ودعا الناسَ إلى تركه، وإلى أن يَعبدوا الله وحدَه لا شريك له في ربوبيته وإلهيته[٥] وأسمائه وصفاته. فرموه: العُلماء والملوك[٦] وأتباعُهم بقوس العداوة، فأظهره الله بالحجة والسيف[٧] وأعز أنصارَه على من ناوأهم، وبلغت دعوتُه مشارق الأرض

---

(١) (ط): ولكن.

(٢) الأصل: الجماعة. والمثبت من (ص) و (ط) والمصدر.

(٣) ابن الأثير، النهاية ٣/ ٤٠٦.

(٤) ينظر: المسألتان: السادسة والسابعة.

(٥) (ط): ألوهيته.

(٦) (ط): فرماه الملوك.

(٧) (ط): والسيف. ساقطة.

ومغاربَها ـ ولكن من الناس من عرف ومنهم من أنكر ـ، / وانتفع[١] بدعوته [٤٨/ب] الكثير، من أهل نجد والحجاز وعُمان وغيرها، فلله الحمدُ على هذه النعمة العظيمة، جعلنا الله شاكرين[٢].

قولُه: «وإنَّه سيكون في أمَّتي كَذَّابون ثلاثون كلُّهم يَزْعُم أنَّه نبي» قال القرطبي: وقد جاء عددهم مُعيناً في حديث حُذيفة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يكون في أُمَّتي كَذَّابون دَجَّالون سَبْعٌ وعِشْرون منهم أربَعُ نِسْوَةٍ**» أخرجه أبو نُعيم، وقال: هذا حديثٌ غريب[٣]، وحديثُ ثوبان أصحُ من هذا.

قال القاضي عياض: عُدِّد[٤] من تنبَّأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن ـ ممن اشتُهر بذلك وعُرف واتبعه جماعةٌ على ضلالته ـ فوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كُتب الأخبار والتواريخ[٥] عرف صحة هذا[٦]. وآخرُهم الدَّجال الأكبر[٧].

قولُه: «وأنا خَاتَم النبيِّين» قال الحسن: خاتم: الذي خُتم به[٨]. أي[٩]:

---

(١) (ط): فانتفع.

(٢) (ص): شاكرين لها.

(٣) أبو نُعيم، في الحلية ٤/ ١٧٩، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٣٩٦ بإسناد جيد، كما قال ابنُ حجر في الفتح ١٣/ ٨٧.

(٤) (ص) (ط): عد.

(٥) (ط): والتاريخ.

(٦) القرطبي، المفهم ٤/ ١٠، ٧/ ٢٥١.

(٧) عن ابن حجر، فتح الباري ٦/ ٦١٧، وينظر: المسألة الثانية عشرة.

(٨) أخرجه عبد بن حمَيد، كما في الدر المنثور ١٢/ ٦٢.

(٩) (ط): يعني.

أنه آخر النبيين؛ كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وإنَّما ينزل عيسى بن مريم[١] في آخر الزمان: حاكماً بشريعة محمد ﷺ، مصلّياً إلى قبلته. فهو كأحد[٢] أمته، بل هو أفضل هذه الأمة.

قولُه: «ولا تَزَالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي على الحق مَنْصُورةً لا يَضرُّهم مَن خَذَلهَم» قال النووي: يجوز أنْ تكون الطائفةُ جماعةٌ متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين بصيرٍ بالحرب وشُجاع[٣]، وفقيهٍ و محدِّث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد.

ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعُهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض. ويجوز أن يجتمعوا في بلد واحد، وأن يكونوا في بعض دون بعض منه. ويجوز إخلاءُ الأرض منهم أولاً فأولاً، إلى أن لا يبقى إلا فرقةٌ واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمرُ الله، انتهى مُلخصاً مع زيادة فيه. قاله الحافظ[٤].

قال المصنف: وفيه الآيةُ العظيمة: أنهم مع قلّتهم لا يضرّهم مَن خذلهم ولا من خالفهم، والبشارةُ بأنّ الحق لا يزول بالكُلّيَّة[٥].

---

(١) (ط): عيسى عليه السلام.

(٢) (ط): كآحاد.

(٣) (ط): ما بين شجاع وبصير بالحرب.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٢٩٥. وعن النووي، شرح صحيح مسلم ١٣/ ٦٧.

(٥) المسألتان: التاسعة والعاشرة.

قولُه: «حتى يأتي أمرُ الله» / الظاهرُ أنَّ المراد به: ما رُوي مِن قَبْض مَن [٤٩/أ] بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوعِ الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا شرارُ الناس[١].

وقولُه: «تَبارك وَتَعالى» قال ابنُ القيم: البركةُ نوعان، أحدُهما: بركةٌ[٢] هي فِعْله، والفعل منها بارك، ويتعدّى: بنفسه تارة، وبأداة على تارة، وبأداة في تارة. والمفعولُ منها مُبارك، وهو ما جُعل[٣] كذلك. فكان مباركاً بجعله تعالى.

النوعُ الثاني: بركةٌ تُضاف إليه إضافةَ الرحمة والعِزة، والفعلُ منها تبارك؛ ولهذا لا يُقال لغيره ذلك ولا يصح إلا له عز وجل، فهو سبحانه المُتبارِك وعبدُه ورسوله المُبارك؛ كما قال المسيحُ عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١] فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك[٤]. وأما صفتُه[٥] تبارك: فمختصَّة به؛ كما أطلقها على نفسه في قوله: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] أفلا تراها كيف اطَّردت في القرآن جاريةً عليه مختصةً به، لا تُطلق على غيره. وجاءت على بناء السعة والمبالغة، كتعالى وتعاظم ونحوه؛ فجاء بناءُ

---

(١) أخرجه مسلم، في الصحيح، رقم ١٩٢٤ من حديث عُقبة بن عامر.

(٢) (ط): نوعان: أحدهما: بركة. ساقط.

(٣) (ط): جعل منها.

(٤) من قوله: كما قال المسيح. إلى هنا ليس في (ط).

(٥) (ط): صفة. وفي البدائع: صِيغة.

تبارك على بناء تعالى الذي هو دالٌّ على كمال العلوّ ونهايته، فكذلك تبارك دالٌّ على كمال بركته وعظمتها وسعتها، وهذا معنى قول من قال من السلف: تَبارك تعاظم[1]. وقال ابنُ عباس: جاء بكل بركة[2].



(١) ابن جرير، التفسير ٢٣/١١٨.

(٢) أخرجه ابن جرير، في التفسير ١٧/ ٣٩٤، والنقل عن: ابن القيم، بدائع الفوائد ٢/ ٦٨٠.

(٢٣)
بـــابُ
ما جاء في السِّحْر

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء في السِّحْر.

ت: أي: والكِهانة. السحرُ في اللغة: عبارة عما خفي ولطُف سببه؛ ولهذا جاء في الحديث «إنَّ مِن البيان لَسِحْراً»(١) وهذا من التشبيه البليغ، شبّهه بالسحر لكونه بالبيان يحَصُل منه ما يحصُل من السحر.

قال أبو محمد المقدسي، في الكافي: السحر عزائمٌ ورُقى، ومنه ما يؤثِّر في القلوب والأبدان: فيُمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه؛ قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤] يعني: السواحر اللاتي يعقدن في سِحرهن و(٢) ينفثن في عُقدهن(٣). ولولا أن السحر(٤) حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه(٥)/ . [٤٩/ب]

---

(١) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٥١٤٦، ٥٧٦٧، وأحمد، في المسند ٢/ ١٦، ٥٩، ٦٣، ٩٤، من حديث عبد الله بن عمر.

(٢) (ط): يعقدن في سحرهن و. ساقط.

(٣) (ط): سحرهن.

(٤) (ط): للسحر.

(٥) ابن قدامة المقدسي، الكافي ٥/ ٣٣١.

واختلفوا: هل يكفر الساحر أو لا؟ فذهب طائفةٌ من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال: مالك، وأبو حنيفة، وأحمد. قال أصحابُه: إلا أن يكون سحرُه بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر، فلا يكفر(١).

ومما يدل على أنَّه كفر، قولُه: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] قال عُمر: الجبت: السحر. والطاغوت: الشيطان(٢).

ش: وتقدم كلامُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حد الطاغوت، وأن له أفراداً منها: عبادةُ غير الله، فالمعبودُ طاغوت؛ كما دلت عليه الآيات. ومنهم: الكُهَّان، ومَن يحكم بغير الحق، أو يأمر بما يُخالف الحق، أو يرضى به أو غير ذلك(٣).

---

(١) ينظر: ابن قدامة، المغني ١٢/ ٣٠١، والمحقق، التداوي بالمحرمات، بحث مقدم إلى المؤتمر الفقهي الإسلامي الثاني، المنعقد عام ١٤٣١هـ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور، في السنن ٤/ ١٢٨٣، وابن المنذر، في التفسير ٧٤٥، ٧٤٧، وابن أبي حاتم، في التفسير ٢/ ٤٩٥، ٣/ ٩٧٤، وابن جرير، في التفسير ٤/ ٥٥٦، ٧/ ١٣٥، والبخاري، في الصحيح معلقاً ٨/ ٢٥١، وصححه ابن حجر في الفتح ٨/ ٢٥١.

(٣) تقدم في مقدمة المؤلف.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال جابرٌ: الطواغيتُ: كُهَّانٌ كانَ يَنْزِلُ عليهم الشيطانُ، في كلِّ حَيٍّ واحدٌ[١].

ت: قولُه: (الطواغيتُ كُهَّان) أراد أنَّ الكُهان من الطواغيت.

قولُه: (كان يَنْزِل عليهم الشيطانُ) أراد الجنس، لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة. بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم، ويخبرونهم بما يسترقونه من السمع، فيصدُقون مرةً، ويكذبون مائة.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَات» قالوا: يا رسُولَ اللهِ، ومَا هُنَّ؟ قالَ: «الشِّرْكُ باللهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالْحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبَا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المؤْمِنات».

ت: هكذا أورده المُصنِّفُ غيرَ معزو[٢]، وقد رواه البخاريُّ ومسلم[٣].

قولُه[٤]: «اجتنبوا» أي: ابعِدوا، وهو أبلغُ من قوله: دَعوا أو اتركوا؛ لأن النهي عن القُربان أبلغ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، في التفسير ٣/ ٩٧٦، وابن جرير الطبري، في التفسير ٤/ ٥٥٨، والبخاري، في الصحيح معلقاً ٨/ ٢٥١.

(٢) (ط): غير مفرق.

(٣) البخاري، في الصحيح، رقم ٢٧٦٦، ٥٧٦٤، ٦٨٥٧، ومسلم، في الصحيح، رقم ٨٩.

(٤) (ط): قوله. ساقطة.

قولُـه: «الموبِقـات» بموحَّـدة وقـاف، أي: المُهلكـات، وسـمِّيت هـذه موبقات؛ لأنها تُهلك فاعلَها في الدنيا بـما يترتـب عليهـا مـن العُقوبـات، وفي الآخرة في[1] العذاب.

وفي حـديث ابـن عمـر[2]، عنـد البخـاري في الأدب المُفـرد مرفوعـاً وموقوفاً[3]، قـال: «الكبـائرُ تسعٌ» وذكـر السـبع[4] المـذكورة «والإلحْاد في الحرم وعُقُوق الوالدَين»[5].

قولُه: «قال: الشركُ بالله» هو أنْ يجعل لله نـدّاً: يـدعوه كـما يـدعو الله[6]، أو يرجوه كما يرجو الله، أو يرغب إليه[7].

[٥٠/أ] قال العلامةُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: /

والـشركُ فاحـذرهُ فـشركٌ ظـاهر ذا القـسمُ لـيس بقابـل الغُفـرانِ

وهـو اتـخاذُ النِّـدِّ للـرحمن أيّـاً كـان مـن حَجَـر ومـن إنـسانِ

---

(١) (ط): من.

(٢) (ط): عمير.

(٣) (ط): وموقوفاً. ساقطة.

(٤) (ص) (ط): السبعة.

(٥) البخاري، في الأدب المُفرد، رقم ٨، وأخرجه عبد الرزاق، في المصنف ١٠/ ٤٦٠، وابن المنذر، في التفسير ٦٦٩، وابن جرير، في التفسير ٦/ ٦٤٦، وقال السيوطي، في الدر المنثور ٤/ ٣٦٠: إسنادُه حسن.

(٦) كما يدعو الله. ليست في (ط).

(٧) أو يرغب إليه. ليست في (ط).

يـدعُوه أو يرجُـوه ثـم يخافُـه ويحُبُّـه كمحبـة الـدَّيَّانِ[١]

ويُبدأ[٢] به في الحديث[٣]؛ لأنه أعظمُ ذنبٍ عُصيَ اللهُ به، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

قولُه[٤]: «والسحرُ» تقدّم تعريفُه.

قولُه: «وقَتْلُ النفسِ التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ» أي: قتلُ[٥] نفس المسلم المعصوم، وقتلُ المعاهد؛ كما في الحديث: «**مَن قَتَلَ مُعَاهداً لمْ يَرَحْ رائِحَة الجَنَّة**»[٦] وذهب ابنُ عباس، وأبو هريرة: إلى أنه لا توبة لمن قتل مؤمناً متعمّداً[٧]، وذهب جمهورُ الأمة سلفاً وخلفاً: إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله، فإن تاب وأناب وعمل صالحاً بدّل اللهُ سيئاته حسنات؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا

---

(١) ابن القيم، الكافية الشافية ١٨٩. الأبيات الأرقام ٣٤٩٣-٣٤٩٥ وفيها: يدعوه بل يرجوه ..إلخ

(٢) (ص) (ط): وبدأ.

(٣) في الحديث. ليست في (ط).

(٤) (ط): قوله. ساقطة.

(٥) الأصل (ط): قتل. ساقطة.

(٦) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٣١٦٦، ٦٩١٤، وأحمد، في المسند ٢/ ١٨٦ من حديث ابن عمرو.

(٧) ابن عباس: أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٣٨٥٥، ٤٧٦٥، وأحمد، في المسند ١/ ٢٤٠، ٢٩٤، وأبو هريرة: أخرجه سعيد بن منصور، في السنن ٤/ ١٣٣٠.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

قولُه: «وأكلُ الربا» أي: تناولُه بأي وجه كان(١)؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ الآيات [البقرة: ٢٧٥-٢٨٠] قال ابنُ دقيق العيد(٢): وهو مجرَّب(٣) لسُوء الخاتمة، نعوذ بالله من ذلك؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٣٠﴾ الآية [آل عمران: ١٣٠]، وفي الحديث: «الربا نَيِّفٌ وَسَبْعُون حُوباً أَيْسرُها مِثلُ أنْ يَنْكِح الرجلُ أُمَّه»(٤).

---

(١) (ط): كان. ساقطة.

(٢) محمد بن علي بن وهب القُشيري، أبو الفتح تقيُّ الدين بن دقيق العيد، فقيهٌ شافعي ومحدث. مات سنة ٧٠٢هـ. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية ٩/ ٢٠٧.

(٣) (ط): يجر.

(٤) أخرجه ابن ماجه، في السنن، رقم ٢٢٩٤، وابن أبي شيبة، في المصنف ٦/ ٥٦١، وابن أبي الدنيا في الصمت، رقم ١٧٣، والبيهقي، في الشعب، رقم ٥١٣٢-٥١٣٤، وقال المُنذري، في الترهيب ٣/ ٦: إسنادُه لا بأس به. وله شاهدٌ من حديث ابن مسعود: أخرجه ابن ماجه، في السنن، رقم ٢٢٩٥، والحاكم، في المستدرك ٢/ ٣٧ وصححه، والبيهقي، في الشعب، رقم ٥١٣١، وصححه البوصيري، في المصباح ٢/ ١٩٨، والهيثمي، في مجمع الزوائد ٤/ ١١٧، وشاهدٌ من حديث البراء بن عازب: أخرجه الطبراني، في الأوسط ٨/ ٧٤.

قولُه: «وأكلُ مالِ اليتيم» يعني: التعدّي فيه. وعبّر بالأكل؛ لأنه أعمُّ وجوه الانتفاع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

قولُه: «والتولي يومَ الزَّحف» أي: الإدبارُ عن الكفار وقت التحام القتال؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦].

قولُه: «وقَذفُ المُحصَنات الغافلات المؤمنات» وهو بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسرها: / الحافظات فرُوجهن منه، والمُراد: [٥٠/ب] الحرائرُ العفيفاتُ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن جُندَبٍ، مرفوعاً: «حدُّ السَّاحر ضَرْبُه بالسَّيف» رواهُ الترمذيُّ، وقال: الصحيحُ أنه موقوف[1].

ش: قولُه: (جُندَب) رواه الطبرانيُّ في ترجمة جُندَب بن عبد الله البَجَلي[2]، قال الحافظ: والصوابُ أنه غيرُه، وقد رواه: ابنُ قانع،

(١) الترمذي، في الجامع، رقم ١٤٦٠، وأخرجه الدارقطني، في السنن ٣/ ١١٤، والحاكم في، المستدرك ٤/ ٣٦٠ وصححه ووافقه الذهبي، وضعَّف إسناده ابنُ حجر، في فتح الباري ١٠/ ٢٣٦، وقال الذهبي، في الكبائر ٤٦: والصحيح أنه من قول جُنْدَب.

(٢) الطبراني، في المعجم الكبير ٢/ ١٦١.

والحسن بن سفيان من وجهين، عن الحسن، عن جندَب الخير: أنَّه جاء إلى ساحر فَضَربَهُ بالسَّيْف حتَّى ماتَ، وقال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول. فذكره(١).

قولُه: «حدُّ السَّاحر ضَرْبُه بالسيف» رُوي بالهاء وبالتاء، وكلاهما صحيح(٢).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَفي صحيح البخاري، عَنْ بَجَالة بن عَبَدَةَ، قال: كَتَبَ عُمَرُ أن اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحرة، فَقَتَلنا ثَلاثَ سَواحِر.

ت: هذا الأثر، رواه البخاريُّ كما قال المصنف، لكن لم يذكر قتلَ السواحر(٣).

---

(١) ابن حجر، الإصابة ٢/ ٢٥٥، وأخرجه ابن قانع، في معجم الصحابة ١/ ١٤٤، وعن الحسن بن سفيان: أبو نُعيم في معرفة الصحابة، رقم ١٤٩٢.

(٢) (ط): زيادة: وبهذا الحديث: أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة، فقالوا: يُقتل الساحر. وروي ذلك: عن عُمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبد الله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز، ولم ير الشافعيُّ عليه القتل بمجرد السحر إلا إنْ عمل في سحر ما يبلغ الكفر به. قال ابن المنذر: وهو رواية عن أحمد. والأول أولى؛ للحديث، والأثر عن عمر، وعمل به الناسُ في خلافته من غير نكير. اهـ. وهو بنصه في فتح المجيد ٢/ ٤٧٤.

(٣) أصله عند البخاري، في الصحيح، رقم ٣١٥٦، ولعل المصنفُ تابع تابع في هذا العزو ابن كثير في التفسير ١/ ٥٣٨، وأخرجه مع ذكر قتل السواحر: أبو داود، في السنن رقم ٣٠٤٣، وأحمد، في المسند ١/ ١٩٠، ١٩١ وأبو يعلى، في المسند رقم ٨٦٠، ٨٦١، والدارقطني، في السنن ٢/ ١٥٤ وصححه، كما في الإتحاف ١٠/ ٦٢٧.

قولُه: (عن بَجَالة) بفتح الموحّدة بعدها جيم (ابن عَبَدَة) بفتحتين، التميمي العنبري، بصريٌّ ثقة[١].

وقولُه: (كتب إلينا[٢] عُمَرُ بن الخطاب: أن اقْتُلُوا كُلَّ ساحرٍ وَساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر).

وظاهرُه: أنه يُقتل من غير استتابة، وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك؛ لأن علم السحر لا يزول بالتوبة. وعن أحمد: يُستتاب فإن تاب قُبلت توبتُه، وبه قال الشافعي؛ لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك[٣]، والمُشرك يُستتاب وتُقبل توبته، ولذلك صح إيمانُ سحرة فرعون وتوبتُهم[٤].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وصحَّ عن حَفْصَةَ: أنها أمرَت بقَتل جارية لها سَحَرتْها، فقُتِلَتْ[٥]. وكذا صح: عن جُنْدَب[٦].

ت: قولُه: (وصح عن حفصة: أنها أمرَت بقَتل جاريةٍ لها سَحَرتْها،

---

(١) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ١٦٣.

(٢) إلينا. زيادة من الأصل و (ص) ومثبت في مصادر التخريج.

(٣) (ط): على المشرك.

(٤) ينظر: ابن قدامة، المغني ١٢/ ٣٠٣. وهو بنصه في فتح المجيد ٢/ ٤٧٤.

(٥) أخرجه مالك، في الموطأ، رقم ١٦٨٧، وعبد الرزاق، في المصنف ١٠/ ١٨٠، وابن أبي شيبة، في المصنف ٩/ ٤١٦، ١٠/ ١٣٦، والطبراني، في الكبير ٢٣/ ١٨٧ عن ابن عمر، وصححه أحمدُ كما سيأتي، وابن الصلاح كما في البدر المنير ٨/ ٥٢٠.

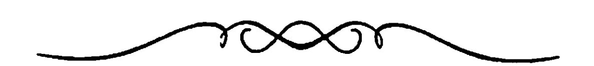
(٦) أخرجه البخاري، في التاريخ ٢/ ٢٢٢، وعبد الرزاق، في المصنف ١٠/ ١٨٢، والطبراني، في الكبير، رقم ١٧٢٥، وصححه أحمدُ كما سيأتي، والذهبيُّ، في تاريخ الإسلام ٣/ ٣.

فقُتِلَتْ) هذا الأثر: رواه مالكٌ في الموطأ. وحفصةُ: هي أمُّ المؤمنين بنتُ عُمر بن الخطاب، تزوجها النبيُّ ﷺ بعد خُنيس بن حُذافة، وماتت سنة خمس وأربعين(١).

وقولُه: (وكذا صحَّ: عن جُندَب) أشار المصنفُ بهذا إلى قتله(٢) الساحر؛ كما رواه البخاريُّ في تاريخه، عن أبي عثمان النهدي، قال: كان عند الوليد رجلٌ يلعب، فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا. فأعاد رأسه، فجاء جُندَبُ الأزدي فقتله. ورواه البيهقيُّ في الدلائل مطوَّلاً / ، وفيه: فأمر به الوليد فسُجن، فذكر القصة بتمامها، ولها طرقٌ كثيرة(٣). [٥١/أ]

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أحمد: عن ثلاثةٍ مِن أصْحابِ النَّبيِّ ﷺ.

ش: أحمدُ: هو الإمامُ أحمد بن محمد بن حَنبَل. أي: صح قتلُ الساحر عن ثلاثة(٤).



(١) ينظر في ترجمتها: ابن حجر، الإصابة ١٣/ ٢٨٤. وفيه: ماتت في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وقيل: بل بقيت إلى سنة خمس وأربعين.

(٢) (ط): قتل.

(٣) الدلائل للبيهقي، كما في الإصابة ١/ ٢٥٠ ـ ولم أجده في المطبوع من كتاب الدلائل ـ وأخرجه، في السنن الكبرى ٨/ ١٣٦.

(٤) أحمد، رواية الميموني، كما في الجامع للخلال ٢/ ٥٢٩.

(٢٤)

بـــابُ
بيانِ شيءٍ من أَنْواع السِّحر

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ بيانِ شيءٍ من أنْواع السِّحر، قالَ أحمد: حدَّثنا محمَّد بن جعفر، حدَّثنا عَوْفُ، عن حَيَّان بن العَلاَءِ، حدَّثنا قَطَنُ بن قَبِيصَةَ، عَن أبيهِ: أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ العِيَافَةَ، والطَّرْق، والطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ». قالَ عَوْفٌ: العِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ. والطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ بالأَرْضِ. والجِبْتُ: قالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطان[١]. [إسنادُه جيّد][٢] ولأبي داود، [والنسائيِّ][٢] وابن حِبَّانَ في صحيحه: المُسْنَدُ منه[٣].

ت: قولُه: (قال أحمد) هو: الإمامُ أحمد بن محمد بن حَنبل؛ و(محمد بن جعفر) هو: المشهورُ[٤] بغُندر، الهُذلي البصري، ثقةٌ مشهور.

---

(١) أحمد، في المسند ٥/ ٦٠، وفيه: قال الحسن: إنه الشيطان. وأخرجه من طريق آخر: أحمد، في المسند ٣/ ٤٧٧، وأخرج الأثر عن عوف: أبو داود، في السنن رقم ٣٩٠٨.

(٢) إضافة من نسخ كتاب التوحيد الخطية والمطبوعة، وشروحه.

(٣) أبو داود، في السنن، رقم ٣٩٠٧، النسائي، في السنن الكبرى ١٠/ ٦٦، وابن حبان، في الصحيح، رقم ٦١٣١، بإسناد حسن، كما قال النووي في رياض الصالحين ٦٣٧، وابن تيمية في المجموع ٣٥/ ١٩٢. وأخرجه ابن خزيمة، في الصحيح، كما في الإتحاف ١٢/ ٦٩١، وعبد الرزاق، في المصنف ١٠/ ٤٠٣، وابن أبي شيبة، في المصنف ٩/ ٤٢، والطبراني، في الكبير ١٨/ ٣٦٩.

(٤) (ط): هو ابن جعفر المشهور.

مات سنة ست ومائتين[١]. و(عوف) هو: ابنُ أبي جَميلة ـ بفتح الجيم ـ العبدي البصري، المعروف بعوف الأعرابي، ثقة. مات سنة ست ـ أو سبع ـ وأربعين، وله ستٌّ وثمانون سنة[٢]. و (حيَّان بن العلاء) بالتحتية[٣] ـ ويقال: حيّان بن مُخارق ـ أبو العلاء البصري، مقبول[٤]. و (قَطَن) بفتحتين، أبو سهلة البصري، صدوق[٥].

قوله (عن أبيه) هو قَبيصة ـ بفتح أوله ـ ابن مخُارق ـ بضم الميم ـ أبو عبد الله الهلالي، صحابيٌّ، نزل البصرة[٦].

قوله: «إنَّ العِيافَة والطَّرْق والطِّيَرةَ من الجِبْت» قال عوفٌ: العيافة: زَجْرُ الطَّير والتَّفاؤُلُ[٧] بأسْمائِها وأصواتها و ممرِّها، وهو من عادة العرب وكثيرٌ في أشعارهم. يقال: عاف يعيف. إذا زجر وحدَس وظن[٨].

قولُه: «والطَّرْقُ» الخَطُّ يُخَطُّ بالأرض. هكذا فسَّره عوفٌ، وهو كذلك.

---

(١) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٨٣٣ وفيه: مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة.

(٢) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٧٥٧.

(٣) (ص): هو بالتحتية.

(٤) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٢٨١. وفيه: حيان بن العَلاء، ويقال: ابن مُخارق.

(٥) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٨٠٢.

(٦) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٩/ ١٨ وفيه: قبيصة بن المُخارق، أبو بشر.

(٧) (ط): والطيرة التفاؤل.

(٨) ينظر: ابن الأثير، النهاية ٣/ ٣٣٠.

وقال أبو السعادات: هو الضَّربُ بالحصى، الذي يفعلُه النساء[(١)].

قولُه: «من الجِبْت» أي: السحر.

قولُه: (قال الحسن: رنَّة الشيطان) قلتُ: ذكر إبراهيمُ بن محمد بن مُفلح[(٢)]، أن في تفسير بقي بن مخلد: أن إبليس رَنّ أربع رناتٍ: رنةٌ حين لُعن، ورنةٌ حين أُهبط، ورنة حين ولد رسولُ الله ﷺ، ورنة حين أُنزلت فاتحة الكتاب[(٣)]. وروى الحافظُ الضياء في المُختارة[(٤)].

الرنينُ: الصوت، وقد رنَّ يرِن رنيناً / ، وبهذا يظهر معنى قول الحسن [٥١/ب] رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن ابن عباس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ اقتَبَس شُعبةً من النُّجوم فقد اقتبس شُعْبةً مِن السِّحْر، زادَ ما زادَ» رواه أبو داود بإسناد صحيح[(٦)].

---

(١) ابن الأثير، النهاية ٣/ ١٢١.

(٢) ينظر في ترجمته: العليمي، المنهج الأحمد ٥/ ١٨٦.

(٣) أخرجه أبو الشيخ، في العظمة، رقم ١١٢٤، وأبو نُعيم، في الحلية ٣/ ٢٩٩، ووكيع، كما في لطائف المعارف ١٩٢، عن مجاهد.

(٤) هكذا في جميع النسخ، ولم يذكر الأثر. وقد أخرجه الطبراني، في الكبير ١٢/ ١١، والضياء في المختارة ١٠/ ١٠٥: عن ابن عباس، قال: لما فتح النبيُّ ﷺ مكة رن إبليسُ رنة اجتمعت إليه جنودُه، فقال: أيْسوا أن ترتد أمةُ محمد على الشرك بعد يومكم هذا.

(٥) (ط) زيادة: قولُه (المسند منه) لم يذكروا قول عوف.

(٦) أبو داود، في السنن، رقم ٣٩٠٥.

ت: وكذا صححه النوويُّ والذهبي، ورواه أحمد وابنُ ماجه(١).

قولُه: «مَن اقْتَبَس» قال أبو السعادات: قبست العلم واقتبسته(٢)، إذا علِمْتُه. انتهى(٣).

قولُه: «شُعبةً» أي: طائفة من علم النجوم. والشعبةُ الطائفة(٤)؛ ومنه الحديث: «**الحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الإيمان**»(٥) أي: جزءٌ منه.

قولُه: «فَقَد اقْتَبس شُعْبَةً من السحر» أي: المحرّم تعلُّمه(٦). قال شيخُ الإسلامُ: فقد صرّح رسولُ الله ﷺ بأنّ علم النجوم مِن السحر؛ وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾(٧) [طه: ٦٩].

قولُه: «زاد ما زاد» أي: كلّما زاد من تعلُّم علم(٨) النجوم، زاد في

---

(١) أحمد، في المسند ١/ ٢٧٧، ٣١١، وابن ماجه، في السنن، رقم ٣٧٢٦، وصححه النوويُّ، في رياض الصالحين ٦٣٧، والذهبي، في الكبائر ١٢٣، وقال ابن تيمية، في المجموع ٣٥/ ١٩٣: إسنادُه صحيح.

(٢) (ط): واقتبست.

(٣) ابن الأثير، النهاية ٤/ ٤.

(٤) (ط): من علم النجوم. والشعبة الطائفة. ساقط.

(٥) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٩، ومسلم، في الصحيح، رقم ٣٥، وأحمد، في المسند ٢/ ٤١٤ من حديث أبي هريرة.

(٦) (ط): المحرم تعليمه.

(٧) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٩٣.

(٨) (ط): علم. ساقطة.

الإثم[١] الحاصل بزيادة الاقتباس من شُعبه؛ فإنّ ما يعتقده[٢] في النجوم من التأثير باطلٌ، كما أنَّ تأثير السحر باطلٌ. والله أعلم.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وللنسائي، من حديث أبي هريرة: «مَن عَقَدَ عُقْدَةً ثم نَفَثَ فيها فَقَد سَحَرَ، وَمَن سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَن تَعَلَّق شَيْئاً وُكِلَ إليه»[٣].

ش: هذا الحديثُ ذكره المصنفُ من حديث أبي هريرة، وعزاه للنسائي. وقد رواه النسائيُّ مرفوعاً، وحسَّنه ابنُ مفلح[٤].

قولُه: (وللنسائي) هو الإمامُ الحافظ، أحمد بن شُعيب بن علي بن سِنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن[٥]، صاحبُ السنن الكبرى والمُجتبى وغيرهما، روى: عن محمد بن المُثنىَّ، وابن بشَّار، وقُتيبة، وخلق. وكان إليه المُنتهى في العلم بعلل الحديث. مات سنة ثلاث وثلاثمائة، وله ثمانٌ وثمانون سنة[٦].

قولُه: «مَن عَقَد عُقْدَةً ثم نَفَثَ فيها فَقَدْ سَحَر» قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ

---

(١) (ط): زاد في السحر وفي الإثم.

(٢) (ط): يعتقدونه.

(٣) النسائي، في المجتبى ٧/ ١١٢، والسنن الكبرى ٣/ ٤٤٩، وأخرجه ابن مردويه، كما في الدر المنثور ١٥/ ٨٠١.

(٤) ابن مفلح، الآداب الشرعية ٣/ ٧٨.

(٥) (ط): بن عبد الرحمن.

(٦) (ط): مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة، وله ثمانون سنة. وينظر ترجمته: ابن حجر، التقريب ٩١.

﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ٤] يعني: السواحرَ اللاتي يفعلن ذلك، والنَّفْثُ: هو من رِيق، وهو دون التَّفْل[١].

قولُه: «ومَنْ تعلَّق شَيْئاً وُكِلَ إليه» أي: من علَّق قلبَه بشيء[٢] يرجوه ويخافه، وكَلَه الله إلى ذلك الشيء. ومن قصر تعلُّقه على الله وحده، كفاه ووقاه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ومن تعلّق قلبُه بغيره[٣] ـ في رجاء نفع أو دفع ضر ـ فقد أشرك.

[٥٢/أ] **قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن ابن مسعود، أنَّ/ رسولَ الله ﷺ قال: «ألا هَلْ أُنبِّئُكمْ ما الْعَضْهُ؟ هي النَّميمةُ: القالةُ بين الناس» رواه مسلم[٤].**

ش: قولُه: «ألا هل أُنبِّئكمْ ما العَضْهُ؟»، أي: أخبركم. والعضه:[٥] بفتح المهملة وسكون المعجمة. ثم فسَّره[٦] بقوله: «هي النميمةُ: القالةُ بين الناس» فأطلق عليها: العضه؛ لأنَّ النمام يعمل عمل الساحر. وذكر ابنُ عبد البر، عن يحيى بن أبي كثير، قال: يُفْسد النمامُ والكذاب في ساعة ما لا

---

(١) (ط): والنفث: هو دون النفس. ا.هـ والرِّيق: ماء الفم. ينظر: المصباح المنير ٢٠٥.
(٢) (ط): بشيء بحيث.
(٣) (ط): بغير الله.
(٤) مسلم في الصحيح، رقم ٢٦٠٦.
(٥) (ط): أي: أخبركم. والعضه. ساقط.
(٦) (ط): فسرها.

يُفسد الساحر في سنة. وقال أبو الخطَّاب، في عيون المسائل: ومن السحر السَّعيُ بالنميمة والإفساد بين الناس[١].

قال ابنُ حَزم: واتفقوا على تحريم الغِيبة والنميمة[٢] في غير النصيحة الواجبة[٣]. وفيه: دليلٌ على أنها من الكبائر[٤].

قولُه: «القالَةُ بين الناس» ومنه الحديث: «**فَفَشَتِ القالَةُ بين الناس**»[٥] أي: كثْرةُ القول وإيقاعُ الخصومة.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهما، عن ابن عمر، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ مِن البيان لسحراً»[٦].

ت: البيانُ: البلاغةُ والفصاحة. قال ابنُ عبد البر: تأوَّله طائفةٌ على الذم؛ لأن السحر مذموم. وذهب أكثرُ أهل العلم، وجماعةُ أهل الأدب: إلى أنَّه على المدح؛ لأن الله تعالى مدح البيان، قال: وقال عمرُ بن عبد العزيز لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قولُه. قال: و[٧] هذا والله السحرُ

---

(١) نقله عن ابن عبد البر، وأبي الخطاب: ابنُ مفلح في الفروع ٦/ ١٨٠.

(٢) من قوله: والإفساد. إلى هنا. ساقطٌ من الأصل، وهو انتقال نظر من الناسخ.

(٣) ابن حزم، مراتب الإجماع ٢٥٢.

(٤) ينظر: المسألة الخامسة.

(٥) أخرجه البخاري، في الصحيح، رقم ٢٥٠٥ عن جابر، وأخرجه، في الصحيح، رقم ٢٥٠٦ عن ابن عباس.

(٦) تقدم تخريجُه في أول الباب رقم (٢٣).

(٧) (ط): قال: و. ساقط.

الحلال. انتهى[١]، والأولُ أصح.

والمرادُ به: البيانُ الذي فيه تمويهٌ على السامع، وتلبيس؛ كما قال بعضُهم:

في زُخرفِ القول تَزيينٌ لباطِلِه والحقُّ قد يعتريه سُوءُ تعبير[٢]

مأخوذٌ من قول الآخر[٣]:

تقولُ هذا مجُاجُ النحل تمدحُه وإن تَشَا قُلْتَ ذَا قَيْءُ الزَّنَانيرِ
مَدْحاً وذَمّا وما جاوزت وصفَهما والحقُّ قد يعتريه سُوءُ تعبير[٤]

قولُه: «إنَّ مِنَ البيان لَسِحْراً» هذا من التشبيه البليغ؛ لكون ذلك يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالبِ الباطل والباطلَ في قالب الحق، فيستميل به قلوبَ الجهال حتى يقبل الباطلَ ويُنكر الحق.

وأما البيانُ الذي يوضّح الحق ويقرره، ويُبطل الباطلَ ويبيّنه: فهذا هو الممدوح. وهكذا حالُ الرسل وأتباعهم؛ ولهذا علت مراتبُهم[٥] في الفضائل وعظُمت حسناتهم.

---

(١) ابن عبد البر، التمهيد ٢٣/ ٤١٠، ٤١٤.
(٢) لأحمد بن شافع الجيلاني، كما في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١/ ٣١٣.
(٣) (ص): الشاعر.
(٤) ذكرهما ابنُ القيم، في مفتاح دار السعادة ١٥٣.
(٥) (ص): مرتبتهم.

(٢٥)

بــــابُ

ما جاء في الكُهَّانِ ونَحوِهم

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب ما جاء / في الكُهَّانِ ونَحوِهم. [٥٢/ب]

ت: الكاهِنُ: هو الذي يأخذ عن مُسترق السمع، وكانوا قبل المَبعث كثيراً. وأما بعد المَبعث فإنهم قلّوا؛ لأن الله حرس السماء بالشُّهب. وأكثرُ ما يقع في هذه الأمة: ما يُخبر به الجنُّ مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة ـ مما يقع في الأرض من الأخبار ـ فيظنه الجاهلُ كشفاً وكرامة. وقد اغترَّ بذلك كثيرٌ من الناس، يظنون ذلك المُخبرَ لهم عن الجنّ ولياً لله وهو من أولياء الشيطان؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: روى مسلمٌ في صحيحه، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مَن أَتى عَرَّافا فسأله عن شيء ـ فصدَّقه بما يقول ـ لم تُقبل له صلاةٌ أربعين يوما»(١).

ت: قولُه: (عن بعض أزواج النبي ﷺ) هي حفصةُ، ذكره أبو مسعود

(١) مسلم، في الصحيح، رقم ٢٢٣٠، وأخرجه أحمد، في المسند ٤/ ٦٨، ٥/ ٣٨٠ واللفظُ له.

الثقفي[١]؛ لأنه ذكر هذا الحديث في الأطراف في مُسندها[٢].

قال البَغوي: العرَّاف: الذي يدَّعي معرفةَ الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن، والكاهنُ هو الذي يُخبر عن المغيَّبات في المستقبل، وقيل: الذي يُخبر عما في الضمير[٣]. وقال شيخُ الإسلام: العرَّاف اسمٌ للكاهن، والمنجِّم والرمَّال، ونحوهم[٤]. وقال أيضاً: والمنجِّم يدخل في اسم العرَّاف[٥]. وقال ابنُ القيّم: من اشتهر بإحسان الزّجر عندهم سمّوه عائفاً وعرافاً[٦].

قولُه: «لم تُقبل له صلاةٌ أربعينَ يوماً» قال النوويُّ وغيرُه، ما معناه: إنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجُزئةً بسقوط الفَرض عنه. ولا بُد من هذا التأويل في هذا الحديث؛ فإنَّ العلماء متفقون على أنَّه لا يلزم مَن أتى العراف إعادةُ صلاة أربعين ليلة. انتهى مُلخصاً[٧].

---

(١) هكذا في جميع النسخ، والصواب: الدِّمشقي. ينظر في ترجمته: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٦/ ١٧٢.

(٢) ينظر: المزي، تحُفة الأشراف بمعرفة الأطراف ١١/ ٢٩٢.

(٣) البغوي، شرح السنة ١٢/ ١٨٢. ونقله المصنفُ في آخر هذا الباب.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٧٣، ونقله المصنفُ أيضاً في آخر هذا الباب.

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٩٣.

(٦) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢/ ٣١٨.

(٧) النووي، شرح صحيح مسلم ١٤/ ٢٢٧.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «مَن أَتَى كاهِناً فصدَّقهُ بما يقولُ فَقَد كَفَر بما أُنزل عَلى محمّد ﷺ» رواه أبو داود[١]./ وللأربعة، والحاكم ـ وقال. صحيح على شرطهما ـ عن... [٥٣/أ] «مَن أَتَى عرَّافا أو كاهِناً فصدَّقهُ بما يَقُولُ فَقَد كَفَر بما أُنْزلَ عَلَى محمد ﷺ»[٢].

ت: هكذا بيَّض المصنفُ لاسم الراوي، وقد رواه: أحمدُ، والبيهقي، والحاكم، عن أبي هُريرة مرفوعاً[٣].

قولُه: «مَن أَتَى عرافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كَفَرَ بما أُنْزِلَ على محمدٍ ﷺ» قال القُرطبي[٤]: المُراد بالمنزل: الكتاب والسنة. انتهى.

---

(١) أبو داود، في السنن، رقم ٣٩٠٤، وأخرجه الترمذي، في الجامع، رقم ١٣٥، وابن ماجه، في السنن، رقم ٦٣٩، وأحمد، في المسند ٢/ ٤٠٨، ٤٧٦. وفي (ط) زيادة ما نصه: وفي رواية أبي داود (أو أتى امرأته) قال مُسدد: امرأته حائضاً (أو أتى امرأة) قال مُسدّد: امرأته في دبرها، فقد برئ مما أُنزل على محمد ﷺ.

(٢) الحاكم، في المستدرك ١/ ٨ وصححه، ولم يروه أحدٌ من أصحاب السنن، ولعل المصنفُ تابع في ذلك ابن حجر، كما في فتح الباري ١٠/ ٢١٧.

(٣) أحمد، في المسند ٢/ ٤٢٩، والبيهقي، في السنن الكبرى ٨/ ١٣٥، وأخرجه الخلال، في السنة، رقم ١٣٩٨، ١٤٠٠، وابن بطة، في الإبانة، رقم ٩٩٢، ٩٩٣، وابن خُزيمة في التوكل، كما في إتحاف المهرة ١٤/ ٤٧٥، وصححه الذهبيُّ في الكبائر ١٢٣، وله شاهدٌ من حديث عمران الآتي.

(٤) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: الطيبي. ينظر: سليمان بن عبد الله، شرح كتاب التوحيد ٤١٠.

قال المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولأبي يعلى بسند جيّد، عن ابن مسعود مثلُهُ، موقوفاً[١].

ش: أبو يعلى، اسمُه: أحمد بن علي بن المثنّى الموصِلي، الإمام صاحبُ التصانيف كالمسند وغيره. روى: عن يحيى بن معين، وأبي خيثمة، وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق، وكان من الأئمة الحفّاظ. مات سنة سبع وثلثمائة[٢].

وهذا الأثر: رواه البزارُ أيضاً، ولفظُه: مَن أتى كاهِناً أو ساحراً فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنْزل على محمد ﷺ[٣]. وفي هذه الأحاديث: التصريحُ بكفره[٤].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن عِمْران بن حُصيْن، مرفوعاً: «ليس منّا مَن تطيَّر أو تُطِيِّر له أو تكهَّن أو تُكُهِّن لهُ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له. ومن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول، فَقَد كَفَر بما أُنْزل على محمد ﷺ»، رواه البزَّار بإسناد جيِّد[٥]، ورواه الطَّبرانيُّ بإسْنَاد حسنٍ، من حديث ابن عبَّاس،

---

(١) (ط): مرفوعاً. والأثر، عند أبي يعلى، في المسند، رقم ٥٤٠٨، قال ابنُ حجر، في فتح الباري ١٠/ ٢١٧: سندُه جيّد.

(٢) ينظر في ترجمته: الذهبي، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠٧.

(٣) البزار، في المسند، رقم ٢٠٦٧ (كشف الأستار) قال ابنُ حجر في فتح الباري ١٠/ ٢١٧: إسنادُه جيد.

(٤) المسألة الثانية.

(٥) البزار، في المسند، رقم ٣٠٤٤ (كشف الأستار) قال ابنُ حجر، في فتح الباري ١٠/ ٢١٧: سندُه جيد.

دون قوله: «ومن أتى... » إلى آخره[١].

ت: قولُه: «ليس منا» فيه[٢]: دليلٌ على نفي الإيمان الواجب، وهو لا يُنافي ما تقدم: من أنَّ الطيرة شرك، والكهانة كفر.

قولُه: (رواه البزَّار) هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر البزّار البصري، صاحبُ المسند الكبير، روى: عن ابن بشار[٣]، وابن المثنَّى، وخلق. مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين[٤].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال ابنُ عباس ـ في قومٍ يكتُبون أَبَا جَادٍ وَيَنْظُرون في النُّجوم ـ: مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذلك لَهُ عَنْدَ اللهِ مِنْ خَلاق[٥].

ت: هذا الأثرُ: رواه الطبرانيُّ، عن ابن عباس مرفوعاً، وإسنادُه ضعيف[٦].

قولُه: (ما أَرَى) يجوز فتحُ الهمزة بمعنى: لا أعلم، ويجوز ضمها بمعنى: لا أظن. وكتابةُ أبي جاد وتعلُّمها ـ لمن يدَّعي بها علم الغيب ـ هو

---

(١) الطبراني، في الأوسط، رقم ٤٢٦٢، وقال المُنذري، في الترهيب ٤/ ٣٣: إسنادُه حسن.

(٢) (ط): فيه. ساقطة.

(٣) ابن بشار. ليست في (ط).

(٤) ينظر في ترجمته: الذهبي، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٣.

(٥) أخرجه عبد الرزاق، في المصنف ١١/ ٢٦، وابن أبي شيبة، في المصنف ٨/ ٤١٤، والبيهقي، في السنن ٨/ ١٣٩، والشُّعب ٣/ ٣٠٦.

(٦) الطبراني، في الكبير، رقم ١٠٩٨٠، وضعَّفه الهيثميُّ في المجمع ٥/ ١١٧.

الذي يُسَمَّى علمُ الحُروف[١]، وهو الذي فيه الوعيد. وأمَّا تعلُّمها للتَّهجي وحساب الجُمَّل / ، فلا بأس به. [٥٣/ب]

قولُه: (وينظُرون في النُّجوم) أي: ويعتقدون أنَّ لها تأثيراً في باب التنجيم. وفيه: الحذرُ من كل علم لا تُعلم صحتُه من كتاب الله وسنة رسوله، وقد ورد النَّهيُّ عنها والتحذيرُ من قُرب أهلها وسؤالِهم وتصديقهم فيما أخبروا به من باطلهم، فما أكثَر من يغترُّ بهذه الأمور.



(١) (ص): الحرف.

(٢٦)
بـــابُ
ما جاء في النُّشْرة

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء في النُّشْرة.

ت: بضمِّ النون، كما في القاموس[١]. قال أبو السعادات: النُّشْرة، ضربٌ من العلاج والرقية، يُعالج به مَن كان يُظنُّ أنَّ به مسّاً من الجن، سُمّيت نُشرة؛ لأنَّه يُنشّر بها عنه ما خامره من الداء، أي: يُكشف ويزال[٢]. قال ابنُ الجوزي: النُّشرة: حلُّ السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرفُ السحر[٣].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن جابر، أنَّ رسول الله ﷺ سُئِل عن النُّشرة، فقال: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيطان» رواه أحمدُ بسند جيّد، وأبو داود[٤]، وقال: سُئِل أحمد عنها، فقال: ابنُ مسعود يكره هذا كلَّه[٥].

---

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ٤/ ٣٧٢.

(٢) ابن الأثير، النهاية ٥/ ٥٤.

(٣) ابن الجوزي، غريب الحديث ٢/ ٤٠٨.

(٤) أحمد، في المسند ٣/ ٢٩٤، وأبو داود، في السنن، رقم ٣٨٦٨، وقال ابنُ حجر، في فتح الباري ١٠/ ٢٣٣: إسنادُه حسن.

(٥) أحمد، رواية جعفر، كما في الآداب الشرعية لابن مُفلح ٣/ ٧٧، ولم أره في المسائل لأبي داود. والأثر عن ابن مسعود: أخرجه عبد الرزاق، في المصنف ٧/ ٣٩٢.

ت: هذا الحديثُ: رواه أحمدُ، ورواه عنه أبو داود في سُننه، وحسَّن الحافظُ إسنادَه.

قولُه: (سُئِل عن النُّشرة) الألف واللام في النشرة للعهد، أي: النُّشرة المعهودة ـ التي كان أهلُ الجاهلية يصنعونها ـ هي[1] من عمل الشيطان.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي البخاري، عن قتادة: قلتُ لابن المُسيِّب: رجلٌ به طِبٌّ أو يُؤَخَّذ عن امرأتِه، أَيحَلُّ عنه أو يُنَشَّرُ؟ قال: لا بأسَ بِهِ. إنما يُريدون به الإصلاحَ، فأمَّا ما يَنْفَعُ فلمْ يُنْهَ عنه[2].

ت: قولُه: (عن قتادة). هو ابنُ دِعامة ـ بكسر الدال ـ السَّدوسي، ثقةٌ فقيه، من[3] أحفظ التابعين وأئمة التفسير، قالوا: إنه ولد أكمه. مات سنة بضع عشرة ومائة[4].

قولُه: (رجلٌ به طِبٌّ). بكسر الطاء، أي: سحر. يُقال: طُب الرجل ـ بالضم ـ إذا سُحر.

قولُه: (أو يُؤَخَّذ) بفتح الواو مهموز[5] وتشديدِ الخاء المُعجمة، وبعدها

---

(١) (ط): وهي.

(٢) البخاري، في الصحيح مُعلقاً (فتح الباري ١٠/ ٢٣٢) ووصله ابنُ أبي شيبة، في المصنف ٧/ ٣٩٠، وحرب، في المسائل ٣٠٦، والطبري، في تهذيب الآثار، والأثرم، في السنن بإسناد صحيح، كما في التغليق لابن حجر ٥/ ٤٩.

(٣) (ط): بكسر الدال، ثقة فقيه حافظ من.

(٤) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٧٩٨.

(٥) (ط): مهموزاً.

ذال[1]. أي: يحُبس عن امرأته، فلا[2] يصل إلى جماعها. والأُخذة: ـ بضم الهمزة ـ : الكلام الذي يقوله[3] الساحر.

قولُه: (أَيحُلُّ) بضم الياء وفتح الحاء، مبني للمفعول.

قولُه: (أو يُنَشَّر) بتشديد المُعجمة / . [٥٤/أ]

قولُـه: (لا بـأس بـه) يعنـي: أن النُّشرةَ لا بـأس بهـا؛ لأنهـم يُريـدون بهـا الإصلاح. أي: إزالة السحر؛ ولم يُنْه عمّا يُراد به الإصلاح[4]. وهـذا مـن ابـن المسيّب: يحُمل على نوع من النُّشرة، لا يُعلم أنه سحرٌ[5].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ورُويَ عن الحسن، أَنَّه قال: لا يَحِلُّ السحرَ إلا ساحر[6]

ت: هذا الأثر: ذكره ابنُ الجوزي في جامع المسانيد[7]. والحسن، هـو: ابـن أبي الحـسن، واسـمُه يسار ـ بالتحتية والمهملـة ـ البـصري الأنـصاري

---

(١) (ط): ذال معجمة.

(٢) (ط): لا.

(٣) (ط): قاله.

(٤) من قوله: أي إزالة. إلى هنا. ساقطٌ من (ط).

(٥) ينظر: في حكم حل السحر بالسحر: المحقق، التداوي بالمحرمـات ١/ ٧٧٧-٧٨٠ (مجموعة بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي الثـاني في كليـة الشريعة في الريـاض، عـام ١٤٣١هـ).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف ٧/ ٣٨٧، والطبري، في تهـذيب الآثـار، كـما في فتح الباري ١٠/ ٢٣٣.

(٧) ابن الجوزي، في جامع المسانيد، كما في الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/ ٧٧.

مولاهم، ثقةٌ فقيه إمام، من خيار التابعين. مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين(١).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابنُ القيِّمِ: النُّشْرةُ: حَلُّ السحر عن المسحور، وهي نوعان: حَلٌّ بسحرٍ مثلِه، وهو الذي مِنْ عَمَلِ الشيطان. وعليه يُحْملُ قولُ الحسن، فَيَتَقرَّبُ النَّاشرُ والمنتشرُ إلى الشيطان بما يُحِبُّ، فيبطُلُ عملُه عن المَسْحُور، والثاني: النُّشْرَة بالرُّقْية والتَّعوُّذات والدعوات والأدوية المُباحَةِ، فهذا جائزٌ(٢).

ت: ومما جاء في صفة النُّشرة الجائزة: ما روى ابنُ أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن ليث بن أبي سُليم، قال: بلغني أنَّ هؤلاء الآيات شفاءٌ من السحر بإذن الله، تُقرأ في إناء فيه ماء، ثم يُصب على رأس المسحور: الآيةُ التي في سورة يونس ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١-٨٢]، وقولُه: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأعراف: ١١٨] إلى آخر الآيات الأربع، وقولُه: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩](٣).

وقال ابنُ بطَّال: في كتاب وهب بن مُنبِّه: أن يأخذ سبعَ ورقاتٍ من سدر أخضر فيدقَّه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آيةَ الكرسي والقواقل،

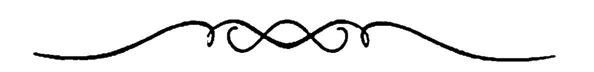
---

(١) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٢٣٦.

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين ٤/ ٤٨٨. والنقل عن ابن القيم، ليس في (ط).

(٣) ابن أبي حاتم، في التفسير ٦/ ١٩٧٤، وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور ٧/ ٦٩٢.

ثم يحسو منه ثلاث حَسَوات، ثم يغتسل به. يُذهب عنه كلَّ ما به، وهو جيّدٌ للرجل إذا حُبس عن أهله[١].



(١) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، كما في فتح الباري ١٠/ ٢٣٣.

(٢٧)
بــاب
ما جاء في التَّطيُّر

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء في التَّطيُّر.

ت: أي: من النهي عنه والوعيد. والطِّيَرةُ ـ بكسر الطاء، وفتح الياء وقد تُسكَّن ـ اسمُ مصدر، من تطيَّر طِيرة. وأصلُه: التطيرُ بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك[1] يصدهم عن مقاصدهم/ . فنفاهُ الشرعُ [٥٤/ب] وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ودفع ضر.

قال المَدائني: سألتُ رؤبة بن العجَّاج، قلتُ: ما السانح؟ قال: ما وَلَّاك ميامنه. قلت: فما البارحُ؟ قال: ما وَلَّاك مياسرَه. والذي يجيءُ من أمامك هو الناطحُ والنطيح، والذي يجيءُ من خلفك هو القاعدُ والقعيد[2].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف: ١٣١].

ت: ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١] المعنى: أنَّ آل فرعون إذا أصابتهم الحسنةُ. أي: الخِصب والسعة والعافية

---

(١) (ط): ذلك التطير.

(٢) المدائني، الزجر والفأل، كما في مفتاح دار السعادة ٢/ ٣١٨. وفي (ط): القاعدة والقعيد.

ـ كما فسره مجاهدُ وغيره ـ ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾[(١)] أي: نحن الجديرون والحقيقون به، ونحن أهل[(٢)] ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: بلاءٌ وقَحط ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابِه، أصابنا بشؤمهم[(٣)]؛ فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: طائرُهم: ما قُضِي عليهم وقُدِّر لهم. وفي رواية: شؤمُهم عند الله ومن قِبَلِهِ. أي: إنما جاءهم الشؤمُ من قِبَلِهِ، بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله[(٤)].

قولُه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أنَّ أكثرهم جُهَّالٌ لا يدرون، ولو فهموا وعقلوا: لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخيرُ والبركة والسعادة والفلاح، لمن آمن به واتَّبعه[(٥)].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِه: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩] الآية.

ش: المعنى ـ والله أعلم ـ[(٦)]: حظُّكم وما نابكم[(٧)] من شرٍّ معكم؛

---

(١) وإن تصبهم. إلى هنا. ساقطٌ من (ط).

(٢) (ط): أهله.

(٣) أخرجه الطبري، في التفسير ١٠/ ٣٧٦، وابن أبي حاتم، في التفسير ٥/ ١٥٤٣.

(٤) أخرج الأثر: الطبري، في التفسير ١٠/ ٣٧٧، ٣٧٨ بنحوه، والسياق للبغوي، في التفسير ٢/ ١٩٠.

(٥) (ط): واتبع قوله.

(٦) : والله أعلم. ليست في (ط).

(٧) (ط): نالكم.

بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيكم وعدوانكم. فطائرُ الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشر(١) فهو سببُه الجالب له، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله.

وقولُه: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله، قابلتمونا بهذا الكلام ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «لا عَدْوى ولا طِيرة ولا هامَة ولا صَفَر» أخرجاه، زاد مسلم: «ولا نَوْءَ ولا غُولَ»(٢).

ش: قولُه: «لا عَدْوى» قال أبو السعادات: العَدْوى: اسمٌ من الإعداء، كالدعوى/ يُقال: أعداه الداء يُعديه إعداء؛ إذا أصابه مثلُ ما بصاحب الداء(٣). [٥٥/أ]

قولُه: «ولا طِيرة» قال ابنُ القيّم: يُحتمل أن يكون نفياً أو نهياً، أي: لا تطيَّروا. ولكن قوله في الحديث: «**ولا هامة ولا صفر**»، يدل على أنَّ المراد: النفي، وإبطالُ هذه الأمور التي كانت الجاهلية تُعانيها. والنَّفيُ في هذا أبلغُ من النهي؛ لأن النفي يدل على بُطلان ذلك وعدمِ تأثيره، والنَّهيَ إنما يدل على المنع منه.

---

(١) (ط): الشرور.

(٢) البخاري، في الصحيح رقم ٥٧٥٧، ومسلم، في الصحيح رقم ٢٢٢٠، وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٦٧، ٣٢٧، ٣٩٧، ٤٣٤.

(٣) ابن الأثير، النهاية ٣/ ١٩٢.

قال عكرمةُ: كُنَّا جلوساً عند ابن عباس، فمر طائرٌ يصيح، فقال رجلٌ من القوم: خيرٌ، خيرٌ، فقال له ابنُ عباس: لا خيرَ ولا شر[١]. فبادره بالإنكار عليه؛ لئلا يعتقد تأثيرَه في الخير والشر.

وخرج طاووس مع صاحب له في سفر، فصاح غُرابٌ. فقال الرجل: خيرٌ، فقال طاووس: وأي خيرٍ عند هذا، لا تصحبني[٢]. انتهى ملخصاً[٣].

قولُه: «ولا هامة» بتخفيف الميم، على الصحيح. قال الفرَّاء: الهامةُ طيرٌ من طير الليل، كأنه[٤] يعني البُومة. قال ابنُ الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها، إذا وقعت على بيت أحدهم، يقول: نعت إليَّ نفسي، أو أحداً من أهل داري[٥]. فجاء الحديثُ بنفي ذلك وإبطاله.

وقولُه: «ولا صَفَر» بفتح الفاء، روى أبو عُبيد[٦] في غريب الحديث، عن رؤبة، أنه قال: هي حيَّةٌ تكون في البطن تُصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرَب عند العرب[٧].

---

(١) أخرجه الطبري، كما في فتح الباري ١٠/ ٢١٥، وابن عبد البر، في التمهيد ٢٢/ ٦٣٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق، في المصنف ١٠/ ٤٠٦.

(٣) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢/ ٣٢٥-٣٢٧.

(٤) (ط): كان.

(٥) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة ٦/ ٤٦٩.

(٦) (ط): أبو عبيدة.

(٧) أبو عُبيد، غريب الحديث ١/ ٢٥.

وعلى هذا، فالمراد بنفيه: ما كانوا يعتقدونه من العَدوى. وممن قال بهذا: سُفيان بن عُيينة، والإمام أحمد، والبخاري، وابنُ جَرير[(١)].

وقال[(٢)]: المُراد به: شهرُ صفر[(٣)]. والنفيُ لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلّون المحرم ويحرمون صفر مكانه. وهذا قولُ مالك[(٤)].

وروى أبو داود، عن محمد بن راشد، عمن سمعه، يقول: إنَّ أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهرٌ مشئوم. فأبطل النبيُّ ﷺ ذلك[(٥)].

قال ابنُ رجب: ولعل هذا القول[(٦)] أشبَه الأقوال، والتشاؤم بصفر كتشاؤم أهل الجاهلية بشوال بالنكاح فيه خاصة[(٧)].

قولُه: «ولا نَوء» سيأتي الكلامُ عليه في بابه[(٨)].

قوله: «ولا غُول» هو بالضم اسمٌ، و جمعُه أغوالٌ وغيلان، وهو المراد

---

(١) ابن جرير، تهذيب الآثار ١/ ٣٨.

(٢) الأصل: وقال آخرون.

(٣) ينظر: أبو عُبيد، غريب الحديث ١/ ٢٨، وقال: ولم يقل أحدٌ منهم أنه من الشهور غيرُ أبي عبيدة.

(٤) قول مالك: أخرجه أبو داود، في السنن رقم ٣٩١٤.

(٥) أبو داود، في السنن رقم ٣٩١٥.

(٦) (ط): القول. ساقطة.

(٧) ابن رجب، لطائف المعارف ٧٤.

(٨) الباب رقم (٢٩).

هنـا. والمعنـي بقولـه: «لا غُـول» أنهـا لا تـستطيع أن تُـضلّ أحـداً مـع ذكـر الله والتوكل عليه/ ، ومنه الحديث: «إذا تَغَوَّلَت الغِيلانُ فبـادِرُوا بِـالأذَانِ»[١] أي: ادفعوا شرَّها بذكر الله. [٥٥/ ب]

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهما، عن أنس، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم «لا عَدْوَى ولا طِيَرَة ويُعْجِبني الفَأْلُ» قالوا: ومَا الْفَأْلُ؟ قال: «الكلمةُ الطَّيِّبَةُ»[٢].

ت: قال أبو السعادات: الفألُ ـ مهموز ـ فيما يَسر ويسوء، والطيرةُ: لا تستعمل إلا فيما يسوء، وربما استُعملت فيما يسر[٣].

قولُه: «قالوا: وما الفَأْلُ؟ قال: الكلمةُ الطَّيِّبة» بيَّن ﷺ أنَّ الفأل يُعجبه، فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها.

قال ابنُ القيم: ليس في[٤] الإعجاب بالفأل و محبتهِ شيءٌ[٥] من الشرك، بل ذلك إبانةٌ عن مُقتضى الطبيعة ومُوجِب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما

---

(١) أخرجه أحمد، في المسند ٣/ ٣٠٥، ٣٨١، ٣٨٢، وأبو يعلى، في المسند رقم ٢٢١٩، وصححه الهيثميُّ في مجمع الزوائد ٣/ ٢١٣ من حديث جابر.

(٢) البخاري، في الصحيح رقم ٥٧٧٦، ومسلم، في الصحيح رقم ٢٢٢٤، وأخرجه أحمد، في المسند ٣/ ١٣٠، ١٥٤، ١٧٣، ١٧٨، ٢٥١، ٢٧٨.

(٣) ابن الأثير، النهاية ٣/ ٤٠٥.

(٤) (ط): في. ساقطة.

(٥) (ط): بشيء.

يُوافقها ويُلائمها. والله تعالى جَعل في غرائز الناس الإعجابَ[١] بسماع الاسم الحسن و محبته وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياحَ والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبُشرى والفوز والظفر، ونحو ذلك. فإذا سمعت الأسماءُ أضدادَها أوجب لها ضدَّ هذه الحال فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفاً وطِيراً[٢] وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له[٣] وعزمت عليه، فأورث لها ضرراً في الدنيا ونقصاً في الإيمان ومقارفةَ الشرك[٤].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولأبي داود بسند صحيح، عن عُقْبَة بن عامرٍ، قال: ذُكرت الطِّيَرةُ عند رسول الله ﷺ، فقال: «أحْسنُها الفَألُ ولا تَرُدُّ مسلماً، فإذا رأى أحدُكم ما يَكرهُ، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلَّا أنت، ولا يدفعُ السيئاتِ إلا أنت، ولا حول ولا قوَّةَ إلا بك»[٥].

ت: قولُه: (عن عقبة بن عامر) هكذا وقع في نُسخ التوحيد، وصوابه: عن عروة بن عامر[٦]. كذا أخرجه أحمدُ وأبو داود وغيرُهما[٧]. وهو مكي،

---

(١) (ط): من الإعجاب.

(٢) (ط): وتطيراً.

(٣) (ط): قصدته.

(٤) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢/ ٣٤٠.

(٥) أبو داود، في السنن، رقم ٣٧١٩، وصححه النووي، في رياض الصالحين ٦٣٩، وابن حجر، في الإصابة ٧/ ١٥٤ من حديث عروة بن عامر، وعند النووي في الأذكار ٢٧٤، من حديث عقبة. فلعل المصنف أخذه عنه.

(٦) (ط): عامر القرشي.

(٧) أخرجه أبو داود، من طريق أحمد بن حنبل ولم يخرجه في مسنده، وابنُ أبي شيبة، في المصنف ٩/ ٣٩، ١٠/ ٣٣٦ وعند ابن أبي شيبة: عن عقبة بن عامر.

اختُلف في نسبه، فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره: الجهني. واختُلف في صُحبته، فقال الماوردي[١]: له صُحبة. وذكره ابنُ حبان في ثقات التابعين. وقال المِزي: لا صُحبة له تصح[٢].

قال ابنُ القيم: أخبر ﷺ أن الفَأل من الطيرة وهو خيرها، فأبطل الطيرةَ وأخبر/ أن الفَأل منها ولكنه خيرٌ منها[٣]. ففصل بين الفَأل والطيرة؛ لما [٥٦/أ] بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما ومضرّة الآخر[٤].

قولُه: «ولا تَردُّ مسلماً» قال الطيبي: تعريضٌ بأن الكافر بخلافه.

قولُه: «اللهمَّ لا يَأْتي بالحَسَنات إلا أنت، ولا يَدْفَع السيِّئاتِ إلا أنت» أي: لا تأتي الطيرةُ بالحسنات ولا تدفع[٥] المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات. والحسناتُ هنا: النِّعم، والسيئاتُ: المصائب، ففيه: نفيُ تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر. و[٦] هذا هو التوحيد، وهو دعاءٌ مناسبٌ لمن وقع في قلبه شيءٌ من الطيرة، وتصريحٌ بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً، ويُعدّ من اعتقدها سفيهاً مشركاً[٧].

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وفي مصادرالترجمة: الباوردي.

(٢) ينظر في ترجمته: المزي، تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٦، وتحفة الأشراف ٧/ ٣٧٣.

(٣) (ط): ولكنه خير منها. ساقط.

(٤) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢/ ٣٤١.

(٥) (ط): ولا يدفع.

(٦) (ط): و. ساقطة.

(٧) ينظر: المسألة العاشرة.

قولُه: «ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلا بِكَ» فالحولُ[١]: التحوُّلُ والانتقال من حال إلى حال، والقوةُ على ذلك بالله وحده. ففيه: التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوَّته ومشيئته. وهذا هو التوحيدُ في الربوبية، وهو الدليلُ على توحيد الإلهية ـ الذي هو إفرادُ الله بجميع أنواع العبادة ـ وهو توحيدُ القصد والإرادة، وقد تقدم بيانُ ذلك بحمد الله.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وعن ابن مسعود مرفوعاً: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَة شِرْكٌ». وما مِنَّا إلا، وَلكنَّ اللهَ يُذْهِبُه بِالتَّوكُّلِ. رواه أبو داود، والترمذي وصححه وجعل آخرَهُ من قول ابن مسعود[٢].

ت: ولفظُ أبي داود: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَة شِرْكٌ» ثلاثاً، وهذا صريحٌ في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلّق القلب بغير الله، وأكد ذلك بالتكرار[٣].

قال ابنُ مفلح: الأولى القطعُ بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهية[٤] الاصطلاحية[٥].

قولُه: (وما مِنَّا إلا) قال أبو القاسم الأصبهاني، والمنذري: في الحديث

(١) (ص) (ط): والحول.
(٢) أبو داود، في السنن رقم ٣٩١٠، والترمذي، في الجامع رقم ١٦١٤، وصححه الذهبيُّ في التلخيص (مع المستدرك) ١/ ١٧.
(٣) (ط): وأكد ذلك بالتكرار. ساقط.
(٤) (ص) (ط): الكراهة.
(٥) ابن مفلح، الآداب الشرعية ٣/ ٣٦٢.

إضمارُ التقدير[١]: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيءٌ[٢] من ذلك. انتهى[٣].

قولُه: (ولكنَّ الله يُذْهِبُه بالتَّوكُّل) أي[٤]: لكن إذا توكلنا على الله ـ في جلب النفع ودفع الضر ـ أذهبهُ الله عنا بتوكلنا عليه وحده.

[٥٦/ب] قولُه: (وجَعَل آخِرَهُ / من قول ابنِ مَسْعُودٍ) قال ابنُ القيّم: وهو الصواب؛ فإنَّ الطيرة نوعٌ من الشرك[٥].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولأحمد، من حديث ابن عمرو: «مَنْ رَدَّتْه الطِّيَرةُ عَن حَاجَتِه فَقَد أَشْرك». قالوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذلك؟ قال: «أنْ تقولَ: اللَّهُم لا خَيْرَ إلا خَيْرُك، وَلَا طَيْر إلا طَيْرُك، وَلَا إِلَه غَيْرُك»[٦].

ش: هذا الحديث: رواه أحمد، والطبراني، عن عبد الله بن عمرو بن العاص[٧]، وفي إسناده ابنُ لَهيعة وبقيةُ رجاله ثقات[٨].

---

(١) (ط): والتقدير.

(٢) (ط): وقع قلبه في شيء.

(٣) المنذري، الترهيب ٤/ ٦٤.

(٤) (ط): أي. ساقطة.

(٥) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢/ ٣٢٥.

(٦) أحمد، في المسند ٢/ ٢٢٠.

(٧) الطبراني، في الكبير، كما في كنز العمال، رقم ٢٨٥٦٦، ٢٨٥٨٠.

(٨) الهيثمي، في مجمع الزوائد ٥/ ١٠٥، وأخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف ٩/ ٤٥، ١٠/ ٣٣٥ عن عبد الله بن عمرو موقوفاً. وله شاهدٌ من حديث بريدة: أخرجه الطبرانيُّ في الدعاء رقم ١٢٧٠، والبزار، في المسند رقم ٣٠٢٨.

قولُه: (من حديثِ ابنِ عَمْرو) هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السَّهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، أحدُ السابقين المُكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء. مات في ذي الحجة ـ ليالي الحرة على الأصح[1] ـ بالطائف[2].

قولُه: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرةُ عن حاجتِه فَقَد أشْرَك». وذلك أنَّ الطيرة، هي: التشاؤم بالمرئي أو المسموع. فإذا رده[3] عن سفر أو عمل أو حاجة فقد أشرك؛ بما يُخامر قلبَه من الخوف من ذلك، فيكون شركاً بهذا الاعتبار.

قولُه: (فَمَا كَفَّارة ذلك) إلخ[4]. فإذا قال العبدُ[5] ذلك، وأعرض عمَّا وقع في قلبه ولم يلتفت إليه، واستمرَّ على فعل ما عزم عليه ـ توكلاً على الله وتفويضاً إليه ـ : كَفَّر الله عنه ما وقع في قلبه من ذلك.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وله، من حديث الفضل بن العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «إنَّما الطِّيَرةُ مَا أمْضَاك أو ردَّك»[6].

---

(١) (ط): الصحيح.

(٢) ينظر ترجمته: ابن حجر، التقريب ٥٣٠. والإصابة ٦/ ٣٠٨، وفيه: مات بالشام سنة خمس وستين. وقيل غير ذلك. وليالي الحرة كانت عام ٦٣هـ، وما قيل من استباحة المدينة في تلك الليالي لا يصح. ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة ٤/ ٥٧٥.

(٣) (ط): ردته.

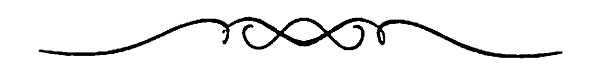
(٤) (ط): زيادة: فيه: تفويضُ الأمور إلى الله تقديراً وتدبيراً وخلقاً، والبراءةُ مما فيه تعلقٌ بغير الله تعالى كائنا من كان. قوله: (ولا إله غَيْرُك) أي: لا معبود مستحق سواك.

(٥) (ط): العبد. ساقطة.

(٦) أحمد، في المسند ١/ ٢١٣، وله شاهدٌ من حديث أبي أُمامة: أخرجه أبو يعلى، كما في المطالب العالية ٢/ ٣٥٤.

ت: هذا الحديثُ: عند الإمام أحمد، من حديث الفضل بن العباس، قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ. فساقه إلى أنْ قال: «إنما الطيرةُ ما أمْضاك أو ردَّك» والفضلُ، هو: الفضلُ بن العباس بن عبد المطلب، ابنُ عم النبي ﷺ. قال ابنُ مَعين: قُتل يوم اليرموك. وقال غيرُه: قُتل يوم مرج الصُّفَّر سنة ثلاث عشرة، وهو ابنُ اثنتين وعشرين سنة، وقال أبو داود: قُتل بدمَشق، كان عليه درعُ النبي ﷺ(١).

قولُه: «إنَّما الطِّيَرةُ مَا أمْضَاك أو ردَّك» هذا حَدُّ(٢) الطيرة المنهيِّ عنها: أنها ما يحمل الإنسانَ على المُضي فيما أراده، و يمنعه(٣) من المُضي فيه كذلك. وأما الفألُ الذي كان يحُبه ﷺ: فيه نوعُ بشارة، فيُسرّ به العبد ولا يعتمد عليه، بخلاف الطيرة/ ، فافهم الفَرق. [٥٧/أ]



(١) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٨/ ٥٥٦. وفيه: مات في طاعون عَمواس، وهو المعتمد.

(٢) (ط): أحد.

(٣) (ط): فيما أراد، أو يمنعه.

(٢٨)
بـــابُ
ما جاء في التَّنجيم

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء في التَّنجيم.

ت: قال شيخُ الإسلام: التنجيم[١]: هو الاستدلالُ بالأحوال الفلكية، على الحوادث الأرضية[٢]. وقال الخطّابي: علمُ النجوم المنهيُّ عنه: هو ما يدَّعيه أهلُ التنجيم، من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مُستقبل الزمان: كأوقات هُبوب الرياح، ومجيء المطر، وتغيُّرِ الأسعار، وما في معناها من الأمور؛ التي يزعمون أنها تُدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، يدَّعون أنَّ لها تأثيراً في السُّفليات. وهذا منهم تحكُّمٌ على الغيب، وتعاطٍ لعلم قد استأثر اللهُ به، لا[٣] يعلم الغيب سواه[٤].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال البخاريُّ في صحيحه: قال قتادة: خَلَقَ اللهُ هذه النُّجومَ لثلاثٍ: زينةً للسَّمَاءِ، ورُجُوماً للشَّياطِينِ، وَعَلامَاتٍ يُهْتَدى بها. فَمَنْ تَأَوَّل فيها غَيْرَ ذلكَ: أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وتَكَلَّفَ مَا لا عِلْمَ لَهُ بِهِ[٥].

---

(١) (ط): التنجيم. ساقطة.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٩٢.

(٣) (ط): فلا.

(٤) الخطابي، معالم السنن ٤/ ٢٣٠.

(٥) البخاري، في الصحيح (فتح الباري) ٦/ ٢٩٥ معلقاً. ووصله الخطيب في القول في =

ت: هـذا الأثـرُ: علَّقـه البخـاريُّ في صـحيحه، وأخرجـه: عبـد الـرزاق، وعبد بن حمُيد، وابن جرير، وابن المنذر، وغيرُهم[١]. وأخرجه: الخطيبُ في كتاب النجوم، عن قتادة بلفظ أطولَ من هذا[٢].

وقولُ قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يدلُّ على أنَّ علم التنجيم هذا قد حدَث في عصره، فأوجب له إنكارَه على من اعتقده وتعلَّق به. وهـذا العلـمُ ممـا يُنافي التوحيد ويُوقع في الشرك؛ لأنه ينسب الحوادثَ إلى غير مَن أحدثها، وهو الله[٣] بمشيئته وإرادته؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

قولُه: (خَلق اللهُ هذهِ النُّجومَ لِثَلاثٍ) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] وفيه: إشارةٌ إلى أن النجوم في السماء الدنيا؛ كما روى ابنُ مردويه، عن ابن مسعود، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أمَّا السماءُ الدُّنيا فإنَّ الله خَلَقَها مِنْ دُخانٍ، وجَعَل فيها سِراجاً وقمراً

= علم النجوم، كما في التغليق ٣/ ٤٨٩.

(١) عبد الرزاق، في التفسير ١/ ٣٥٤، وابن جرير، في التفسير ٢٣/ ١٢٣، وعبد بن حمُيد، وابن المنذر، كما في الدر المنثور ٦/ ١٤٩، وأخرجه ابنُ أبي حاتم، في التفسير ٩/ ٢٩١٣.

(٢) الخطيب، القول في علم النجوم ١٨٥.

(٣) (ص): وهو الله سبحانه. (ط): وهو سبحانه.

منيراً، وَزَيَّنها بِمَصابِيحَ/ ، وجَعَلها رُجُوماً للشَّياطين، وحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيم»(١). [٥٧/ ب]

قولُه: (وعلامات) أي: دلالاتٍ على الجهات (يُهْتَدى بها) أي: يَهتدي بها الناسُ في ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] أي: ليعرفوا بها جهةَ قصدهم، فإن قيل: المنجّم قد يَصدق. قيل: صدقُه كصدق الكاهن، يَصْدُق في كلمة ويكذب في مائة. وصدقُه ليس عن علم، بل قد يُوافق قدَراً فيكون فتنةً في حق من صدَّقه.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكره قَتَادَةُ تعلُّمَ منازل القمرِ. ولم يرخّص ابنُ عُيينةَ فيه. ذكره حربٌ عنهما. ورخَّص في تعلم المنازل: أحمدُ وإسحاق(٢).

ت: قال الخطَّابي: أما علمُ النجوم الذي يُدرك من طريق المُشاهدة، والخبر ـ الذي يُعرف به الزوال وتُعلم به جهةُ القِبلة ـ فإنَّه غيرُ داخلٍ فيما نُهي عنه؛ وذلك أنَّ معرفة هذا العلم يصح علمُه بالمشاهدة.

وأمَّا ما يُستدل به من النجوم على جهة القِبلة: فإنها من الكواكب، رصدها أهلُ الخبرة بها من الأئمة(٣) الذين لا نشكُّ(٤) في عنايتهم بأمر

---

(١) ابن مردويه، كما في الدر المنثور٦/ ١٥٠.

(٢) نقله ابنُ رَجب، في فضل علم السلف ٣١، ٣٢.

(٣) (ط): من الأئمة. ساقطة.

(٤) (ط): شك.

الدين ومعرفتهم بها، وصدقِهم فيما أخبروا به. مثل أن يُشاهدها بحضرة الكعبة، ويشاهدها[١] على حال الغيبة عنها. فكان إدراكُهم الدلالة منها بالمُعاينة، وإدراكُنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غَيرَ مُتهمين في دينهم، ولا مُقصِّرين في معرفتهم، انتهى[٢].

وروى ابنُ المنذر، عن مجُاهد: أنه كان[٣] لا يَرى بَأْساً أنْ يتعلَّم الرجلُ من النجوم ما يهتدي به[٤].

قال ابنُ رجب: والمأذونُ في تعلمه التسيير[٥] لا علم التأثير؛ فإنه باطلٌ محرَّم، قليلُه وكثيره. أما علمُ التسيير فيتعلَّم منه ما يحتاج إليه؛ للاهتداء ومعرفة القبلة والطُّرق. جائزٌ عند الجمهور[٦].

قولُه: (ذكره حربٌ عنهما) هو: الإمام الحافظ، حرب بن إسماعيل، أبو محمد الكِرماني الفقيه، من جِلة[٧] أصحاب الإمام أحمد، روى: عن أحمد، وإسحاق، وابنِ المَديني، وابن مَعين وغيرهم، وله: كتابُ المسائل

---

(١) الأصل: يشاهدوا.
(٢) الخطابي، معالم السنن ٤/ ٢٣٠.
(٣) (ط): كان. ساقطة.
(٤) ابن المنذر، كما في الدر المنثور ٦/ ١٥٠. وأخرجه الخطيب، في القول في علم النجوم ١٣٣.
(٥) (ط): علم التسيير.
(٦) ابن رجَب، فضلُ علم السلف ٣٤.
(٧) (ط): أجله.

التي سأل عنها الإمامَ أحمد[1]، وغيرُه. مات سنة ثمانين ومائتين[2].

وأما إسحاقُ/ فهو: ابنُ إبراهيم بن مخَلد بن يعقوب الحنظلي [٥٨/أ] النيسابوري الإمامُ المعروف بابن راهويه، روى: عن ابن المُبارك، وأبي أُسامة، وابن عُيينة وطبقتهم، قال أحمد: إسحاقُ عندنا من أئمة المسلمين، وروى عنه: أحمدُ، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وغيرُهم، وروى هو أيضاً: عن أحمد، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين[3].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مُدمِنُ الخمر، وقاطعُ الرَّحِم، ومُصدِّقٌ بالسِّحْر» رواه أحمدُ، وابن حبَّان في صحيحه[4].

ش: هذا الحديثُ: رواه أيضا الطبرانيُّ،والحاكم،وقال: صحيح، وأقرَّه الذهبي[5].

قولُه: (عن أبي موسى) هو: عبد الله بن قيس بن سُلَيم بن حَضَّار ـ بفتح

---

(١) مسائلُ حَرب بن إسماعيل الكِرماني، عن الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه. طبع منها جزء بتحقيق المحقق.

(٢) ينظر في ترجمته: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة ١/ ٣٨٨.

(٣) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ١٢٦.

(٤) أحمد، في المسند ٤/ ٣٩٩، وابن حبان، في الصحيح رقم ٥٣٤٦، ٦١٣٧.

(٥) الطبراني، في الكبير، كما في مجمع الزوائد ٥/ ٧٤، والحاكم، في المستدرك ٤/ ١٤٦ وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي، في مجمع الزوائد: رجالُه ثقات. وله شاهدٌ من حديث أبي سعيد الخدري: أخرجه أحمد، في المسند ٣/ ١٤، ٨٣.

المهملة وتشديد الضَّاد المعجمة[١] ـ أبو موسى الأشعري، صحابيٌّ جليل. مات سنة خمسين[٢].

قولُه: «ثلاثةٌ لا يَدْخُلون الجنَّة».

الشاهدُ للترجمة: «ومُصدِّقٌ بالسِّحْر» وفي هذا[٣] الحديث، كما تقدَّم في نظائره؛ كقوله: «مَنْ أتَى كاهناً فَصَدَّقه بما يقُولُ فَقَد كَفَر بما أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ»[٤].

واختار الأمامُ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: أنَّ مِثْل هذه الأحاديث تمُرّ كما جاءت، من غير تأويل[٥].

قال الذهبيُّ في الكبائر: ويدخل فيه: تعلُّمُ السيمياء وعلمها[٦]، وعقدُ المرء من[٧] زوجته، ومحبةُ الزوج لامرأته وبغضُها وبغضه، وأشباهُ ذلك،

(١) (ص) (ط): المعجمة. ساقطة.

(٢) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٥٣٦. والإصابة ٦/ ٣٣٩ وفيه: مات سنة اثنين وأربعين. وقيل غير ذلك.

(٣) (ط): هذا. ساقطة.

(٤) تقدم في الباب رقم (٢٥).

(٥) الإمام أحمد: رواية صالح، وعبد الله، وأبي الحارث. أخرجها: الخلال، في كتاب السنة ٤/ ١٠. وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في نصوص الوعيد. ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤/ ٤٨٤، ٦/ ٤٢٧، ٧/ ٤٢٢، ١١/ ٦٤٦.

(٦) في كتاب الكبائر: وعملها.

(٧) في كتاب الكبائر: عن.

بكلمات مجهولة. انتهى باختصار[١].



(١) الذهبي، الكبائر ٤٥. والسِّيمياء: كلمةٌ دخيلة، ومعناها: إحداث مثالات خيالية. ينظر: الوسيط ١/ ٤٦٩.

(٢٩)

بـــابُ

ما جاءَ في الاستسقاءِ بِالأنْوَاءِ

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاءَ في الاستسقاءِ بِالأنْوَاءِ.

ت: أي: من الوعيد، والمرادُ نسبة السُّقيا[(١)] ومجيءِ المطر إلى الأنْوَاء - جمع نَوْء - وهي منازُل القمر.

قال أبو السعادات: وهي ثمانٌ وعشرون منزلةً، ينزل القمرُ كلَّ ليلة منزلةً منها؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] يسقط في الغرب[(٢)] كل ثلاث[(٣)] عشرة ليلة منزلةٌ[(٤)] مع طلوع الفجر، وتطلع أُخرى مقابلتُها ذلك الوقت من المشرق. وكانت العربُ تزعم أنَّ مع سُقوط المنزلة وطلوعِ رقيبها يكونُ مطر، وينسبونه إلى النجم الساقط، ويقولون: مُطرنا بنوء كذا وكذا/ . وإنما سُمي نوءاً؛ لأنه إذا سقط منها الساقطُ ناءَ الطالعُ بالمشرق. أي: [٥٨/ب] نهض وطلع[(٥)].

---

(١) (ط): السقي.

(٢) (ط): المغرب.

(٣) الأصل (ص): ثلاثة.

(٤) (ط): منزلة له.

(٥) ابن الأثير، النهاية ٥/ ١٢٢.

قــال المــصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقــولِ الله تعــالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

ت: روى الإمامُ أحمد، والترمذي وحسَّنه، وابنُ جرير، وابـن أبي حـاتم، والضياءُ في المُختارة، عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قـال: قـال رسـولُ ﷺ: «﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقـول: شُـكرَكم: ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ تقولـون: مُطرنـا بنـوء كـذا وكـذا، بنجم كذا وكذا»[(١)].

رُوي ذلـك: عـن عـلي، وابـن عبـاس، وقتـادة، والـضحاك، وعطـاء الخُراساني، وغيرهم[(٢)]. وهـو قـولُ جمهـور المفسرين، وبـه يظهـر وجـهُ استدلال المصنف بالآية.

وقال ابنُ القيم: أي: تجعلون حظَّكم ـ من هذا الرزق الذي به حياتُكم ـ التكذيبَ به. يعني: القرآن.

قال الحسن: تجعلون حظَّكم ونصيبكم من القرآن أنكـم تُكـذبون، قـال: وخسر عبد لا يكون حظُّه من القرآن إلا التكذيب[(٣)].

---

(١) أحمـد، في المـسند ١/ ٨٩، ١٠٨، ١٣١، والترمـذي، في الجـامع رقـم ٣٢٩١، وابـن جريـر، في التفـسير ٢٢/ ٣٦٩، والـضياء، في المختـارة رقـم ٥٧١، وابـنُ أبي حـاتم، وعبد بن حمُيد، وابن المنذر، كما في الدر المنثور ١٤/ ٢٢٦، وله شاهدٌ من حديث ابن عباس موقوفاً: أخرجه سعيد بن منصور بسند صحيح، كما في فتح الباري ٢/ ٥٢٢.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ٢٢/ ٣٦٩-٣٧٢.

(٣) ابـن القـيم، التبيـان ١/ ٤١٨، وقـول الحـسن: أخرجـه عبـد بـن حمُيـد، كـما في الـدر المنثور ١٤/ ٢٢٨.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: عن أبي مالك الأشعري، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ في أُمَّتي من أمر الجاهلية لا يتركُونهَن: الفخرُ بالأحساب، والطَّعْنُ في الأنسابِ، والاستسقاءُ بالنجوم، والنِّياحةُ»، وقال: «النائحةُ إذا لم تَتُب قبل موتها تُقامُ يومَ القيامة وعليها سِرْبالٌ من قَطِرانٍ ودِرْعٌ من جَرَب» رواه مسلم[(١)].

ت: قولُه: (عن أبي مالك الأشعري) أبو مالك، اسمُه: الحارث بن الحارث[(٢)] الشامي، صحابي تفرَّد بالرواية عنه: أبو سلَّام، وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا[(٣)].

قولُه: «أربعٌ في أُمَّتي مِن أمرِ الجاهليَّة لا يَتْرُكُونَهُنَّ» ستفعلُها هذه الأمة ـ إما مع العلم بتحريمها أو مع الجهل بذلك ـ مع كونها من أعمال الجاهلية.

وكونُها من أعمال الجاهلية[(٤)]: يدلُّ على أنَّه يجب على كل مُسلم أنْ يجتنبها. والمُراد بالجاهلية هنا: ما قبل المبعث، وفاعلُها آثم يجب أن يُنهى عنها، ومتى وجد الشركُ وجدت هذه الأمور المُنكرة وغيرها من المُنكرات.

قال شيخُ الإسلام: أخبر أنَّ بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناسُ كلُّهم؛ ذماً لمن لم يتركه. وهذا يقتضي أنَّ كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلِهم فهو

---

(١) مسلم، في الصحيح رقم ٩٣٤، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٣٤٢، ٣٤٤.

(٢) (ط): ابن الحارث. ساقطة.

(٣) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٢٠٩، والإصابة ٢/ ٣٣٩، والإثنان المشار إليهما هما: كعب بن عاصم، وعمرو بن الحارث. ينظر: الإصابة ١٢/ ٥٨١.

(٤) (ط): وكونها من أعمال الجاهلية. ساقط.

مذمومٌ في دين الإسلام؛ وإلا لم يكن في إضافتها[١] ـ هذه المُنكرات ـ إلى الجاهلية ذمٌّ لها. ومعلومٌ أنَّ/ إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم؛ [٥٩/أ] وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فإنَّ في ذلك ذماً للتبرُّج، وذماً لحال الجاهلية[٢] الأولى، وذلك يقتضي المنع من مُشابهتهم في الجُملة[٣].

قولُه: «الفخرُ بالأَحْساب» أي: التعاظُم على الناس بالآباء ومآثرهم، وذلك جهلٌ عظيم؛ إذ لا كرم إلا بالتقوى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ولأبي داود، عن أبي هريرة مرفوعاً: «إنَّ الله قدْ أذْهبَ عنْكُم عُبِّيَّةَ[٤] الجاهلية وفَخْرَها بالآباءِ، إنَّما هُو: مُؤمنٌ تَقيٌّ أو فاجِرٌ شَقيٌّ، النَّاسُ بنُو آدَمَ وآدَمُ خُلِقَ من تُراب. لَيَدَعنَّ رِجَالٌ فَخْرهُم بأقوام إنَّما هُمْ فَحْمٌ من فحم جَهنَّم، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْونَ على الله مِنْ الجِعْلَانِ»[٥] الحديث.

قولُه: «والطَّعْنُ في الأَنْساب» أي: الوقوعُ فيها بالعيب والنقص؛ ولما عيَّر أبو ذر رجلاً بأمه، قال النبيُّ ﷺ: «أعيَّرْتَهُ بأُمِّه؟ إنَّك امْرؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»

---

(١) (ط): إضافة.

(٢) (ط): أهل الجاهلية.

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٠٥.

(٤) (ط): حمية. اهـ والعُبِّيَّة: الكبرُ والنَّخْوة. الخطابي، غريب الحديث ١/ ٢٩٠.

(٥) أبو داود، في السنن رقم ٥١١٦، وأخرجه الترمذي، في الجامع رقم ٣٩٥٠، وقال: حديثٌ حسن غريب، وصححه ابنُ تيمية، في الاقتضاء ١/ ٢١٦.

متفقٌ عليه[١].

فدلَّ على: أنَّ الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية[٢]، وأنَّ المُسلمَ قدْ يكونُ فيه شيءٌ من هذه الخِصال المُسمَّاة بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يُوجب ذلك كفرَه ولا فسقه. قاله شيخُ الإسلام[٣].

قولُه: «والاسْتسْقاءُ بالنُّجوم» تقدَّم معناه. فإذا قال قائلُهم: مُطرنا بنجم كذا، وبنَوْء كذا. فلا يخلو: إما أنْ يعتقد أنَّ له تأثيراً في نزول المطر، فهذا شركٌ وكفر؛ لنسبة المطر إلى غير[٤] مَن أنزله وهو الله وحده. وإمَّا مع إطلاق هذا اللفظ، فقد صرَّح ابنُ مفلح في الفروع: بتحريمه. وكذلك صاحبُ الإنصاف، ولم يذكرا خلافاً[٥].

قولُه: «والنِّيَاحَة» أي: رفعُ الصوت بالنَّدب على الميت، وضربُ الخدود وشقُّ الجيوب ونحو ذلك. وهي من الكبائر؛ لشدة الوعيد والعقوبة، كما في هذا الحديث[٦].

قولُه: «وقال: النَّائِحَةُ إِذَا لم تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها» فيه: تنبيهٌ على أنَّ التوبة تكفِّر الذنب.

---

(١) البخاري، في الصحيح رقم ٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠، ومسلم، في الصحيح رقم ١٦٦١، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ١٦١.

(٢) (ط): أهل الجاهلية.

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٢٠. وينظر: المسألة الرابعة.

(٤) (ط): لغير.

(٥) ابن مفلح في الفروع ٣/ ٢٣٤، والمرداوي، الإنصاف ٥/ ٤٣٩.

(٦) ينظر: المسألة العاشرة.

قولُه: «تُقَامُ يومَ القِيامَةِ وعَلَيْها سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» ـ السِّربالُ: واحدُ السرابيل، وهي الثياب والقُمص ـ هذه سرابيلُ أهل النار، يعني: يُلطّخن بالقَطِران؛ حتى يكون اشتعالُ النار بأجسادهن / [١] أعظم، [٥٩/ب] ورائحتُهن أنتن، وروي عن ابن عباس: أنَّ القطران، هو النحاسُ المُذاب[٢].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: و لهما، عن زيد بن خالد، قال: صلَّى لَنَا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبح بِالحُدَيبيةَ على إِثْر سماءٍ كانت من الليل، فلما انْصَرَفَ أَقْبَلَ على النَّاسِ، فقال: «هَلْ تَدْرُون مَاذا قَالَ ربُّكُمْ ؟» قَالوا: اللهُ ورسولُه أعْلَمُ، قالَ: «قال: أَصْبَحَ من عِبَادِي مُؤْمِنٌ بي وكافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله ورحْمَتِه. فَذلكَ مؤمنٌ بي، كافرٌ بالكَوْكَب. وأمَّا مَنْ قال: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذا وكَذا. فَذلكَ كافرٌ بي، مؤمنٌ بالكَوْكَب»[٣].

ش: زيدُ بن خالد: الجُهنيّ، صحابيٌّ مشهور. مات سنة ثمان وستين، وقيل غير ذلك، وله خمسٌ وثمانون سنة[٤].

قولُه: (صَلَّى لَنَا) أي: بنا. قال الحافظ: وفيه إطلاقُ ذلك مجازاً[٥].

---

(١) الأصل: بأجسادهم.

(٢) أخرجه ابن جرير في التفسير ١٣/ ٧٤٥.

(٣) البخاري، في الصحيح رقم ٨٤٦، ١٠٣٨، ٧٥٠٣، ومسلم، في الصحيح رقم ٧١، وأخرجه أحمد، في المسند ٤/ ١١٧.

(٤) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٣٥٣، والإصابة ٤/ ٨٨ وفيه: مات سنة ثمان وسبعين بالمدينة. وقيل غير ذلك.

(٥) ابن حجر، فتح الباري ٢/ ٥٢٣.

قولُه: (بالحُدَيْبِيَة) بتخفيف يائها، وقد[1] تُثَقَّل.

قولُه: (عَلَى إِثْر) بكسر الهمزة وسكون المثلثة[2] ـ على المشهور ـ وهو ما يعقُب الشيء.

قولُه: (سَمَاء) أي: مطر.

قولُه: (فَلَمَّا انْصَرَف) أي: التفت[3] إلى المأمومين.

قولُه: «هَلْ تَدْرُون» لفظُ استفهام، ومعناه: التنبيه، وفي النسائي: «أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ ربُّكُم اللَّيْلَةَ»[4] وفيه: إِلْقَاءُ العالم المسألة على أصحابه؛ ليختبرهم[5]، ويحذِّرهم من الشرك ويُنذرهم[6].

قولُه: (قالوا: اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَم) فيه: حُسن الأدب للمسئول إذا سُئل عمَّا لا يعلم أنْ يكِل العلمَ إلى عالمه، وذلك يجب.

قولُه: «أَصْبَح مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بي» لأنَّه نسب الفعلَ إلى فاعله تعالى، الذي لا يقدر عليه غيرُه.

قولُه: «وَكَافِرٌ» إذا اعتقد أنَّ للنَّوْء تأثيراً في إنزال المطر، فهذا كفرٌ؛ لأنه شركٌ في الربوبية، والمشركُ كافر.

---

(١) (ص): قد. ساقطة. والحُديبية: تُعرف اليوم بالشميسي، وتبعد عن حد الحرم كيلو ونصف تقريبًا.

(٢) (ط): الثاء المثلثة.

(٣) (ط): التفت. ساقطة.

(٤) النسائي، في المجتبى ٣/ ١٦٥.

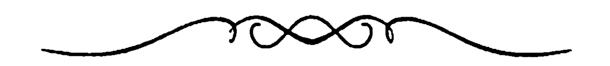
(٥) ينظر: المسألة التاسعة.

(٦) (ط): ويحذرهم من الشرك وينذرهم. ساقط.

قولُـه: «فَأَمَّـا مَـنْ قَـال: مُطِرْنـا بِفَـضْل الله وَرَحْمَتِـه» فالفَـضْلُ والرحمـة صفتان لله تعالى.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهما، من حديث ابن عباس: معناه. وفيه: قال بعضُهُم: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذا وكَذا. فَأَنْزَلَ اللهُ هـذه الآيـة: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢] إلى قوله ﴿تُكَذِّبُونَ﴾[1].

ش: تقدم معناهُ قريباً.



(١) البخاري، في الصحيح (فتح الباري) ٢/ ٥٢٣ معلقاً، ومسلم، في الصحيح رقم ٧٣.

(٣٠)
بــابُ
قولِ الله تعالى
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب قولِ الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ت: قال في شرح المَنازل: أخبر تعالى: أنَّ مَن أحب شيئاً/ من دون الله [٦٠/أ] كما يحُب الله، فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا. فهذا ندٌّ في المحبة لا في الخلْق والربوبية؛ فإن أحداً من أهل الأرض لا يُثبت هذا الند، بخلاف ند المحبة فإنَّ أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب[١] والتعظيم، انتهى[٢].

قلتُ: وقد وقع الشركُ في الربوبية أيضاً في كثيرٍ من الخاصة والعامة في آخر هذه الأمة، فاعتقدوا أنَّ للأموات[٣] تصرفاً في الكون، ونحو ذلك.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ الآية [التوبة: ٢٤].

---

(١) (ص) (ط): المحبة.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ٣/ ٢٠.

(٣) (ط): لهؤلاء الأموات.

ت: قال ابنُ كثير: أي[(١)]: إن كانت هذه الأشياءُ ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه[(٢)].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «لا يُؤمنُ أَحَدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناسِ أجْمعين» أخرجاه[(٣)].

ت: قولُه: «لا يُؤمنُ» أي: الإيمانُ الواجب. والمرادُ: كمالُه، حتى يكون الرسولُ أحبَّ إلى العبد من ولده ووالده والناس أجمعين. وذلك يقتضي: تعظيمَ أمره ونهيه، واتباعَه في ذلك دون من سواه. ومن كان كذلك، فقد أحب الله وأحبه الله[(٤)]؛ كما في آية المحنة وغيرها[(٥)].

قولُه: (أخرجاه) أي: البخاريُ ومسلم[(٦)].

---

(١) (ط): أي. ساقطة.

(٢) ابن كثير، التفسير ٤/ ٦٧.

(٣) البخاري، في الصحيح، رقم ١٥، ومسلم، في الصحيح، رقم ٤٤، وأخرجه، في المسند ٣/ ١٧٧، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨.

(٤) وأحبه الله. ليست في (ط).

(٥) (ط): آية المحبة. اهـ. وآية المحنة المشار إليها: الآية الرابعة والعشرون من سورة التوبة.

(٦) الأصل (ص) قُدّمت هذه الفقرةُ على موضعها.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهما، عنه: قال: قال رسولُ الله ﷺ «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَد حَلاوَة الإيمان: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأنْ يحِبَّ المرءَ لا يحُبُّه إلَّا لله، وأنْ يَكْرَه أنْ يَعُودَ في الكفرِ بَعْدَ إذْ أَنْقَذَهُ الله مِنْه، كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ»[1]. وفي رواية: «لا يجدُ أحدٌ حَلاوَة الإيمانِ حتَّى» إلى آخره[2].

ت: قولُه: (ولهما، عنه) أي: البخاريُ ومسلم، عن أنس[3].

قولُه: «ثلاثٌ» أي: خِصال، قال شيخُ الإسلام: أخبر النبيُّ ﷺ: أنَّ هذه الثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان؛ لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبةَ له، فمن أحبَّ شيئاً واشتهاه: إذا حصل له مُراد[4] فإنه يجد الحلاوةَ واللَّذة والسرور بذلك، واللَّذةُ أمرٌ يحصل عقيب إدراك المُلائم، الذي هو المحبوب أو المُشتهى.

قال: فحلاوةُ الإيمان المتضمنة للذة والفرح يتبع[5] كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور/ : تكميلِ هذه المحبة، وتفريغها، ودفعِ ضدِّها. [٦٠/ب] فتكميلُها أن يكون اللهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما؛ فإن محبة الله ورسوله لا يُكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون اللهُ ورسوله أحبَّ إليه مما

---

(١) البخاري، في الصحيح، رقم ١٦، ٢١، ٦٩٤١، ومسلم، في الصحيح، رقم ٤٣، وأخرجه أحمد، في المسند ٣/ ١٠٣، ١٧٢، ١٧٤، ٢٣٠، ٢٤٨، ٢٧٥، ٢٨٨.

(٢) البخاري، في الصحيح، رقم ٦٠٤١.

(٣) في جميع النسخ: قُدِّمت هذه الفقرة على كلام المصنف.

(٤) (ص) (ط): مراده.

(٥) (ط): تتبع.

سواهما(١).

قلتُ: ومن لازم محبة الله محبةُ أنبيائه ورُسله وملائكتِه وكُتبه والصالحين من عباده، وكراهةُ ما يكره سبحانه، ومعاداةُ أعدائه، وموالاة أوليائه. فلا يحصل كمالُ محبة الله الواجبة إلَّا بكمال ذلك وإيثارِه على ما تهواه النفوسُ مما يخالفُ ذلك.

قولُه: «أحَبَّ إليه ممَّا سِوَاهُما» ثنَّى الضمير هنا؛ لتلازم المحبَّتين. والله أعلم.

قولُه: «كَمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّار» أي: يستوي عنده الأمران.

قولُه: «وفي رواية: لا يَجِدُ» هي: عند البخاري، في الأدب المُفرد(٢)، ولفظُه: «لا يجِدُ أحدٌ حلاوةَ الإيمان حتى يُحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وحتى أن يُقذف في النار أحبُّ إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وحتى أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما».

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن ابن عباس، قال: من أحبَّ في الله، وأبغضَ في الله، ووَالى في الله، وعَادَى في الله، فإنَّما تُنَال وَلايَةُ الله بذلك، ولن يَجِدَ عبدٌ طَعْمَ الإيمان، وإن كَثُرَتْ صلاتُه وصومُه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامَّةُ مُؤَاخَاةِ الناس على أمْر الدنيا، وذلك لا

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٠٥.

(٢) هكذا في جميع النسخ، والصواب: في الأدب من الصحيح.

يجْدي على أهله شيئاً. رواه ابنُ جرير(١).

ت: قولُه: (مَنْ أحبَّ في الله) أي: أحبَّ أهلَ الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك.

قولُه: (وأبغضَ في الله) أي: أبغض مَن كفر بالله وأشرك به وعصاه؛ لارتكابه ما يُسخط الله، وإن كان أقربَ الناس إليه، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قولُه: (ووالى في الله) بالمحبة والنُّصرة بحسب القُدرة.

قولُه: (وعادَى في الله) مَن كان عدوَّ الله(٢)، ممن أشرك وكفر وظاهَرَ بالمعاصي، فتجب عداوتُه بما يقدر عليه.

[٦١/أ] قولُه:/ (فإنَّما تُنَالُ وَلايَةُ الله بذلك) أي: تولِّيه لعبده، ووَلاية: بفتح الواو. وفي الحديث: «**أوثَقُ عُرَى الإيمَان الحُبُّ في اللهِ والبُغْضُ في اللهِ عزَّ وَجَلَّ**»، رواه الطبراني(٣).

---

(١) ابن جرير، كما في جامع العلوم والحكم ١/ ١٢٥، وأخرجه: ابنُ المبارك، في الزهد، رقم ٣٥٢، وابن نصر، في تعظيم قدر الصلاة، رقم ٣٩٦. وأخرج الجُمل الأولى: ابن أبي شيبة، في المصنف ١٣/ ٣٦٨، وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ١٤/ ٣٣٠، وابن أبي الدنيا، في الإخوان، رقم ٢٢.

(٢) (ط): عدواً لله.

(٣) الطبراني، في الكبير ١٠/ ٢٧٢، والصغير، رقم ٦٢٤، من حديث ابن مسعود، والطبراني، في الكبير ١١/ ٢١٥، من حديث ابن عباس، وله شاهدٌ من حديث البراء بن عازب: أخرجه أحمد، في المسند ٤/ ٢٨٦، والطيالسي، في المسند، رقم ٧٤٧.

قولُه: (ولَـنْ يجِـدَ عبـد طَعْـمَ الإيـمان...) إلى آخـره، أي: لا يحصل لـه ذوقُ الإيمان وبهجتُه ولذَّته وسروره والفرحُ به ـ وإن كثُرت صلاتُه وصومه ـ حتى يكون كذلك؛ قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨]

قولُه: (وقد صارتْ عامَّةُ مُؤَاخاةِ النَّاس على أمْرِ الدُّنيا وذلك لا يجْدِي عَلَى أهْلِه شيئاً)، يعني: أنه إذا ضعُف داعي الإيمان: أحبَّ دنياه، وأحبَّ لها وواخى(١) لأجلها. وهذا هو الغالبُ على أكثر الخلق: محبةُ دُنياهم، وإيثارُ ما يهوونه على ما يحبه الله ورسولُه؛ وذلك لا يجُدي على أهله شيئاً، بل يُضر في العاجل والآجل. فالله المستعان.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال ابنُ عباس، في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودة(٢).

ش: أي: التي كانت بينهم، خانتهم أحْوَجَ ما كانوا إليها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ الآية [العنكبوت: ٢٥].



(١) (ط): ووافى.

(٢) أخرجه الطبري، في التفسير ٣/ ٢٧، وابن أبي حاتم، في التفسير ١/ ٢٧٨.

(٣١)

بــاب

قولِ الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ت: قال العلَّامةُ ابنُ القيّم: ومن كيد عدوِّ الله: أنْ[١] يخوِّف المؤمنين جُندَه وأولياءه؛ لئلا يجاهدوهم، ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن مُنكر. فأخبر[٢] تعالى: أنَّ هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافه[٣]. قال: والمعنى، عند جميع المفسِّرين: يخوفكم[٤] بأوليائه؛ قال قتادةُ: يعظمهم في صدوركم[٥].

فكلَّما قوي إيمانُ العبد زال من قلبه خوفُ أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانُه قوي خوفُه منهم. ودلَّت[٦] هذه الآية: على أنَّ إخلاصَ

---

(١) (ط): أنه.

(٢) (ط): وأخبر.

(٣) (ط): نخافهم.

(٤) (ط): يخوفهم.

(٥) أخرجه الطبري، في التفسير ٦/ ٢٥٥، وابن أبي حاتم، في التفسير ٣/ ٨٢١.

(٦) (ط): فدلت.

الخوف من شروط كمال(١) الإيمان. وسببُ نزول الآية مذكورٌ في التفاسير والسير(٢).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ /ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] الآية. [٦١/ب]

ش: أخبر تعالى: أنَّ مساجد الله لا يعمُرها إلا أهلُ الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم، وأخلصوا له الخشيةَ دون من سواه. فلا تكون المساجدُ عامرة إلا بالإيمان، الذي مُعظمه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع، وذلك كلُّه داخلٌ في مُسمَّى الإيمان المطلق عند أهل السنة والجماعة.

قولُه: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قال ابنُ عطية: يُريد خشيةَ التعظيم والعبادة والطاعة. ولا محالة أنَّ الإنسان يخشى المحاذيرَ الدنيوية، وينبغي أن يخشى في ذلك كلِّه قضاءَ الله وتصريفه(٣).

قلتُ: لأنَّ النفع والضُّر إنما يكون بمشيئته وإرادته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) (ط): الخلاص من الخوف من كمال شروط.

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/ ١٣٠.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز ٨/ ١٤٨.

وقال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخوفُ[1] عبودية القلب، فلا يصلُح إلا لله: كالذل والإنابة[2]، والمحبة والتوكل، والرجاء وغيرها من عُبودية القلب[3].

قولُه: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ قال ابنُ أبي طلحة، عن ابن عباس، يقول: إنَّ أولئك هم المُهتدون، وكلُّ عسى في القرآن: فهي واجبة[4].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ الآية [العنكبوت: ١٠].

ت: قال ابن القيم: الناسُ إذا أُرسل إليهم الرسل، بين أمرين: إما أن يقول أحدُهم: آمنا. وإما أن لا يقول ذلك، بل يستمر على السيئات والكفر. فمن قال: آمنا. امتحنه ربُّه وابتلاه؛ والفتنةُ: الابتلاءُ والاختبار. ومن لم يقل آمنا، فلا يَحسب أنه يُعجز الله ويفوته ويسبقه، فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت، أو رغبت عن الإيمان. لكن المؤمن يحصل له الألمُ في الدنيا ابتداءً، ثم تكون له العاقبةُ في الدنيا والآخرة. والمعرضُ عن الإيمان تحصل له اللذةُ ابتداء، ثم يصير له الألمُ الدائم.

والإنسانُ لا بد أن يعيش مع الناس، والناس لهم إراداتٌ وتصوُّرات[5]،

---

(١) (ط): والخوف.

(٢) (ط): والإنابة. ساقطة.

(٣) ابن القيم، طريق الهجرتين ٣٦٢.

(٤) أخرجه ابن جرير، في التفسير ١١/ ٣٧٧، وابن أبي حاتم، في التفسير ٦/ ١٧٦٦.

(٥) (ط): تصورات وإرادات.

فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم آذوه وعذَّبوه، وإن وافقهم حصل له العذابُ تارة منهم وتارة / من غيرهم . [٦٢/أ]

إلى أن قال: فالحزمُ كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين لمُعاوية: من أرضى اللهَ بسخط الناس كفاهُ الله مؤونةَ الناس، ومن أرضى الناسَ بسخط الله لم يُغنُوا عنه من الله شيئاً[١].

فمن هداه اللهُ وألهمه رُشده، ووقاه شرَّ نفسه: امتنع من الموافقة على فعل المحرَّم وصبر على عداوتهم، ثم تكونُ له العاقبةُ في الدنيا والآخرة؛ كما كانت للرسل وأتباعهم.

ثم أخبر عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة[٢]: وأنه إذا أُوذي في الله جعل فتنةَ الناس[٣]، وهي: أذاهم، ونيلُهم إياه بالمكروه ـ وهو الألمُ الذي لابُد أن ينال الرسلَ وأتباعَهم ممن خالفهم ـ جعل ذلك ـ في فراره منه، وتركهِ السبب الذي يناله به ـ كعذاب الله الذي فرَّ منه المؤمنون بالإيمان.

فالمؤمنونُ ـ لكمال بصيرتهم ـ فرُّوا من ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحمَّلوا ما فيه من الألم الزائل المُفارَق عن قريب[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي، في الجامع ٧/ ١٣٣، وأحمد، في الزهد ١٦٤، وأبو داود، في الزهد، رقم ٣٢٢، وسيأتي من حديث عائشة مرفوعاً.

(٢) (ط): بلا بصيرة. ساقط.

(٣) (ط): الناس له.

(٤) (ص): قرب.

وهذا ــ مِن ضعف بصيرته ــ فرَّ من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم. ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله؛ فجعل ألم فتنةِ الناس[١] ــ في الفرار منه ــ بمنزلة عذاب الله. وغُبن كلَّ الغبن؛ إذ[٢] استجار من الرَّمْضاء بالنار، وفرَّ من ألم ساعةٍ إلى ألم الأبد، وإذا نصر اللهُ جندَه وأولياءه، قال: إني كنتُ معكم. والله عليمٌ بما انطوى عليه صدرُه من النفاق. انتهى[٣].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أبي سعيد، مرفوعاً: «إنَّ مِن ضَعْفِ اليقين أنْ تُرْضِيَ النَّاس بِسَخَطِ الله، وأنْ تَحْمَدَهم على رِزْقِ الله، وأنْ تَذُمَّهُم على ما لم يُؤْتِكَ اللهُ. إنَّ رِزْقَ الله لا يَجُرُّه حِرْصُ حريصٍ، ولا يَرُدُّه كَراهِيَةُ كَارِهٍ»[٤].

ت: هذا الحديث: رواه أبو نُعيم في الحِلية، والبيهقيُّ، وأعلَّه بمحمد بن مروان السُّدي: وقال: ضعيف[٥].

---

(١) (ط): عذاب الناس.

(٢) (ط): إذا.

(٣) ابن القيم، إغاثة اللهفان ٢/ ١٨٩.

(٤) أخرجه أبو نُعيم، في الحلية ٥/ ١٠٦، ١٠/ ٤١، والبيهقي، في شعب الإيمان، رقم ٢٠٣، وله شاهدٌ من حديث ابن مسعود: أخرجه الطبراني، في الكبير، رقم ١٠٥١٤، وأبو نُعيم، في الحلية ٤/ ١٢١، ٧/ ١٣٠، والبيهقي، في الشعب، رقم ٢٠٤، وقال المؤلفُ، في فتح المجيد ٢/ ٥٨٠: والحديثُ وإن كان في إسناده من ذُكر فمعناه صحيح.

(٥) ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٨٩٥. وقال: كوفي، متهم بالكذب، من الثامنة.

وتمـامُ الحـديث(١): «وأنَّـه بحكمَتِـهِ جَعَـلَ الـرَّوحَ والفَـرَحَ في الرِّضَـا واليَقِين، وجَعَلَ الهمَّ والحُزْنَ في الشَّكِّ والسَّخَطِ».

قولُه: «إنَّ مِن ضَعْفِ اليَقِين» الضعف: يُضم ويحرَّك(٢). ضدُّ القـوة. قال ابنُ مسعود: اليقين الإيمانُ كله، والصبر نصفُ الإيمان(٣).

[٦٢/ب] قولُـه: «أنْ تُـرضِيَ النَّـاسَ بِسَخَطِ اللهِ» أي: أنْ تُـؤثر رضـاهم/ عـلى ما يُرضي الله، وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته مـا يمنعـه من إيثار رضى المخلوق؛ بـما يجلـب(٤) لـه سـخطَ خالقِـه وربِّـه ومليكِـه، الـذي يتصرَّف في القلوب(٥).

وبهذا الاعتبار: يدخلُ في نوع من الشرك؛ لأنه آثر رِضَى المخلـوق عـلى رضى الله، وتقرَّب إليه بما يُسخط الله. ولا يسلم من هذا إلا من سلَّمه الله.

قولُه: «وأنْ تَحْمَدَهم عَلى رِزْق اللهِ» أي: على ما وصل إليك مـن أيـديهم، بأن تُضيفَه إليهم وتحمدَهم عليـه؛ والله تعـالى هـو الـذي كتبـه لـك ويسَّره(٦)

---

(١) (ط): هذا الحديث.

(٢) (ط): زيادة: بفتح وسكون، وتـضم ضـادُه مـع سـكون العين وتحـرُّك عينُـه مع فتح الضاد.

(٣) أخرجه الطبراني، في الكبير، رقم ٨٥٤٤، وصححه ابنُ حجر، في الفتح ١/ ٤٨.

(٤) (ص): يجب. الأصل: يجب ثم كتب في الهامش: صوابه: يجلب.

(٥) (ط): القلب.

(٦) (ط): وسيره.

لك، وإذا[١] أراد أمراً قيَّض له أسباباً. ولا يُنافي هذا حديث: «مَنْ لا يَشْكُر النَّاسَ لا يَشْكُرِ اللهَ»[٢]، لكون الله ساقه على أيديهم، فتدعو لهم أو تكافئهم؛ لحديث «مَن صَنَع إليكُمْ مَعْروفاً فكافِئُوه، فإنْ لم تجدُوا مَا تُكَافِئُوه فادْعُوا لَهُ حتى تُروا أنَّكم قَدْ كافَئْتُموه»[٣].

قولُه: «وأنْ تَذُمَّهم على مَا لمْ يُؤْتِكَ الله» لأنه لم يقدّر لك ما طلبته على أيديهم، فلو قُدِّر لك لساقه القدرُ إليك[٤]. فمن علم أنَّ الله وحده هو المتفرّدُ بالعطاء والمنع ـ بمشيئته وإرادته ـ وأنَّه هو الذي[٥] يرزقُ العبد بسبب وبلا[٦]، ومن حيث لا يحتسب: لم يسأل حاجتَه إلا من الله وحده، ولعل ما منع من ذلك يكون خيراً له، ويحسن الظن بربه سبحانه[٧]، ولا يرغب إلَّا إليه ولا يخاف إلا من ذنبه. وقد قرَّر هذا المعنى في الحديث، بقوله: «إنَّ رزقَ الله لا يَجُرُّه حرصُ حريصٍ، ولا يردُّهُ كَرَاهيَةُ كَارِه».

---

(١) (ط): فإذا.

(٢) أخرجه أبو داود، في السنن، رقم ٤٨١١، والترمذي، في الجامع، رقم ١٩٥٤ وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح، وأحمد، في المسند ٥/ ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٨٨ من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أبو داود، في السنن، رقم ١٦٧٢، ٥١٠٩، والنسائي، في المجتبى ٥/ ٨٢، وأحمد، في المسند ٢/ ٦٨، ٩٩، ١٢٧ من حديث ابن عمر.

(٤) (ط): فلو قدر ساقه إليك.

(٥) (ط): وأنه الذي.

(٦) (ط): وبلا سبب.

(٧) من قوله: ولعل ما منع. إلى هنا. ساقطٌ من (ط).

وقال شيخُ الإسلام: اليقين: يتضمَّن القيامَ بأمر الله وما وعد الله أهلَ[١] طاعته، ويتضمَّن اليقينَ بقَدر الله وخلْقه وتدبيره. فإذا أرضيتهم بسخط الله ولم تكن مُوقنا لا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يَحمل الإنسان على ذلك: إما ميلٌ إلى ما في أيديهم ـ فيترك القيامَ فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم ـ وإما ضعفُ تصديقه بما وعد اللهُ أهلَ طاعته مِن النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة؛ فإنك إذا أرضيت الله نَصَرك ورزقك وكفاك مؤنتهم. وإرضاؤهم بما يُسخطه، إنَّما يكون خوفاً منهم ورجاء لهم؛ / وذلك من ضعف اليقين. [٦٣/أ]

وإذا[٢] لم يقدّر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمرُ في ذلك إلى الله لا لهم؛ فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فإذا ذممتهم على ما لم يُقدَّر[٣] كان ذلك من ضعف يقينك؛ فلاتَخَفْهم ولا تَرْجُهم ولا تذمَّهم من جهة نفسك وهواك. ولكن مَن حمد[٤] اللهُ ورسوله منهم فهو المحمود، ومن ذمَّه اللهُ ورسولُه منهم فهو المذموم[٥].

ودلَّ الحديثُ: على أنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنَّ الأعمال من مسمَّى الإيمان.

---

(١) (ط): به أهل.
(٢) (ط): وأما إذا.
(٣) (ط): يقدر لك.
(٤) (ط): حمده.
(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١/ ٥١.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن الْتَمَسَ رِضَى الله بِسخَطِ الناس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأَرْضَى عنه الناس، ومن الْتَمَسَ رِضَى النَّاس بسَخَطِ الله، سَخِطَ اللهُ عليه وأسخَط عليه الناس». رواه ابنُ حبَّان في صحيحه[1].

ش: قولُه: «مَن التَمَسَ» أي: طلب. قال شيخُ الإسلام: وكتبت عائشةُ إلى معاوية ـ وروى[2] أنها رفعته ـ «مَن أَرْضى اللهَ بسَخَطِ النَّاس كَفَاهُ اللهُ مؤنَةَ الناسِ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بسخَطِ الله لمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ الله شيئاً» هذا لفظُ المرفوع، ولفظ الموقوف: «مَنْ أرضَى اللهَ بسخطِ النَّاسِ رضي الله عنه وأرْضَى عنهُ النَّاس، ومَنْ أرْضَى النَّاسَ بسخَطِ الله عادَ حامدُه مِنَ النَّاسِ ذامّاً».

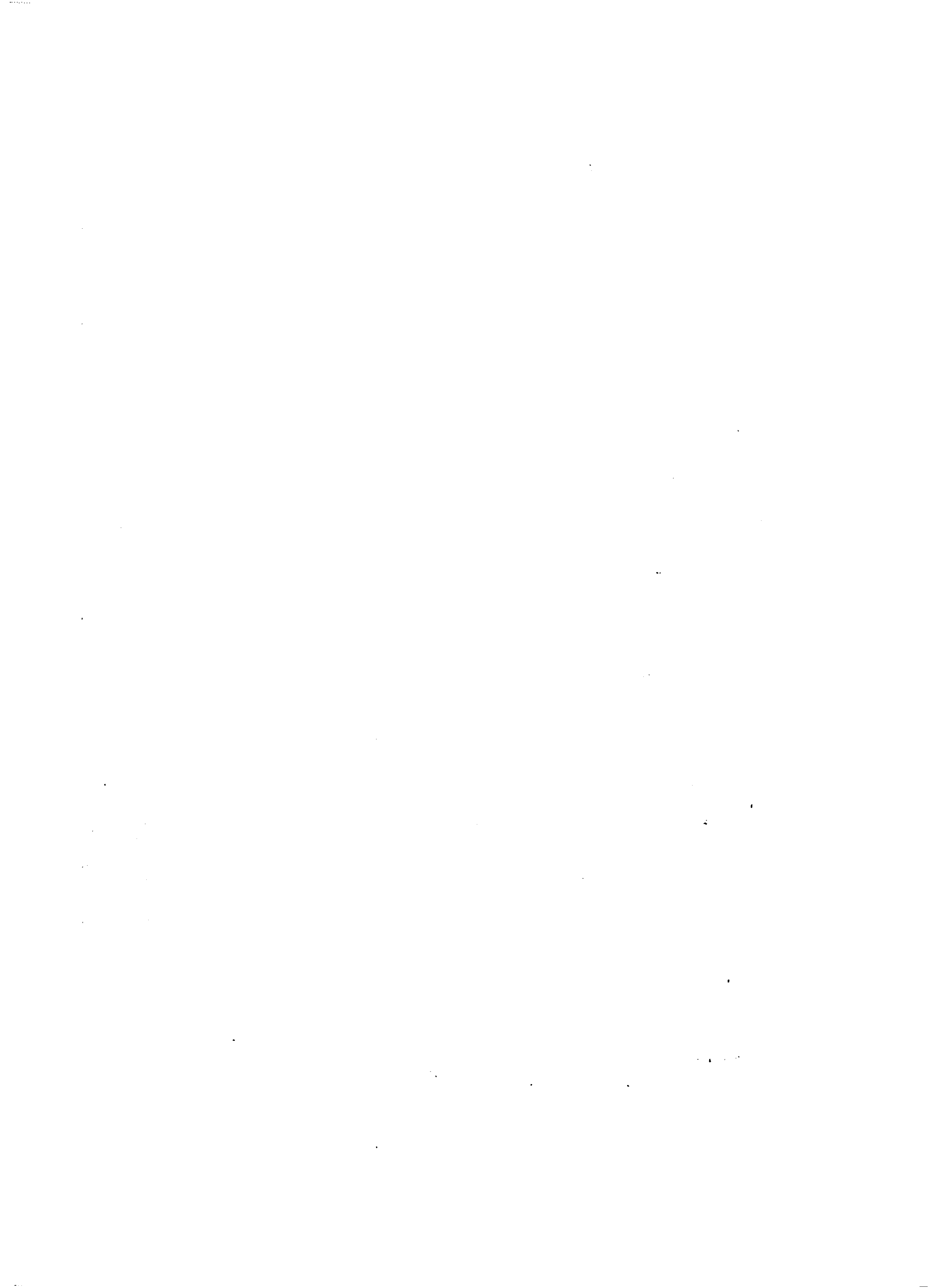
وهذا من أعظم الفقه في الدين؛ فإنَّ من أرضى اللهَ بسخطهم كان قد اتقاه، وكان عبدَه الصالح، واللهُ يتولى الصالحين، والله كافٍ عبده. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] واللهُ يكفيه مؤنة الناس بلا ريب. ومن أرضى النَّاسَ بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً، كالظالم الذي يعَضُّ على يديه. وأمَّا كَونُ حامده ينقلبُ ذامّاً فهذا يقع كثيراً، ويحصلُ في العاقبة؛ فإنَّ العاقبة للتقوى، لا تحصل ابتداء عند أهوائهم. انتهى[3].

---

(١) ابن حبان في الصحيح، رقم ٢٧٦، وأخرجه الترمذي، في الجامع، رقم ٢٤١٦.

(٢) (ط): ويروى.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١/ ٥٢.



(٣٢)

بــــابُ

قولِ الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ت: قال أبو السعادات: يُقال: توكَّل بالأمر إذا ضَمن القيامَ به[١].

وأراد المصنفُ بهذه الترجمة بالآية: بيانَ أنَّ التوكل فريضةٌ يجب إخلاصُه لله؛ لأنه من أجمع أنواع العبادة الباطنة، فإنَّ تقديم المعمولِ يُفيد الحصر. فلا يحصل كمالُ التوحيد بأنواعه الثلاثة/ إلا بكمال التوكل على الله، كما في هذه الآية. قال الإمام أحمد: التوكل عملُ القلب[٢]. [٦٣/ ب]

قال ابنُ القيم في الآية المُترجم بها: فجعل التوكلَ على الله شرطاً في الإيمان، فدلَّ على انتفاء الإيمان عند انتفائه[٣].

قال شيخُ الإسلام: وما رجا أحدٌ[٤] مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنُّه فيه؛ فإنه مُشرك[٥] ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ

---

(١) ابن الأثير، النهاية ٥/ ٢٢١.

(٢) نقله ابن القيم، في مدارج السالكين ٢/ ١١٤.

(٣) ابن القيم، طريق الهجرتين ٢/ ٥٥٧.

(٤) (ط): أحد. ساقطة.

(٥) (ط): شرك.

﴿تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١] انتهى(١).

والتوكلُ قسمان: أحدُهما: التوكلُ في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالتوكل على الأموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت، وهذا(٢) شركٌ أكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه. وأمَّا التوكلُ على الأحياء الحاضرين والسلطان ونحوهم، فيما أقدرهم اللهُ عليه من رَزق أو دفع أذى أونحو ذلك: فهو نوعُ شرك أصغر.

والمباحُ: أن يوكّل شخصاً بالنيابة عنه في التصرُّف فيما له التصرُّف فيه من أمور دُنياه، كالبيع والشراء والإجارة والطلاق والعتاق وغير ذلك، ولا يُقال: توكَّل عليه. بل يقال: وكَّلَه(٣). فهذا جائزٌ بالإجماع.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٢].

ت: قال ابنُ عباس في الآية: المنافقون لا يدخل قلوبَهم شيءٌ من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يُؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولا يُصلّون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاةَ أموالهم. فأخبر الله: أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٥٧.

(٢) (ط): فهذا.

(٣) (ط): من قوله: ولا يقال. إلى هنا. أخرت عن موضعها مع بعض الاختلاف. وزيادة: فإنه لو وكله فلابد أن يتوكل في ذلك على الله سبحانه.

﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدّوا فرائضه. رواه ابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم[(١)].

وقال السُّدي، في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: هو الرجلُ يُريد أن يظلم ـ أو قال يَهم بمعصية ـ فيقال له: اتق الله. فيجل قلبُه، رواه ابنُ أبي شيبة، وابن جرير[(٢)].

قولُه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢] استدل الصحابةُ والتابعون ـ ومن تبعهم من أهل السنة ـ بهذه الآية ونظائرها: على زيادة الإيمان ونُقصانه.

قولُه: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يعتمدون عليه، ويفوِّضُون إليه أمورَهم؛ فلا يرجون سواه، ولا يقصدون/ إلا إياه، وهو من أعظم الأسباب [٦٤/أ] في حصُول المطالب الدُّنيوية والأُخروية.

وفي الآية: وصفُ المؤمنين حقاً بثلاث[(٣)] مقامات من مقامات الإحسان، تستلزم حُصولَ أعمال الإيمان الواجبة والمُستحبَّة[(٤)].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال: ٦٤].

---

(١) ابن جرير، في التفسير ١١/ ٢٨، وابن أبي حاتم، في التفسير ٥/ ١٦٥٥.

(٢) ابن أبي شيبة، كما في الدر المنثور ٧/ ٢١، وابن جرير، في التفسير ١١/ ٢٩.

(٣) (ط): بثلاثة.

(٤) وهي: الخوفُ، وزيادة الإيمان، والتوكلُ على الله وحده. ينظر: المؤلف، فتح المجيد ٢/ ٥٩١.

ت: قال ابنُ القيِّم ـ في معنى هذه الآية[١] ـ : أي: اللهُ وحدَه كافيك وكافي أتباعك، فلا تحتاجون معه إلى أحد[٢]. وهذا اختيارُ شيخ الإسلام ابن تيمية[٣].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

ت: قال ابنُ القيِّم وغيرُه: أي: كافيه، ومن كان اللهُ كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوِّه[٤]، ولا يضرُّه إلا أذى لا بد له[٥] منه، كالحر والبرد والجوع والعطش. وأمَّا أن يضره بما يبلغُ به مراده، فلا يكون أبدا. قال بعضُ السلف: جعل اللهُ لكل عمل جزاءً من نفسه، وجعل جزاء التوكلِ عليه نفسَ كفايته؛ فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ ولم[٦] يقل: فله كذا أوكذا من الأجر. كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه[٧]: كافي عبدِه المتوكلِ عليه، وحسْبَه وواقيه. فلو توكَّل العبد على الله حقَّ توكله وكادته

---

(١) في معنى هذه الآية. ليست في (ط).

(٢) ابن القيم، زاد المعاد ١/ ٣٦.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة ٧/ ٢٠١.

(٤) (ط): لعدو.

(٥) له. ساقطة من (ص) و (ط).

(٦) (ط): زيادة: أي كافيه فلم.

(٧) (ط): الله سبحانه نفسه.

السماواتُ والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجاً وكفاه ونصَره. انتهى[(١)].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن ابن عباس، قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾. قالها إبراهيمُ ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ الآية [آل عمران: ١٧٣]. رواه البخاري[(٢)].

ش: قولُه: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ تقدّم معناه.

قولُه: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أي: نعمَ مَن توكَّل عليه المتوكلون. ومخصوصُ نِعْمَ محذوف، تقديره: الله. أي[(٣)]: نعم الوكيل الله.

قولُه: (قالهَا إبراهيمُ ﷺ، حين أُلقيَ في النَّار)؛ قال تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠] الآية.

قولُه: (وقالها محمدٌ ﷺ، حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ وذلك بعد مُنصرف قريش والأحزاب من أُحد؛ فمرَّ بهم ركبٌ من عبد القيس، فقالوا: أين تُريدون؟ قالوا: نريد/ المدينة. قالوا: فهل أنتم مبلِّغون عنا محمداً [٦٤/ ب] رسالة؟ قالوا: نعم. قالوا: فإذا وافيتموه، فأخبروه: أنّا قد أجمعنا السّير إليه

---

(١) ابن القيم، بدائع الفوائد ٢/ ٧٦٧.

(٢) البخاري، في الصحيح، رقم ٤٥٦٣، ٤٥٦٤.

(٣) الله. أي. ليست في (ط).

وإلى أصحابه؛ لنستأصل بقيَّتهم. فمر الركبُ برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد[1]، فأخبروا بالذي قال أبو سفيان. فقال: «حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيل»[2].

وفي الحديث: «إذا وقعْتُم في الأمْرِ العَظيمِ، فقُولوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»[3].

وفي الحديث: «لو توكَّلتم على الله حقَّ توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[4].



(١) حمَراءُ الأسد: موضعٌ على ثمانية أميال من المدينة. ينظر: ياقوت، معجم البلدان ٢/ ٣٠١.

(٢) أخرجه النسائي، في السنن الكبرى ١٠/ ٥٤، والطبري، في التفسير ٦/ ٢٤٩، والطبراني، في الكبير ١١/ ٢٤٧ وصححه الهيثمي، في مجمع الزوائد ٦/ ١٢١.

(٣) أخرجه ابنُ مردويه، في التفسير عن أبي هريرة، كما في تفسير ابن كثير ٢/ ١٤٨، وقال: هذا حديثٌ غريب من هذا الوجه.

(٤) من قوله: وفي الحديث. إلى هنا. ليست في (ط). والحديثُ: أخرجه الترمذي، في الجامع، رقم ٢٣٤٤، وصححه، وابن ماجه في السنن، رقم ٤١٦٤، وأحمد، في المسند ١/ ٣٠، ٥٢ عن عمر بن الخطاب.

(٣٣)

بـــابُ

قولِ الله تعالى

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

ت: أراد المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ الأمنَ من مكر الله يدلُّ على ضعف الإيمان، فلا يُبالي صاحبُه بما ترك من الواجبات، وفَعل من المحرمات؛ لعدم خوفه من الله تعالى بما فعل أو ترك. وهذا من أعظم الذنوب، وأجمعها للعيوب.

ومعنى الآية: أنَّ الله تبارك وتعالى ـ لما ذكر حالَ أهل القُرى المكذِّبين للرسل ـ بيَّن أنَّ الذي حملهم على ذلك هو الأمنُ من مكر الله، وعدمُ الخوف منه؛ وذلك أنهم أمِنوا مكرَ الله لمّا استدرجهم بالسراء والنِّعم، فاستبعدوا أنْ يكون ذلك مكراً.

قال الحسنُ: من وسَّع عليه فلم ير أنه يمكُر به فلا رأي له[1]. وقال قتادةُ: بَغَت القومَ أمرُ الله، وما أُخذ قومٌ قط إلا عند سُلوتهم وغِرتهم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، في التفسير ٤/ ١٢٩١، وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور ٦/ ٥١.

ونعمتهم[1]، فلا تغتروا بالله[2]. وقال إسماعيلُ بن رافع[3]: من الأمن من مكر الله إقامةُ العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة. رواه ابن أبي حاتم[4].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِه: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦].

ت: القنوطُ: استبعادُ الفرَج واليأسُ منه، وهو يُقابل الأمنَ من مكر الله. وكلا الأمرين ذنبٌ عظيم؛ لما في القُنوط من سُوء الظن بالله.

قولُه: ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ أي: عن الهُدى.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن ابن عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رسول الله ﷺ: سُئلَ عن الكبائرِ. فقال: «الشِّركُ بالله، واليَأْسُ من رَوْحِ الله، والأمْنُ منْ مَكْرِ الله».

ت: هذا الحديثُ: رواه البزّارُ، وابن أبي حاتم[5]، من طريق شَبيب بن بشْر.

---

(١) ونعمتهم. ليست في (ط).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، في التفسير ٥/ ١٥٢٧، وعبد بن حُميد، وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور ٦/ ٥١، ٤٨٤.

(٣) ينظر ترجمته: ابن حجر، التقريب ١٣٩.

(٤) ابن أبي حاتم، في التفسيره ٥/ ١٥٢٩.

(٥) البزار، في المسند (كشف الأستار) رقم ١٠٦، وابن أبي حاتم، في التفسير ٣/ ٩٣١، وأخرجه الطبراني، في الأوسط بسند حسن، كما في الدر المنثور ٤/ ٣٦٦.

قال ابنُ مَعين: ثقةٌ. وليَّنه[1] ابنُ أبي حاتم[2]. وقال ابنُ كثير: في إسناده نظر/ ، والأشبهُ أنْ يكونَ موقوفاً[3]. [٦٥/أ]

قولُه: «الشركُ بالله» هو[4] أكبرُ الكبائر؛ ولهذا بدأ به. قال ابنُ القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشركُ هضمٌ للربوبية وتنقّصٌ[5] للإلهية، وسوءُ ظن برب العالمين. انتهى[6].

قولُه: «واليَأْسُ من رَوْحِ الله» أي: قطعُ الرجاء والأمل من الله فيما يخافُه ويرجوه؛ وذلك إساءةُ ظن[7] بالله، وجهلٌ به وسعةِ[8] رحمته وجُوده ومغفرته.

قولُه: «والأمْنُ مِنْ مَكْرِ الله» أي: من استدراجه للعبد، وسلبه ما أعطاه من الإيمان، نعوذ بالله من ذلك. وذلك جهلٌ بالله وبقُدرته، وثقةٌ بالنفس وعُجبٌ بها. وهذه الثلاثُ من أكبر الكبائر، وإلّا[9] فهي كثيرةٌ جداً. نسأل الله

---

(١) (ط): وثقه.

(٢) ينظر: ابن حجر، التهذيب ٤/ ٣٠٦، قال في التقريب ٤٣٠: صدوقٌ يخطئ، من الخامسة. (مات بعد المائة)

(٣) ابن كثير، التفسير ٢/ ٢٤٣.

(٤) (ط): وهذا.

(٥) (ط): ونقص.

(٦) ينظر: ابن القيم، الداء والدواء ٢٩٨.

(٧) (ط): الظن.

(٨) (ط): بسعة.

(٩) (ط): وإلا. ساقطة.

اجتنابها.

وخصَّ[١] هذه الثلاث: لجمعها للشر كلِّه، وبُعدها عن الخير كلِّه[٢]. وقد وقع فيها الكثيرُ قديماً وحديثاً، نسأل الله العافيةَ في الدنيا والآخرة.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن ابن مسعود، قال: أَكْبرُ الكبائِرِ: الإشْراكُ بالله، والأمْنُ مِن مَكْر الله، والقُنُوطُ مِن رَحْمَةِ الله، واليأْسُ مِن رَوْحِ الله. رواه عبد الرزاق[٣].

ت: قولُه: (والقُنوطُ من رَحْمَة الله) قال أبو السعادات: هو أشدُّ اليأس[٤].

وينبغي للقلب أن يكون الغالبُ عليه الخوف، فإذا غلب الرجاءُ في حال الصحة فسد القلب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢]، وقال: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

---

(١) (ط): وذكر.

(٢) (ط): كله. ساقطة.

(٣) عبد الرزاق، في المصنف ١٠/ ٤٥٩، والتفسير ١/ ١٥٥، وأخرجه الطبراني، في الكبير، رقم ٨٧٨٣، ٨٣٨٤، وابن جرير، في التفسير ٦/ ٦٤٩، وابن المنذر، في التفسير، رقم ١٦٦١، وصححه ابنُ كثير، في التفسير ٢/ ٢٤٣، والهيثمي، في مجمع الزوائد ١/ ١٠٤.

(٤) ابن الأثير، النهاية ٤/ ١١٣.

(٣٤)

بــابٌ

مِن الإيمانِ باللهِ الصَّبْرُ على أقْدَارِ اللهِ

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ مِن الإيمانِ باللهِ الصَّبْرُ على أقْدَارِ اللهِ.

ت: قال الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر اللهُ الصبرَ في تسعين موضعاً من كتابه[١]. وفي الحديث الصحيح: «الصَّبرُ ضياء» رواه أحمدُ، ومسلم[٢].

قال عمرُ: وَجدْنا خَيْرَ عَيْشِنَا بالصَّبْر. رواه البخاريُّ[٣]. قال علي: إنَّ الصَّبر مِنَ الإيمانِ بمنزلةِ الرأسِ مِنَ الجَسَد، ثمَّ رفع صوتَه، فقال: إلا[٤] إنَّه لا إيمانَ لمَنْ لا صَبْرَ لهُ[٥].

واعلمْ أنَّ الصَّبْر على ثلاثة أقسام: صبرٌ على ما أَمَرَ اللهُ به، وصَبْرٌ عمَّا نهى اللهُ عنه، وصبرٌ على ما قدَّرهُ اللهُ من المصائب[٦].

---

(١) رواية المرّوذي، كما في مدارج السالكين ٢/ ١٥٢، وبدائع الفوائد ٣/ ١٠٣٣.

(٢) أحمد، في المسند ٥/ ٣٤٣، ٣٤٤، ومسلم، في الصحيح، رقم ٢٢٣ من حديث أبي مالك الأشعري.

(٣) البخاري، في الصحيح معلقاً ١١/ ٣٠٣، وصله أحمد، في الزهد ٢/ ٢٧ بإسناد صحيح، كما قال ابن حجر في الفتح ١١/ ٣٠٣.

(٤) (ط): إلا. ساقطة.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة، في الإيمان، رقم ١٣٠، والبيهقي، في الشعب، رقم ١٠.

(٦) (ط): زيادة: زاد شيخ الإسلام: والصبر على الأهواء المخالفة للشرع.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولُ الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

ش: وأوّلُ الآيـة ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغـابن: ١١] أي: بمشيئته وإرادته؛ كما قال في الآية الأُخرى/ : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]. [٦٥/ب]

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عَلْقمةُ: هو الرجلُ تُصيبه المصيبةُ فيعلم أنّها من عند الله، فيرضى ويُسلِّم.

ش: هـذا الأثـرُ: رواه ابـنُ جريـر، وابـن أبي حـاتم(١). ورُوي عـن ابـن مسعود(٢).

وعَلْقمةُ: هو ابنُ قيس بن عبد الله النَّخعي الكُوفي، ولد في حياة النبي ﷺ، وسمع: من أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد(٣)، وابن مسعود، وعائشة، وغيرهم. وهو من كبار التابعين، وعُلمائهم وثقاتهم. مات بعد الستين(٤).

---

(١) ابن جرير، في التفسير ٢٣/ ١٢، وابن أبي حاتم، في التفسير، كما في تفسير ابن كثير ٨/ ١٦٣ بإسناد صحيح، كما في تيسير العزيز الحميد ٥١٣.

(٢) رواه البخاري، في الصحيح معلقاً ٨/ ٦٥٢ من طريق علقمة، ووصله البَرْقَاني، كما في فتح الباري ٨/ ٦٥٢.

(٣) سعد. ليست في (ص) و (ط).

(٤) ينظر: ابن حجر، التقريب ٦٨٩.

وفي هذا الأثر: دليلٌ على أنَّ الأعمال من مُسمَّى الإيمان[١].

وفي الآية: بيانُ أنَّ مِن ثواب الصبر هدايةَ القلب.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي صحيح مسلم، عن أبي هُريرة، أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «اثنَتَان في النَّاس هُما بهم كُفْرٌ: الطَّعْنُ في النَّسب والنِّيَاحةُ عَلى الميِّت»[٢].

ت: أي: هُما بالناس كفر، حيث كانتا من أعمال الجاهلية، وهما قائمتان بالناس ولا يسلم منهما إلا من سلَّمه الله.

فأطلق الكُفرَ على من قامت به خَصلةٌ من هاتين الخَصلتين، لكن ليس مَن قام به شُعبةٌ من شُعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق، كما أنه ليس[٣] مَن قام به شُعبةٌ من شُعب الإيمان يصير مُؤمناً الإيمان المطلق.

ففرقٌ بين[٤] الكُفرِ المعرَّف باللام ـ كما قال[٥]، في قوله: «ليْسَ بينَ العبد وبَيْن الكُفرِ أو الشِّرك إلا تركُ الصَّلاة»[٦] ـ وبين كفرٍ مُنكَّر في الإثبات.

قولُه: «الطَّعْنُ في النَّسبِ» أي: عيبُه. ويدخل فيه، أنْ يُقال: هذا ليس ابنَ

---

(١) ينظر: المسألة الثانية.

(٢) مسلم، في الصحيح، رقم ٦٧، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٣٧٧، ٤٤١، ٤٩٦.

(٣) ليس. معلقٌ في هامش الأصل، وعليه كلمة صح.

(٤) (ط): كما أنه ليس. تحريف.

(٥) قال. ليست في (ص) و (ط).

(٦) أخرجه مسلم، في الصحيح، رقم ٨٢، وأحمد، في المسند ٣/ ٣٧٠، ٣٨٩ من حديث جابر.

فلان، مع ثُبوت نسبه.

قولُه: «والنِّيَاحةُ على الميِّت» أي: رفعُ الصوت بالنَّدْب، وتعدادِ فضائله؛ لما فيه من التَّسخط على القدر[1] المُنافي للصبر.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: و لهما، عن ابن مسعود مرفوعاً: «لـيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُود وشقَّ الجُيُوبَ ودَعا بدَعْوَى الجاهليَّة»[2].

ت: قولُه: «مَن ضربَ الخُدود» قال الحافظ: خصَّ الخدَّ لكونه الغالب، وإلا فضربُ بقية الوجه مثلُه[3].

قولُه: «ودَعَا بدعْوَى الجَاهِليَّة» قال شيخُ الإسلام: هو ندْبُ الميت[4].

[٦٦/أ] قال ابنُ القيم: الدعاءُ بدعوى الجاهلية، كالدعاء إلى القبائل / والعصبية. ومثلُه التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ، وتفضيلُ بعضٍ على بعض، يدعو إلى ذلك ويُوالي عليه ويُعادِي[5]. فكلُّ هذا من دعوى الجاهلية[6].

---

(١) (ط): قدر الله.

(٢) البخاري، في الصحيح، رقم ١٢٩٤، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ٣٥١٩، ومسلم، في الصحيح، رقم ١٠٣، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٣٨٦، ٤٣٢، ٤٤٢، ٤٥٦، ٤٦٥.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ٣/ ١٦٤.

(٤) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٠٤.

(٥) (ط): ويعادي عليه.

(٦) ابن القيم، زاد المعاد ٢/ ٤٧١.

وقد يُعفى عن الشيء اليسير من ذلك: إذا كان صدقاً؛ كما يُعفى عن البكاء إذا كان على غير وجه النوح والتسخط. نصَّ عليه أحمد[1].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن أنس: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «إذَا أرادَ اللهُ بعبدِهِ الخَيْرَ عجَّلَ لهُ العُقُوبَةَ في الدُّنيا، وإذا أرادَ بعبدِهِ الشرَّ أمْسَكَ عنه بذنبِهِ، حتَّى يُوافى به يَومَ القِيامَةِ».

ت: هذا الحديثُ: رواه الترمذيُّ، والحاكم، وحسَّنه الترمذي[2].

قولُه: «إذا أرادَ اللهُ بعَبْدِه الخيرَ عجَّلَ لهُ العقوبةَ في الدُّنيا». قال شيخُ الإسلام: المصائبُ نعمةٌ؛ لأنها مكفِّرات للذنوب، وتدعو إلى الصبر فيُثاب عليها، وتقتضي الإنابةَ إلى الله والذُّلة[3] والإعراضَ عن الخلق، إلى غير ذلك من المصالح. فنفسُ البلاء يكفِّر اللهُ به الخطايا، وهذا من أعظم النعم.

فالمصائبُ رحمةٌ ونعمة في حق عُموم الخلق، إلا أن يَدخل صاحبُها بسببها في معاصٍ أعظم مما كان قبل ذلك؛ فتكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه. فإنَّ من الناس مَن إذا ابتُلي بفقرٍ أو مرض أو جوع حصل له ـ من النفاق والجزع ومرض القلب والكُفر الظاهر وتركِ بعض الواجبات

---

(١) ابن القيم، عُدَّة الصابرين ٢٠٠.

(٢) من قوله: هذا الحديث. إلى هنا. ساقطٌ من (ط). والحديثُ: عند الترمذي، في الجامع، رقم ٢٣٩٨، والحاكم، في المستدرك ١/ ٣٤٩، ٤/ ٣٧٦ وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد، في المسند ٤/ ٨٧، وابن حبان، في الصحيح رقم ١٩١١، والبيهقي، في شعب الإيمان رقم ٩٨١٧، وصححه الهيثميُّ، في مجمع الزوائد ١٠/ ١٩١ من حديث عبد الله بن مُغفَّل.

(٣) (ص) (ط): والذل.

وفعل بعض المحرمات ـ ما يُوجب له ضرراً في دينه.

فهذا كانت العافيةُ خيراً له من جهة ما أورثته المصيبةُ، لا من جهة نفس المصيبة. كما أنَّ من[1] أوجبت له المصيبةُ صبراً وطاعة كانت في حقه نعمةً دينية؛ فهي بعينها فعلُ الرب عز وجل و[2] رحمةٌ للخلق، والله تبارك وتعالى محمودٌ عليها. فمن ابتُلي فرُزق الصبر، كان الصبرُ عليه نعمةً في دينه، وحصل له بعدَ[3] ما كفَّر من خطاياه رحمةٌ، وحصل له بثنائه على ربه صلاةُ ربه عليه؛ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وحصل له غُفران السيئات ورِفعةُ[4] الدرجات. فمن قام بالصبر الواجب / [٦٦/ب] حصل له ذلك. انتهى مُلخصا[5].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ عِظَمَ الجزاءِ معَ عِظَم البلاءِ، وإنَّ اللهَ إذا أحبَّ قوماً ابْتَلاهُم: فمن رضيَ فلهُ الرِّضا، ومَن سَخِطَ فلهُ السَّخَطُ» حسَّنه الترمذيُّ[6].

---

(١) (ط): من. ساقطة.

(٢) (ط): و. ساقطة.

(٣) (ط): مع.

(٤) (ط): ورفع.

(٥) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/ ٤٨.

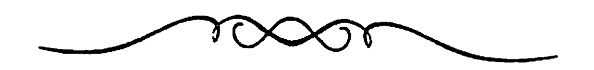
(٦) الترمذي، في الجامع، رقم ٢٣٩٨، وصححه ابنُ حجر، في الفتح ١٠/ ١٠٨، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٢٨، ٤٢٧، كلاهما من حديث محمود بن لَبيد.

ت: قولُه: «إنَّ عِظَمَ الجَزاء» بكسر العين وفتح الظاء فيهما، ويجوز[1] ضمها مع سُكون الظاء.

قال ابنُ القيم: إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب، فإنه حينئذٍ يُثاب على ما تولَّد منهما، وهو ظاهر[2].

قولُه: «وإنَّ اللهَ إذا أحَبَّ قوماً ابتلاهُم» وفي الحديث: سُئِلَ النبيُّ ﷺ: **أيُّ النَّاس أشدُّ بلاءً. قال: «الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ. يُبْتَلَى الرَّجُلُ على حَسَبِ دِينِه، فإنْ كَانَ في دينه صلابةٌ اشتدَّ بلاؤهُ. وإن كان في دِينه رِقَّةٌ ابتُلي على قَدْرِ دينه، فما يَبْرَحُ البلاءُ بالعبد حتىَّ يتركُهُ يَمْشِي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ»** رواه الدارميُّ، وابنُ ماجه، والترمذي وصححه[3].

قولُه: «مَن رَضِيَ فلهُ الرِّضَى» أي: مِنَ الله «ومَنْ سَخِطَ فلَهُ السَّخَطُ» كذلك.



(١) (ط): ويحتمل.

(٢) ابن القيم، عدة الصابرين ١٥٢-١٥٥.

(٣) الدارمي، في السنن، رقم ٢٧٨٦، وابن ماجه، في السنن، رقم ٤٠٢٣، والترمذي، في الجامع، رقم ٢٤٠٠، وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥.



(٣٥)

بــــابُ

ما جاءَ في الرِّياء

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاءَ في الرِّياء.

ت: أي: من النهيِ عنه والتحذير.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]

ت: قولُه: وقولِ الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي ليس لي من الرُّبوبية ولا من الإلهية شيءٌ، بل ذلك كلُّه لله وحده لا شريك له، أوحاه إليَّ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ ويخافه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

قال شيخُ الإسلام: أمَّا اللقاءُ: فقد فسّره طائفةٌ من السلّف والخلف بما يتضمَّن المُعاينة، وقالوا: إنَّ[١] لقاء الله يتضمَّن رؤيتَه سبحانه يوم القيامة. وذكر الأدلةَ على ذلك[٢].

---

(١) (ط): إن. ساقطة.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٦/ ٤٨٨.

قال ابنُ القيّم في الآية: أي: كما أنَّه إلهٌ واحد لا إله سواه[١]، فكذلك ينبغي أن تكون العبادةُ له وحدَه لا شريك له. فكما تفرَّد بالإلهية يجب أنْ يُفْرَد[٢] بالعبودية. فالعملُ الصالح: هو الخالصُ من الرياء، المُقيَّد بالسنة. انتهى[٣].

فتضمَّنت الآيةُ: النَّهي عن الشرك كلِّه، قليله وكثيره.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أبي هريرة، مرفوعاً: «قال الله تعالى: أنا أغْنَى الشُّركاءِ عن الشِّرك، مَنْ عَمِلَ عملاً أشرَكَ معي فيه غيري تركتُه وشِرْكَهُ» رواه مسلم[٤].

[٦٧/أ] **ت**: قولُه: «مَن عَمِل عَمَلاً أشْرَكَ معي فيهِ غَيْرِي»/ أي: قصد بعمله غيري من المخلوقين «تَركْتُه وَشِرْكَه» قال الطيبي[٥]: الضميرُ المنصوب في قوله: «تركتُه» يجوز أنْ يرجع إلى العمل[٦].

قال ابنُ رجب: واعلم أنَّ العمل لغير الله أقسام: فتارةً يكون رياءً محضاً

---

(١) (ط): إلا هو.

(٢) (ط): ينفرد.

(٣) ابن القيم، الداء والدواء ٣٠٣.

(٤) مسلم، في الصحيح، رقم ٢٩٨٥، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٣٠١، ٤٣٥.

(٥) الحُسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، مفسرٌ محدث، له شرحُ مشكاة المصابيح. مات سنة ٧٤٣هـ. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة ٢/ ٦٨.

(٦) الطيبي، شرح المشكاة ١٠/ ٥.

كحال المنافقين؛ كما قال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] وهذا الرياءُ المحض لا يكاد يصدرُ من مؤمنٍ في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في(١) الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدَّى نفعُها؛ فإن الإخلاص فيها عزيز. وهذا العملُ لا يشك مسلمٌ أنه حابطٌ، وأنَّ صاحبه يستحق المقتَ من الله والعقوبة.

وتارةً يكون العملُ لله ويُشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوصُ الصحيحة تدل على بطلانه ـ وذكر أحاديثَ تدل على ذلك ـ منها هذا الحديث، وحديثُ شداد بن أوس، مرفوعاً: «مَن صلَّى يُرائِي فقدْ أشْرك، ومنْ صام يُرائِي فقد أشْرَكَ، ومَن تصدَّق يُرائي فقد أَشْرك. وإنَّ الله عزَّ وجل، يقول: أنا خَيْرُ قَسِيمٍ لمنْ أشْرَكَ بي، فمنْ أشْرَكَ بي شيئاً فإنَّ جِدَّةَ عملِهِ وقليلَهُ وكثيرَهُ لشريكِهِ الذي أشْرَكَ به، أنَا عَنْهُ غَنِيٌّ». رواه أحمد(٢).

قال الإمام أحمدُ ـ فيمن يأخذ جُعْلاً على الجهاد ـ: إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس؛ كأنه خرج لِدينه، فإن أُعطي شيئا أخذه(٣).

ثم قال: فأما(٤) إذا كان أصلُ العمل لله ثم طرأ عليه نيَّةُ الرياء، فإن كان خاطراً ثم دفعه فلا يضرَّه بغير خلاف. وإنْ استرسل معه: فهل يُحْبَط عملُه أم لا؟ ويُجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلافٌ بين العلماء من السلف، قد

---

(١) (ط): في فرض.

(٢) أحمد، في المسند ٤/ ١٢٥، ١٢٦، وفيه: شَهر بن حَوشب، كما في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢١، ويشهدُ له: حديثُ أبي هريرة المتقدّم، عند الإمام مسلم.

(٣) رواية أبي داود، وابن هانئ. ينظر: مسائل أبي داود ٢٥١، ومسائل ابن هانئ ٢/ ١٠٨.

(٤) (ص) (ط): وأما.

حكاه الإمام أحمد، وابنُ جرير. ورجحا أنَّ عمله لا يبطل بذلك، وأنه يُجازى بنيته الأولى؛ وهو مرويٌّ عن الحسن، وغيره(١) .

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن أبي سعيد، مرفوعاً: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بما هُو أخْوَفُ عليكُمْ عِنْدي من المسِيْحِ الدَّجَّال؟» قالوا: بَلَى، قال: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ» رواه أحمد(٢).

[٦٧/ب] **ت:** قولُه: (عن / أبي سعيد) هو الخُدري، وتقدم.

قولُه: «الشِّركُ الخَفِيُّ» سمّاه خفيّاً؛ لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، ولأن صاحبه يُظهر أنَّ عمله لله، وقد قصد غيرَه أو شرَّكه فيه بتزيين صلاته لأجله. ولا خلاف أنَّ الإخلاص شرطٌ لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة.

قال ابنُ القيم: وأما الشركُ الأصغرُ، فكيسير الرياء والتصنُّع للخلق، والحلِف بغير الله، وقولِ الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكلٌ على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا أكبر، بحسب حال قائله

---

(١) ابن رجب، جامع العلوم ١/ ٧٩-٨٣.

(٢) أحمد، في المسند ٣/ ٣٠، وأخرجه ابن ماجه، في السنن رقم ٤٢٠٤، والحاكم، في المستدرك ٤/ ٣٢٩ وصححه ووافقه الذهبي، وحسَّنه البوصيري، في المصباح ٣/ ٢٩٦.

ومقصده. انتهى[١].

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين ١/ ٣٤٤.



(٣٦)
بـــابٌ
من الشِّرك إرادةُ الإنسانِ بعمله الدُّنيا

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ من الشِّرك إرادةُ الإنسانِ بعمله الدُّنيا.

ت: أراد المصنفُ ــ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ــ بهذه الترجمة، وما بعدها: أنَّ العمل لأجل الدنيا كالرِّياء في بُطلان العمل، إنْ استرسل معه. كمن يطلب العلم[1] لتحصيل وظيفة التعليم، كحال أهل المدارس وأئمة المساجد والمجاهدين ونحوهم، ممن يقصد بعمله الصالح أمر دُنياه[2]. وقد وقع ذلك كثيراً، حتى أنَّ منهم من يحرص على سفر الجهاد، لما يحصل له فيه: من جهة أمير الجيش واجتماعِه به، وأمره له ونهيه، وقُربه منه، ونحو ذلك.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولُ الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [هود: ١٥-١٦] **الآيتين.**

ت: قال ابنُ عباس: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: ثوابها ﴿وَزِينَتَهَا﴾ أي: مالها ﴿نُوَفِّ﴾ نوفِّر لهم[3] ثواب ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بالصحة والسرور: في المال والأهل والولد ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ لا يُنقصون. ثم نسختها ﴿مَن كَانَ

---

(١) الأصل: العمل.

(٢) (ط): دنيا.

(٣) (ط): إليهم.

يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨] الآية. رواه النَّحاسُ[١] في ناسخه[٢].

وأخرج ابنُ جرير بسنده المُتصل، عن شُفَي بن ماتع[٣]، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى إذا كان يومَ القيامةِ نزلَ لِيَقْضِي بينهُمْ وكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ. فأوَّلُ مَنْ يَدْعُو به رَجُلٌ قدْ جمَعَ القُرْآن، ورَجُلٌ قُتِلَ في سَبيلِ الله، ورَجُلٌ كَثيرُ المالِ. فيقُولُ اللهُ/ للقارئ: أَلَمْ أُعلِّمَك مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولي؟ قال: بَلَى يا ربِّ. قال: فماذا عَمِلْتَ فيما عَلِمْت؟ قال: كُنْتُ أقومُ آناءَ اللَّيل وآناءَ النَّهار. فَيَقُولُ اللهُ له: كَذَبْتَ. وتَقُولُ لهُ الملائِكَةُ: كَذَبْتَ. ويقُولُ اللهُ له: بَلْ أَرَدْتَ أنْ يُقَالَ فُلانٌ قارئ. فقد قِيل. ويُؤْتَى بِصاحِبِ المال، فيَقُولُ اللهُ لهُ: أَلَمْ أُوسِّع عليكَ حتَّى لمْ أَدَعْكَ تحتاجُ إلى أَحَدْ؟ قال: بَلى يا ربّ. قال: فمَا عَمِلْتَ فيما آتَيْتُكَ؟ قال: كُنتُ أَصِلُ الرَّحم، وأَتَصدَّقُ. فيقولُ اللهُ لهُ: كذبْتَ. وتَقُولُ لهُ الملائكةُ: كَذَبْتَ. ويقولُ الله لهُ: بَلْ أردتَ أنْ يُقَالَ فُلانٌ جَوَادٌ. فقد قيل. ويُؤْتَى بالَّذِي قُتِلَ في سبيلِ الله، فَيُقَال لهُ: فَبِمَاذا قُتِلْتَ؟

[٦٨/ أ]

(١) (ط): البخاري. تصحيف.

(٢) النحاس، الناسخ والمنسوخ ١٧٧، وضعَّفه ابنُ النحاس وابن الجوزي. ينظر: ابن الجوزي، النواسخ ٣٧٦، والنحاس، هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، أبو جعفر، مفسرٌ لُغوي نَحْوي، له كتابُ إعراب القرآن، والناسخُ والمنسوخ. مات سنة ٣٣٧هـ. الداودي، طبقات المفسرين ١/ ٦٨.

(٣) الأصل: بن مانع. تصحيف. وهو: شُفي بن ماتِع الأصبَحي، ثقةٌ من الثالثة. مات في خلافة هشام (بعد المائة) ابن حجر، التقريب ٤٣٩.

فيقُولُ: أُمِرتُ بالجِهَادِ في سبيلكِ، فقاتلتُ حتى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ الله لهُ: كَذَبْتَ. وتقُولُ الملائكَةُ: كَذَبْتَ. ويقولُ اللهُ له: بَلْ أردْتَ أنْ يُقَالَ فُلانٌ جَرِيءٌ. وقَدْ قِيلَ ذلكَ» ثم ضربَ رسولُ الله ﷺ عَلَى رُكْبَتَيَّ، فقَالَ: «يَا أبَا هُرَيْرَةَ، أُولئِكَ الثَّلاثةُ أَوَّلُ خَلْقِ الله تُسعَّرُ بهِم يومَ القِيَامَةِ النار»[1].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الصحيح، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تَعِسَ عبد الدِّينار، تَعِسَ عبد الدِّرهم، تَعِسَ عبد الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عبد الخَميلةِ؛ إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لمْ يُعطَ سَخِطَ. تَعِسَ وانْتكَسَ، وإذا شِيكَ فَلا انْتَقَش. طُوبَى لِعبد آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِه في سبيلِ الله، أشْعَثَ رأسُهُ، مُغْبرَّةٍ قَدَمَاهُ، إنْ كَان في الحِراسَةِ كان في الحِراسَةِ، وإنْ كَانَ في السَّاقَةِ كانَ في السَّاقَةِ، إنْ استَأْذَنَ لم يُؤْذَن له، وإن شَفَعَ لمْ يُشَفَّع»[2].

ت: قولُه: (في الصحيح) أي: صحيح البُخاري.

قولُه: «تعِس» هو: بكسر العين، ويجوز الفتح. أي: سقط، والمراد هنا: هلك. قاله الحافظ[3].

وقال أبو السعادات: يُقال: تعِس يتعَس. إذا عَثَر وانكبَّ لوجهه، وهو

---

(١) ابن جرير، في التفسير ١٢/ ٣٥٠، وفيه: الوليد بن عثمان المدني، ليِّن الحديث، كما في التقريب ١٠٤٢. وأصلُ الحديث: عند مسلم، في الصحيح، رقم ١٩٠٥.

(٢) البخاري، في الصحيح، رقم ٢٨٨٦، ٢٨٨٧، ٦٤٣٥. وأخرجه ابن ماجه، في السنن رقم ٤١٨٨.

(٣) الحافظ بن حجر، فتح الباري ٦/ ٨٢، ١١/ ٢٥٤.

دعاءٌ عليه بالهلاك(١).

قولُه: «تَعِسَ عبد الدِّينَارِ تَعِسَ عبد الدِّرهم» سمَّاه عبداً له؛ لكونه هو المقصود بعمله./ فصار عبداً له؛ لأنه عَبَده بذلك العمل. [٦٨/ب]

قولُه: «تَعِسَ عبدُالخَمِيصَة» قال أبو السعادات: هي ثوب خَزٍّ أو صوف مُعلَّم، و «الخَمِيلَة» بفتح الخَاء المعجمة، قال أبو السعادات: ذات الخَمْل، ثيابٌ لها خَمْل من أي شيء كان(٢). والمراد: كلُّ ما كان من الدنيا، نَقْداً كان(٣) أو عَرْضا؛ لأنه ذكر النوعين. «وانْتَكَس»(٤)، قال أبو السعادات: أي: انقلب على رأسه، وهو دعاءٌ عليه بالخيبة(٥).

قولُه: «وإذا شِيكَ» أي: إذا أصابته شَوكةٌ «فلا انْتَقَش» أي: فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش(٦). قاله أبو السعادات(٧).

قال شيخُ الإسلام: فسمَّاه النبيُّ ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة، وذكرَ ما فيه.

---

(١) ابن الأثير، النهاية، ١/ ١٩٠.
(٢) ابن الأثير، النهاية ٢/ ٨١.
(٣) (ط): كان. ساقطة.
(٤) ما بينهما إضافة يقتضيها السياق.
(٥) ابن الأثير، النهاية ٥/ ١١٥.
(٦) (ط): بالمناقيش.
(٧) ابن الأثير، النهاية ٥/ ١٠٦.

وهو دعاءٌ[١] بلفظ الخبر، وهو قولُه: «تَعِسَ وانْتَكَس وإذا شِيكَ فلا انْتَقَش» وهذه حالُ من أصابه[٢] شرٌّ لم يخرج منه ولم يُفلح؛ لكونه تعِس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلُص من المكروه. وهذه حالُ من عبد المال. وقد وصفَ ذلك: بأنّه إنْ أُعطي رضي وإن مُنع سَخِط، فرضاهم[٣] لغير الله وسخطهم[٤] لغير الله. وهكذا حالُ من كان متعلِّقاً برياسة أو صورة[٥] أو نحو ذلك من أهواء نفسه، إنْ حصل له رضي وإنْ لم يحصُل له سَخِط.

فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيقٌ له؛ إذ الرِّقُّ والعبودية في الحقيقة رقُّ القلب وعبوديتُه، فما استرق القلبَ واستعبده فهو عبده.

إلى أن قال: وهكذا أيضا حالُ طالب[٦] المال، فإن ذلك يستعبده ويسترقُّه. وهذه الأمورُ نوعان: فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك، فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه[٧]، فيكون المالُ عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه،من غير أنْ يستعبده فيكون هلُوعاً. ومنها: ما لا

---

(١) (ط): دعاء عليه.

(٢) (ص) (ط) إذا أصابه.

(٣) (ط): فرضاه.

(٤) (ط): وسخطه.

(٥) (ط): صوله. تحريف.

(٦) (ط): من طلب.

(٧) (ط): إليه فيه.

يحتاج إليه العبد، فهذا ينبغي أن لا يعلّق قلبه بها[١]، فإذا تعلّق قلبه بها؛ صار مستعبَداً لها، وربما صار مستعبَداً ومعتمِداً[٢] على غير الله فيها[٣]، فلا يبقى معه حقيقة/ العبودية لله، ولا حقيقةُ التوكل عليه[٤]. بل فيه شعبةٌ من العبادة لغير الله، وشعبةٌ من التوكل على غير الله[٥]. وهذا أحقُّ الناس بقوله ﷺ: «**تَعِسَ** عبد الدِّرهم، **تَعِسَ** عبد الدِّينار، **تَعِسَ** عبد الخميصَة، **تَعِسَ** عبد **الخَمِيلَة**» وهذا هو عبدٌ لهذه الأمور، ولو طلبها من الله؛ فإنَّ الله إذا أعطاه إياها رضي، وإن مُنع[٦] إياها سخِط. وإنَّما عبد الله: مَن يُرضيه ما يرضِي الله، ويُسخطه ما يسخط الله، ويحُب ما أحبَّ اللهُ ورسولُه، ويبغض ما أبغض اللهُ ورسولُه، ويُوالي أولياء الله، ويُعادي أعداء الله، فهذا الذي استكمل الإيمان[٧]. [٦٩/أ]

قولُه: «طُوبَى لِعَبْدٍ» روى الإمامُ أحمد، عن حسن بن موسى[٨]، قال:

---

(١) (ط): به.

(٢) (ط): تعلق قلبه صار مستعبداً ومعتمداً.

(٣) (ط): فيها. ساقطة.

(٤) (ط): على الله.

(٥) (ط): غيره.

(٦) (ط): منعه.

(٧) (ط): زيادة: انتهى ملخصاً. ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/ ١٨٠-١٩٠.

(٨) الحسن بن موسى الأشيب، أبو علي البغدادي، ثقةٌ، من التاسعة. مات سنة تسع أو عشر ومائتين. ابن حجر، التقريب ٢٤٣.

سمعتُ عبد الله بن لَهَيعة[١]: حدثنا درَّاج أبو السَّمح[٢]: أنَّ أبا الهيثم[٣] حدَّثه، عن أبي سعيد الخُدري، عن رسول الله ﷺ أنَّ رجلاً، قال: يا رسُولَ الله طُوبى لمَنْ رَآكَ وآمَنَ بكَ. قال: «طُوبَى لمَن رَآني وآمَنَ بي، ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى لمَنْ آمَنَ بي ولمْ يَرَني» قالَ لهُ رجُلٌ: ومَا طُوبَى؟ قَالَ: «شَجَرَةٌ في الجنَّة مَسيرَةُ مائة عامٍ، ثِيَابُ أهلِ الجنَّةِ تخرجُ مِن أكْمامِهَا»[٤].

وقد روى ابنُ جرير، عن وهْب بن مُنبِّه ـ ها هنا ـ أثراً غريباً عجيباً، قال وهب: إنَّ في الجنَّةِ شَجَرَةً يُقَالُ لها طُوبَى، يسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مائةَ عام لا يَقْطَعُهَا، زَهْرُهَا رِيَاطٌ، وورقُهَا برودٌ، وقُضْبَانُها عَنْبَرٌ، وبَطْحَاؤُها ياقُوتٌ، وتُرَابُهَا كَافُورٌ، ووحْلُهَا مِسْكٌ. يَخْرُجُ من أصْلِهَا أنهارُ الخَمْرِ واللَّبنِ والعَسَلِ، وهِيَ مجْلسُ أهْل[٥] الجنة.

فبيْنَا هُم في مجلِسِهم إذْ أتتْهُم الملائكةُ من ربِّهم يقُودُونَ نُجُباً مُزْمُومَةً بِسَلاسِلَ من ذَهَبٍ، وُجُوهُها كالمَصَابيح من حُسْنِها، وبَرُها كَخَزِّ

---

(١) عبد الله بن لَهَيعة بن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري، القاضي، صدوقٌ، من السابعة، خلط بعد احتراق كتبه. مات سنة ١٧٤هـ. ابن حجر، التقريب ٥٣٨.

(٢) درَّاج بن سمعان أبو السمح السهمي، مولاهم المصري، صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعف، من الرابعة. مات سنة ١٢٦هـ. ابن حجر، التقريب ٣١٠.

(٣) سليمان بن عمرو بن عبيد الليثي، أبو الهيثم المصري، ثقة، من الرابعة. ابن حجر، التقريب ٤١١.

(٤) (ط): زيادة: له شواهد في الصحيحين. اهـ. والحديث: عند أحمد، في المسند ٣/ ٧١، وحسَّنه ابنُ حجر في الأمالي ٤٧.

(٥) (ط): لأهل.

المِرْعِزَّى[١] من لِينِهِ، عليها رِحالُ ألواحها مِن ياقُوتٍ، ودُفُوفُها من ذَهَبٍ، وثِيَابُها من سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَقٍ. فَيُنِيخُونَهَا، ويقُولونَ: إنَّ ربَّنا أرسلَنَا إليكُمْ لِتَزُورُوه وتُسلِّمُوا عَلَيه. قال: فيَرْكَبُونَها، قال: فَهِيَ أسْرعُ من الطَّائِرِ وأَوْطَأُ من/ الفِراش. نُجُباً[٢] من غير مَهَنَةٍ، يَسيرُ الرَّجُلُ إلى جَنْبِ أخيه وهُو يُكلِّمُهُ ويُنَاجِيهِ، لا تُصِيبُ أُذُنَ راحِلَةٍ منها أُذُنَ صاحبَتِهَا ولا تَرْكُ[٣] رَاحِلَةٍ تَرْكَ الأُخْرَى، حتى أنَّ الشَّجرَةَ تَنْتَحي[٤] عن طريقِهِم لِئَلَّا تفرِّق بَيْنَ الرَّجُلِ وأخِيهِ. قال: فَيَأْتُونَ إلى الرَّحمن الرَّحِيم، فَيُسْفِرُ لهَمْ عنْ وَجْهِهِ الكَرِيم حتَّى ينظُرُوا إليهِ. فإذا رَأَوْهُ، قالُوا: اللَّهم أنْتَ السَّلامُ ومِنْكَ السَّلام، وحُقَّ لكَ الجَلالُ والإكْرَامُ. قالَ، فيقول تباركَ وتَعالى عِنْدَ ذلك: «أَنَا السَّلامُ ومنِّي السَّلامُ، وعَلَيكُمْ حَقَّتْ رَحْمَتي و محَبَّتي. مَرْحَباً بِعِبَادِي الَّذينَ خشوني بغيب[٥]، وأطَاعُوا أمْرِي» قال، فيقُولُون: رَبَّنَا إنَّا لمْ نَعْبُدْكَ حقَّ عِبادَتِكَ، ولم نَقْدُرْكَ حقَّ قَدْرِكَ، فَأْذَنْ لنَا بالسُّجُود قُدَّامَكَ: قال، فيقولُ اللهُ: «إنَّهَا لَيْسَتْ بدار نَصَبٍ ولا عِبادة، ولكنَّها دارُ مُلْكٍ ونَعِيم، وإني قَدْ رفعْتُ عَنْكُمْ نَصَبَ العِبَادَة، فَسَلُوني مَا شِئْتُم، فإنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ منْكُمْ أُمْنِيَة» فَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى إنَّ أَقْصَرَهُم أُمْنِيَةً لَيَقُولُ: ربِّ تَنَافَسَ أَهْلُ الدُّنيا في دُنْيَاهُم فَتَضَايَقُوا، ربِّ فَآتِني

[٦٩/ب]

---

(١) الأصل و (ص): الزعرى. والمثبت من (ط) والمصدر.
(٢) جميع النسخ: خبا. والمثبت من المصدر، وفتح المجيد ٢/ ٦٣٤.
(٣) (ط) والمصدر: بَرْك.
(٤) (ط) والمصدر: لتنحَّى.
(٥) الأصل و (ط): بالغيب. والمثبت من (ص) والمصدر.

مثْلَ كُلِّ شيءٍ كَانُوا فيهِ مِنْ يوم خَلَقْتَهَا إلى أنْ انْتَهَتْ الدُّنيا. فيقُولُ اللهُ تَعَالى: «لقدْ قَصَّرَتْ بِكَ أُمْنِيَتُكَ، ولقَدْ سَأَلْتَ دُونَ مَنْزِلَتِكَ: هذا لكَ مِنِّي؛ لأنَّه لَيْسَ في عَطَائِي نَكَدٌ ولا تَصْريدٌ[(١)]» قال، ثُمَّ يَقُولُ: «اعْرِضُوا عَلَى عِبَادِي مَا لمْ تَبْلُغْ أمانيُّهم ولم[(٢)] يخطُر لهم على بال» قال: فيعرِضُون عليهم حتى تقصُر بهم أمانيُّهم[(٢)] التي في أنْفُسِهِمْ. فَيَكُونُ فِيمَا يَعْرِضُون عَلَيْهِم بَرَاذينُ مُقَرَّنَةٌ، عَلَى كُلِّ أرْبَعَةٍ منها سَريرٌ من يَاقُوتَةٍ وَاحِدَةٍ، عَلَى كُلِّ سَريرٍ منْها قُبَّةٌ من ذَهَبٍ مُفْرَغَةٌ في كُلِّ قُبَّةٍ منها [فَرْشٌ مِنْ][(٣)] فُرُشِ الجنَّةِ مُظاهرةٌ، في كُلِّ قُبَّةٍ منْها جَارِيَتَان مِنَ الحُورِ العِين، عَلَى كُلِّ جارِيَةٍ منهُنَّ ثَوْبَانِ من ثِيابِ الجنَّة، ولَيْسَ في الجَنَّةِ لَونٌ إلا وَهُوَ فيهما، وَلا ريح طيب إلا[(٤)] عَبَقَ بهمَا. فنفذ[(٥)] ضوءُ وجُوهِهِما غلظة[(٦)] القُبَّة حَتَّى يَظُنَّ مَن يَراهُما أنَّهُمَا دونَ القُبَّة. يُرى مخُّهُما مِن فَوقِ سوقهما[(٧)] كالسِّلك الأَبْيَض في يَاقُوتَةٍ حَمْراءَ، يَرَيَان لَهُ من الفَضْل على صَحَابَتِه كَفَضْلِ الشَّمس/ على الحجارَةِ أو أفضلَ، ويَرَى لهُمَا مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَدْخُلُ إليهِمَا فَيُحَيِّيَانِه ويُقَبِّلانِهِ ويَعْلَقَانِهِ[(٨)]، ويقولانِ لهُ: واللهِ مَا [٧٠/أ]

---

(١) (ط): قصريد. وفي هامش الأصل و(ص) ما نصه: أي: قطع. كما قال النابغة:
وتسقي إذا ما شئت غير مطرد. البيت.

(٢) ما بينهما ساقطٌ من (ط). وفي المصدر: حتى يقضُوهم أمانيَّهم.

(٣) ما بينهما إضافةٌ من (ط) والمصدر.

(٤) (ط): ولا طيب إلا وقد.

(٥) (ط) والمصدر: ينفذ.

(٦) (ط) والمصدر: غلظ.

(٧) (ط) سوقهما. ساقط.

(٨) (ط) والمصدر: ويعانقانه.

ظَنَنَّا أنَّ اللهَ يَخْلُقُ مِثْلَكَ. ثمَّ يأمُرُ اللهُ الملائكةَ فَيَسيرُونَ بِهِم صَفًّا في الجنَّةِ، حتَّى يَنْتَهي كُلُّ رجُلٍ منهُم إلى مَنْزَلَتِه التي أُعِدَّتْ لَهُ[١].

قولُه: «أشْعَثَ» مجرور[٢] بالفتحة؛ لأنه اسمٌ لا ينصرف للوصف ووزن الفعل، و«رأسُهُ» مرفوعٌ على الفاعلية. وهو: طائرُ الشعر؛ أشغله الجهادُ في سبيل الله عن التنعُّم بالأدَّهان وتسريح الشعر.

قولُه: «مُغْبرَّةٍ قَدَمَاهُ» هو بالجر، صفةٌ ثانية للعبد.

قولُه: «إنْ كَان في الحِرَاسَة» أي: حاميةُ الجيش عن أنْ يهجم العدو عليهم.

قولُه: «كانَ في الحِرَاسَةِ» أي: غير مقصّر فيها ولا غافل.

قولُه: «وإنْ كَانَ في السَّاقَةِ كانَ في السَّاقَةِ» أي: في مؤخّرة الجيش، يقلّب نفسه في مصالح الجهاد بما فيه حفظُ المجاهدين من عدوِّهم.

قال الخَلخالي: المعنى: ائتمارُه بما[٣] أُمر، وإقامتُه حيث أُقيم، لا يُفقد من[٤] مكانه. وإنما ذكر الحراسةَ والسَّاقة؛ لأنهما أشدُّ مشقة.

---

(١) ابن جرير الطبري، التفسير ١٣/ ٥٢٥. وهذا والله أعلم من الإسرائيليات التي كان ينقلها. ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٥٢.

(٢) (ط): مجرورة.

(٣) (ط): لما.

(٤) (ط): من. ساقطة.

قولُه: «إنْ استأذَنَ لمْ يُؤْذَنْ لَهُ» أي: إنْ[1] استأذن على الأُمراء ونحوهم، لم يأذنوا له؛ لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة، لأنه ليس من طُلاّبها، وإنما يطلب ما عند الله.

قولُه: «وَإنْ شَفَعَ لمْ يشفّعْ» يعني: لو ألجأته الحالُ إلى أن يشفع[2] في أمرٍ يحُبه اللهُ ورسوله، لم تُقبل له شفاعةٌ عند الأمراء ونحوهم.

وعن عثمان، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**حَرَسُ لَيلَةٍ في سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا ويصام نهارها**»[3]

وروى الحافظُ ابن عساكر، في ترجمة عبد الله بن المبارك: هذه الأبيات بطرَسوس، وواعده الخروج، وأنشدها معه إلى الفُضيل بن عياض، في سنة سبعين ومائة[4].

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتَنا ... لعلمتَ أنّكَ في العبادة تلعب/ [٧٠/ ب]
من كان يخضب خدَّه بدموعه ... فنحورُنا بدمائنا تتخضَّبُ
أو كان يُتعب خيلَه في باطل ... فخيولُنا يوم الصبيحة تتعبُ
ريحُ العبير لكم ونحن عبيرُنا ... رَهج السَّنابك والغبارُ الأطيبُ

---

(١) (ط): إن. ساقطه.

(٢) (ط): يشفع له.

(٣) أخرجه أحمد، في المسند ١/ ٦١، ٦٥ بإسناد حسن، كما قال ابن حجر، في الفتح ٦/ ٨٣.

(٤) هكذا في جميع النسخ، وفي تاريخ دمشق، لابن عساكر ٣٨/ ٣٥٤، وفتح المجيد ٢/ ٦٤٠: أن عبد الله بن المبارك أملاها على محمد بن أبي سُكينة بطرسوس، وأنفذها معه إلى الفضيل.

ولقــد أتانــا مــن مقــالِ نَبيِّنَــا قــولٌ صـحيحٌ صـادقٌ لا يُكـذبُ
لا يــستوي وغبــار خيــل الله في أنـف امـرئٍ ودخـان نـار تلهَـبُ
هـــذا كتـــابُ الله ينطـــق بيننـــا لـيس الـشهيد بميـت، لا يَكـذبُ

قال: فلقيتُ الفُضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه، وقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلتُ: نعم. قال لي: اكتب هذا الحديث، وأملي عليَّ الفضيلُ بن عياض: حدثنا منصور بن المُعتمر[1]، عن أبي صالح[2]، عن أبي هريرة، أن رَجُلاً قال: يا رسول الله، علِّمني عملاً أنالُ بِهِ ثواب المُجَاهِدِينَ في سَبيلِ الله، فقال: «**هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُصَلِّيَ فَلاَ تفتُر وتصوم فلا تُفْطِر؟**» فَقَالَ يا رَسُولَ الله: أَنَا أَضْعفُ مِنْ أَنْ أَستَطِيع ذَلِك، ثُمَّ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**فَوَ الَّذِي نَفْسِي بيدِهِ لَوْ طُوِّقْتَ ذَلِكَ مَا بَلَغْتَ فَضْل المُجَاهِدِينَ في سَبيلِ الله، أَمَا عَلِمتَ أَنَّ فَرَس المُجَاهِدِ ليستن في طِوله فيكتبُ له بذلكَ حَسَنَاتٌ**»[3].

---

(١) منصور بن المُعتمر بن عبد الله السلمي، أبو عتاب الكوفي، ثقةٌ ثبت. مات سنة ١٣٢هـ ابن حجر، تقريب ٩٧٣.

(٢) ذكوان، أبو صالح السمان الزيات المدني، ثقةٌ ثبت، من الثالثة. مات سنة ١٠١هـ ابن حجر، التقريب ٣١٣.

(٣) أخرجه البخاري، في الصحيح رقم ٢٧٨٥، وأحمد، في المسند ٢/ ٣٤٤. وأستن الفرس: قَمَص. والطِّول: الحبل الطويل يُشد في يد الفرس. ينظر: ابن الأثير، النهاية ٣/ ١٤٥، والفيروز آبادي، القاموس ٢/ ٦٣٣.

(٣٧)
بـــابٌ
مَن أطاعَ العُلماءَ والأُمراء في تحريم ما أحلّ اللهُ أو تحليلِ ما حرّمه فقد اتخَذَهم أربــاباً من دُون الله

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ مَن أطاعَ العلماءَ والأمراء في تحريمِ ما أحل اللهُ أو تحليل ما حرّمه(١) فقد اتـخذَ هم أربابَاً من دُون الله.

ت: فيـه إشـارةٌ إلى قولـه تعـالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال ابنُ عباس: يُوشكُ أَنْ تَنزِلَ عليكم حِجارةٌ مِنَ السَّماء؛ أقولُ: قالَ رسولُ الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكرٍ وعُمرُ(٢).

ت: قال الإمامُ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع العلماءُ على أنَّ من استبانت له سُنةُ رسول الله ﷺ لم يكن له أنْ يدعَها لقول أحد(٣).

---

(١) (ط): في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله.

(٢) أخرجه أحمد، في المسند ١/ ٣٣٧ بلفظ (أُراهم سيهلِكون) وله شاهدٌ من طريق ابن أبي مُليكة، عن عُروة: أخرجه الطبراني، في الأوسط رقم ٢١، بإسناد حسن، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٣٤. وأصلُه في صحيح مسلم، رقم ١٢٤٤.

(٣) ينظر: البيهقي، مناقب الشافعي ١/ ٤٧١.

وقال الإمامُ مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما منا إلا رادٌّ ومردودٌ عليه إلا صاحبُ هذا القبر[١] ﷺ / . [٧١/أ]

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: ليس أحدٌ إلاّ يؤخذ من قوله ويُدَع، غيرَ النبي ﷺ[٢].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال الإمامُ أحمد بن حنبل: عجبتُ لقوم عَرَفوا الإسنَادَ وَصِحَّتَهُ يَذْهَبُونَ إلى رأيِ سفيانَ؛ واللهُ تعالى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] **أتدري ما الفتنةُ؟ الفتنةُ الشركُ، لعلّه إذا ردَّ بعضَ قولِهِ أن يقعَ في قلبه شيءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيهْلِكَ[٣].**

ت: قال الإمامُ أحمد: نظرتُ في المُصحف، فوجدتُ طاعةَ الرسول في ثلاثة[٤] وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[٥].

---

(١) ينظر: ابن عبد البر، الجامع ٢/ ٣٢، ونقل أبو داود، في المسائل ٢٧٦ عن الإمام أحمد نحوَه.

(٢) رواه أحمد، كما في فتح المجيد ٢/ ٦٤٦، وأخرج أبو نُعيم، في الحلية ٣/ ٣٠٠، والخطيب في الفقيه ١/ ١٧٦ نحوه عن مجاهد.

(٣) روايه: صالح، وعبد الله، والفضل، وأبي طالب. ينظر: عبد الله بن أحمد، المسائل ٣/ ١٣٥٥، وابن حامد، تهذيب الأجوبة ١٩ وابن بطه، الإبانة ١/ ٢٦٠.

(٤) الأصل و (ص): ثلاث.

(٥) ينظر: المصادر السابقة.

وسُفيانُ، هو: الثوريُّ الإمام، الزاهدُ العابد الثقة الفقيه، وكان له أصحابٌ يأخذون عنه، ومذهبُه مشهور[١]. [٢]فإذا كان هذا في حق سُفيان، فكيف بمن لا يَشقُّ غبارَه[٢].

وقد عمّت البلوى بهذا المُنكر الذي أنكره الإمامُ أحمد، خصوصا فيمن ينتسب إلى العلم والإفتاء والتدريس؛ وزعموا أنه لا يأخذ بأدلة الكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهادُ قد انقطع. وقد أخطأوا في ذلك؛ وقد استدل الإمامُ أحمد ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بقوله ﷺ: **«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي على الحقِّ مَنْصُورَة لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلهُمْ ولا مَنْ خالفَهَمْ حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ وهمْ على ذلك»**[٣] على[٤] أنّ الاجتهادَ لا ينقطع[٥].

وحكى ابنُ عبد البر: الإجماعَ على أنّ المقلد لا يكون من أهل العلم[٦]. والأئمةُ لم يقصّروا في البيان، بل نَهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة؛ قال أبو حنيفة: إذا جاء الحديثُ عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء

---

(١) ينظر: في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٣٩٤.

(٢) ما بينهما ساقطٌ من (ط).

(٣) أخرجه بنحوه: البخاري، في الصحيح، رقم ٣٦٤١، من حديث معاوية، ومسلم، في الصحيح، رقم ١٧٠، من حديث ثوبان، وأحمد، في المسند ٢/ ٣٤٠، ٣٢١، ٣٧٩، من حديث أبي هريرة، ومن حديث قُرَّة ٣/ ٤٣٦، ٥/ ٣٤، ٣٥.

(٤) (ط): على. ساقطة.

(٥) ينظر: المرداوي، التحبير ٨/ ٤٠٥٩.

(٦) ابن عبد البر، الجامع ٢/ ١٤٣.

عن التابعين فنحن رجالٌ وهم رجال(١).

وقال: إذا قلتُ قولاً وكتابُ الله يخالفه، فاتركوا قولي لكتاب الله. قيل: إذا كان قولُ رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر/ رسول الله ﷺ. [٧١/ب]

قيل: إذا كان قولُ الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة(٢).

وقد تقدم(٣) قولُ الإمامين مالك والشافعي. فعلى مَن اشتغل بمصنفات أهل مذهبه الذي اشتغل بمذهبهم(٤): أن ينظر في أقوال المُخالفين وما استدلوا به، فيكون متبعا للدليل مع من كان معه. وبالله التوفيق.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عَدي بن حاتِم: أنه سمع النبيَّ ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] **الآية. فقلتُ: إنا لَسْنا نَعْبُدُهُمْ، قال: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ الله فَتُحِلُّونَهُ؟» فقلت: بَلَى، قال: «فتلكَ عِبَادتُهُمْ» رواه أحمد، والترمذيُّ وحسَّنه(٥).**

---

(١) البيهقي، في المدخل، رقم ٤٠.

(٢) ينظر: الدبوسي، تقويم الأدلة ٢٥٦، والفُلَّاني، إيقاظ همم أولي الأبصار ٥٠.

(٣) (ص) (ط): وتقدم.

(٤) (ط): الذي اشتغل بمذهبهم. ساقط.

(٥) أحمد، في المسند ٤/ ٢٥٧، ٣٧٨، والترمذي، في الجامع، رقم ٣٠٩٤، واللفظُ له. =

ت: قولُه: (عن عَدي بن حَاتِم) أي: الطائيِ المشهورِ بالسخاء والكرم، قدم عديٌّ على رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة، فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة[(١)].

وقد أشار المصنِّفُ بترجمة هذا[(٢)] الباب: إلى هذا[(٢)] الحديث، وما في معناه. وفي هذا الحديث[(٣)]: دليلٌ على أنَّ طاعة الأحبار والرهبانِ في معصية الله، عبادةٌ لهم من دون الله[(٤)].

قال شيخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسائل: فتغيّرت الأحوالُ، وآلت إلى هذه الغاية. فصار عند الأكثر: عبادةُ الرهبان هي أفضل الأعمال ويسمّونها ولاية[(٥)]، وعبادةُ الأحبار هي العلم والفقه.

ثم تغيّرت الحال: إلى أنّ عُبد مَن ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني مَن هو من الجاهلين[(٦)]؛ وعن زياد بن حُدير[(٧)]، قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدمُ الإسلام؟ قلتُ: لا. قال: يهدمه زلَّةُ العالم، وجدالُ

= وأخرجه ابن أبي حاتم، في التفسير ٦/ ١٧٨٤، والطبراني، في الكبير ١٧/ ٩٢، والبيهقي، في السنن الكبرى ١٠/ ١١٦

(١) ينظر ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٧/ ١٢٢.

(٢) (ط): هذا. ساقطة.

(٣) (ط): وفيه.

(٤) ينظر: المسألة الثالثة.

(٥) (ط): الولاية.

(٦) المسألة الخامسة.

(٧) (ط): خير. تحريف.

المنافق بالكتاب، وحُكم الأئمة المُضلِّين. رواه الدارمي[١].

جعلنا الله وإياكم من الذين يَهدون بالحق وبه يعدِلون؛ فكم ضلَّ من ضل، وزلّ من زلَّ.



(١) الدارمي، في السنن، رقم ٢٢٠. وزياد بن حُدير، هو: الأسدي، ثقةٌ عابد، من الثانية (مات قبل المائة). ابن حجر، التقريب ٣٤٤.

(٣٨)

بــــابُ

قولِ الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦٢]

ت: قال العمادُ ابن كثير: والآيةُ ذامّةٌ لمن عَدل عن الكتاب والسنة وتحاكم/ إلى ما سواهما من الباطل، وهو المُراد بالطاغوت ها هنا[(١)]. [٧٢/أ]

وكلُّ مَن عبد شيئا دون الله، بأي نوع كان مِن[(٢)] أنواع العبادة ـ كالدعاء والاستغاثة ـ فإنّما عبد الطاغوت. فإنْ كان المعبودُ صالحاً: كانت عبادةُ العابد له واقعةً على الشيطان الذي أمره بعبادته وزينها له؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ

---

(١) ابن كثير، التفسير ٢/ ٣٠٥.

(٢) (ط): نوع كان من. ساقط.

شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٨-٢٩] والآيةِ بعدها، وكقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١][(١)].

وإنْ كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه ـ كالطواغيت ـ أو كان شجراً أو حجراً أو قبراً ـ كاللَّات والعُزّى ومَناة ـ وغيرَ ذلك، مما كان يتخذه المشركون لهم أصناماً على صُور الصالحين والملائكة أو غيرِ ذلك: فهي من الطاغوت الذي أمر اللهُ تعالى عبادَه أن يكفروا بعبادته ويتبرأوا منه، ومن عبادة كلِّ معبود سوى الله كائناً مَن كان؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ الآية [الزخرف: ٢٦-٢٧].

فلم يستثن مِن كلِّ معبود إلاّ الذي فطره سبحانه، وهذا معنى لا إله إلا الله، [(٢)]وهو: توحيدُ الإلهية، الذي بعث اللهُ به رسلَه وأنزل به كُتبه[(٢)]؛ كما تقدَّم، وكما[(٣)] في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

---

(١) (ط): تقديم وتأخير.

(٢) ما بينهما ساقطٌ من (ط).

(٣) (ط): وكما. ساقطه.

وكذلك مَن خالف حُكمَ الله ورسوله: بأنْ حكمَ بين الناس بغير ما أنزل الله، أو مع الجهل بذلك، أو طلب ذلك أن يُتَّبع عليه(١). فهو طاغوتٌ بلا ريب؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ لأن الكفرَ بالطاغوت ركنُ التوحيد؛ كما في آية البقرة(٢). فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن قد نفى/ ما نفته لا إله إلا الله. [٧٢/ ب]

قولُه: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾ أي: عن(٣) الهُدى. ففي هذه الآية أربعةُ أمور، الأول: أنَّه مِن إرادة الشيطان. الثاني: أنه ضلال. الثالث: تأكيدُه بالمصدر. الرابع: وصفُه بالبعُد عن سبيل الحق والهدى.

فسُبحان الله، ما أعظمَ هذا القرآن وما أنفعه لمن تدبّره، وما أبلغه وما أدلَّه على أنه كلامُ رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلَّغه عبدُه(٤) الصادقُ الأمين صلوات الله وسلامه عليهما(٥).

قولُه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ

---

(١) (ط) زيادة: أو أطاعه فيما لا يعلم أنه حق، إذا كان المطيع له لا يبالي أكان أمره حقا أم لا.

(٢) الآية ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

(٣) (ط): بعيدا عن.

(٤) عبده. ليست في (ط).

(٥) (ط): عليه.

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾، فإنّ المنافق يكره الحق وأهلَه، ويهوى ما يخالفَه من الباطل، وهذه حالُ أهل النفاق.

قال العلاّمة ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا دليلٌ على أنّ من دُعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى، أنه من المنافقين(١). قلتُ: فما أكثرَهم لا كثَّرهم الله.

قال: و ﴿يَصُدُّونَ﴾ لازمٌ، وهو بمعنى يُعرضون؛ لأن مصدره صُدودا. فما أكثرَ من اتصف بهذا الوصف خصوصا من يدّعي العلم، فإنهم صدّوا عما توجبه الأدلةُ من كتاب الله وسنة رسوله إلى أقوال من يُخطئ كثيراً ـ ممن ينتسب إلى مذهب من مذاهب الأربعة ـ في تقليدهم مَن لا يجوز تقليدُه فيما يخالف الدليل، فصار المُتبع للرسول ﷺ من أولئك غريباً، وقد عمّت البلوى بهذا.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١].

ش: قال أبو العالية في الآية: يعني: لا تعصُوا فيها(٢)؛ لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله، فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله(٣).

---

(١) ابن القيم، الصواعق المرسلة (المختصر) ٤/ ١٤٤٩، وطريق الهجرتين ٢/ ٨٨٨.
(٢) (ط): في الأرض.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير رقم ١٢١، ١٦١٧٧.

ومناسبةُ الآية للترجمة: أنَّ التحاكم إلى غير الله ورسوله(١) من أعمال المنافقين، وهو من الفساد في الأرض. وفي الآية: التنبيهُ على عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء، وإنْ زخرفُوها بالدعوى.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

ت: قال أبو بكر بن عيَّاش(٢) في الآية: إنّ الله بعث محمداً ﷺ/ [٧٣/أ] إلى أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمد ﷺ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمدٌ ﷺ فهو من المُفسدين في الأرض(٣).

قال ابنُ القيِّم: قال أكثرُ المفسّرين: لا تُفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله، بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسلِ وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله؛ فإنّ عبادة غير الله والدعوةَ إلى غيره والشركَ به أعظمُ(٤) فسادٍ في الأرض، بل فسادُ الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك.

والدعوةُ إلى غير الله، وإقامةُ معبود غيره ومطاعٍ متَّبع(٥) غيرِ رسوله(٦)

---

(١) ورسوله. ليست في (ط).

(٢) أبو بكر بن عيَّاش بن سالم الأسدي، الكوفي المُقرئ، ثقةٌ عابد، من السابعة. مات سنة ١٩٤هـ. ابن حجر، التقريب ١١١٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، في التفسير رقم: ٨٦٠١.

(٤) (ص) (ط): هو أعظم.

(٥) (ط): ومتبع.

(٦) (ط): رسول الله.

ﷺ: هو أعظمُ الفساد في الأرض. ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أنْ[١] يكـون اللهُ وحده هو المعبودَ المُطاع، والدعوةُ له لا لغيره، والطاعةُ والاتباع لرسوله ليس إلا. وغيرُه إنـما تجـب طاعتـه إذا أمـر بطاعـة الرسـول ﷺ، فـإذا أمـر بمعصيته وخلافِ شريعته فلا سمع له[٢] ولا طاعة.

ومن تدبّر أحوال العالم: وجد كـلَّ صـلاح في الأرض فسببُه توحيـدُ الله وعبادتهُ وطاعةُ رسوله، وكلَّ فتنة في العالم وبلاء وشر وقحط وتسليط عدّوٍ وغيرِ ذلك فسببُه مخالفةُ رسوله والدعوةُ إلى غير الله ورسوله. انتهى[٣].

وبما ذكرنا[٤]: يتبيَّن مطابقةُ الآية للترجَمة.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

ت: قال ابنُ كثير: يُنكر على مَن خَرج على[٥] حكم الله المُشتملِ على كل خير والنهيِ عن كل شر، وعدَل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجالُ بلا مُستند من شريعة الله[٦]؛ كما يحكم

---

(١) (ط): بأن.

(٢) (ط): له. ساقطة.

(٣) ابن القيِّم، بدائع الفوائد ٣/ ٨٥٦.

(٤) (ط): ذكرت.

(٥) (ص) (ط) والمصدر: عن.

(٦) (ط) والمصدر: زيادة: كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات.

به التتارُ[١] من السياسات المأخوذة عن جنكيزخان[٢]، الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام. اقتبسه[٣] من شرائع شتّى، وفيها كثيرٌ من الأحكام أخذها عن مجرّد نظره، وصار في بنيه شرعاً يقدِّمونه على الحُكم بالكتاب والسنة. ومَن فعل ذلك فهو كافرٌ يجب قتاله حتى يرجع إلى حُكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير[٤].

قولُه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ/ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ استفهامُ إنكار، أي: [٧٣/ ب] لا حكم أحسنَ من حكمه. وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس[٥] في الطرف الآخر مُشارك. أي: ومَن أعدل من الله حكما لمن عَقل عن الله شرعَه، وآمن وأيقن أنه تعالى أحكمُ الحاكمين، وأرحمُ بعباده من الوالدة بولدها. العليمُ بمصالح عباده القادر على كل شيء، الحكيمُ في

---

(١) التتار: اسمٌ أطلقه الصينيون على المغول، وهم قبائلُ كانوا ينزلون على تخوم الصين، ويعتمدون في عيشهم على القنص والطرد، ثم اجتاحوا العالم الإسلامي في أوائل القرن السابع الهجري بقيادة جنكيز خان. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ١٧/ ٧٩، وبروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ٢٦١.

(٢) (ط): جنكسخان. وجنكيز خان: لقب. واسمُه: تِموجين بن ييسوكاي، من قبيلة التايجِيوت إحدى قبائل التتار، تولّى السلطة عام ٥٩٩هـ، وهو سُلطان التتار الأعظم ووالد ملوكهم، والذي وضع لهم قانونهم (الياساق). مات سنة ٦٢٤هـ. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ١٧/ ١٥٩، وبروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ٢٦١.

(٣) علق في الأصل (ص) لعله: اقتبسها. وهو المثبت في المصدر.

(٤) ابن كثير، التفسير ٥/ ٢٥١.

(٥) (ط): ليس له.

أقواله وأفعاله وشرعِهِ وقَدَره[١].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عبد الله بن عمرو، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمَ حَتىَّ يَكُونَ هَواهُ تَبَعاً لماَ جِئْتُ بِه».[٢] قال النوويُّ: حديثٌ صحيح، روِّيناه في كتاب الحُجَّة، بإسنادٍ صحيح[٣].

ش: هذا الحديثُ: رواه الشيخُ أبو الفتح نصْر بن إبراهيم المَقدسي الشافعي[٤]، في كتاب الحُجة على تارك المحجّة[٥] ـ بإسنادٍ صحيح؛ كما قال المصنفُ عن النووي ـ ورواه الطبراني، وأبو بكر ابن عاصم، والحافظ أبو نُعيم في الأربعين التي شرط لها أن تكون في صحاح الأخبار[٦].

وشاهدهُ في القرآن؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ

---

(١) ينظر: ابن كثير، التفسير ٥/ ٢٥٢.

(٢) من هنا ساقطٌ من الأصل.

(٣) النووي في الأربعين، الحديث رقم: ٤١.

(٤) نصْر بن إبراهيم بن نصْر المَقدسي الشافعي، أبو الفتح النابُلسي، المعروف بابن أبي حافظ. فقيهٌ شافعي، محدّث، له كتابُ الحجه، والكافي، وغيرهما. مات سنة ٤٩٠هـ الإسنوي، طبقات الشافعية ٢/ ٣٨٩.

(٥) المقدسي، في كتاب الحجه رقم ٢٥.

(٦) الطبراني، وأبو نُعيم، كما في جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٦٨، وابنُ أبي عاصم، في السنة رقم ١٥، وصححه ابن القيم، في روضة المحبين ٦٣٨، وضعَّف ابنُ رجب إسنادَه. ينظر: جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٦٩.

تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وقولُه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقولُه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠] ونحوُ هذه الآيات.

قولُه: «حَتىَّ يَكونَ هَوَاهُ تَبَعا لما جئتُ به»[١] الهوى: بالقصر. أي: ما يهواه وتحبه نفسه وتميلُ إليه[٢].

فإن كان الذي يحُبه وتميل إليه نفُسه ويعمل به تابعاً لما جاء به الرسولُ ﷺ، لا يخرج عنه إلى ما يخُالفه: فهذه صفةُ أهل الإيمان المُطلق الذي يُوجب لصاحبه الجنَّةَ والنجاة من النار. وإنْ كان بخلاف ذلك، أو في بعض أحواله أو أكثرِها: انتفى عنه من الإيمان كمالُه الواجب، فيطلق عليه مؤمنٌ بقيد؛ لنقص إيمانه بالمعصية، كما في حديث أبي هريرة: «لاَ يَزْني الزَّاني حِينَ يَزْنِي وَهُوْ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُو مُؤْمِنٌ» فيكون مُسلماً ومعهُ مطلقُ الإيمان الذي لا يصّح إسلامُه إلاَّ به، وهو[٣] التوحيدُ/ [٧٤/أ] الذي لا يشُوبه شركٌ ولا كفر.

وهذا هو الذي يذهب إليه أهلُ السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمُعتزلة، فإنَّ الخوارج يكفِّرون بالذنوب، والمُعتزلة لا يُطلقون عليه الإيمان، ويقولون بتخليده في النار. وكلا الطائفتين ابتدعَ في الدين وترك ما دلّ عليه الكتابُ والسنة؛ وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا

(١) إلى هنا انتهى السقط من الأصل.

(٢) (ط): وتميل إليه. ساقط.

(٣) (ط): وهذا.

دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فقيّد مغفرةَ ما دون الشرك بالمشيئة، وقد[١] تواترت الأحاديثُ بما يحقق ما ذهب إليه أهلُ السنة؛ فقد أخرج البخاريُّ، وغيرُه، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: «يَخْرُجُ مِنَ النَّار، مَن قالَ: لا إله إلاّ اللهُ. وفي قلبه وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْر، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّار، مَنْ قالَ: لا إلهَ إلاّ الله. وفي قلبه وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ، مَن قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ. وفي قلبه وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»[٢].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال الشَّعبي: كان بين رجلٍ من المنافقين ورجلٍ من اليهود خُصومَةٌ، فقال اليهوديُّ: نَتحَاكمُ إلى محمدٍ؛ عَرَفَ أنَّهُ لاَ يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ، وقال المنافق: نَتحَاكَمُ إلى اليهود؛ لعلمه أنَّهم يأخذون الرِّشْوَةَ. فاتَّفَقَا على أن يأْتِيَا كاهِناً في جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكمَا إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾الآية[٣]. وقيل: نَزَلَتْ في رجلين اخْتصمَا، فقال أحدهُما. نَتَرَافَعُ إلى النبي ﷺ، وقال الآخَرُ: إلى كَعْب بن الأشْرَفِ. ثم ترافعا إلى عمر، فَذَكَرَ له أحدُهما القِصَّة، فقال للَّذي لم يَرْضَ برسول الله ﷺ: أكَذَلكَ؟. قال: نعم. فضربه بالسيف فَقَتَلَهُ[٤].

---

(١) (ط): قد. ساقطه.

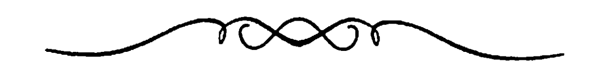
(٢) البخاري، في الصحيح رقم: ٤٤٧٦، ٦٥٦٥، ٧٤١٠، ٧٥١٦، وأخرجه مسلم، في الصحيح رقم ١٩٣، وأحمد، في المسند ٣/ ١١٦، ١٧٣.

(٣) أخرجه ابن جرير، في التفسير ٧/ ١٨٩، وابن المنذر، في التفسير ٧٦٩، بإسناد صحيح، كما قال ابنُ حجر في الفتح ٥/ ٣٧.

(٤) أخرجه الثعلبي، كما في الدر المنثور ٤/ ٥١٨، عن ابن عباس.

ت:[١] قولُه: (قال الشَّعْبي) هو: عامر بن شراحيل الكُوفي، عالم ذو[٢] فنون، وتقدّم[١].

وفي قصة عمر، وقتلِه المنافق الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف[٣]: دليلٌ على قتل من أظهر الكفر والنفاق. وكان كعبُ بن الأشرف هذا شديدَ العداوة للنبي ﷺ والأذى له، والإظهارَ لعداوته. فانتقض به عهدُه، وحلّ به قتلُه، وقصةُ قتله مذكورةٌ في كتب الأحاديث والسير وغيرها[٤].



(١) ما بينهما ساقط من (ط).

(٢) في هامش (ص): الذي في الأصل: ذا وصوابه. ذو.

(٣) ينظر: في ترجمته: ابن كثير، البداية والنهاية ٥/ ٣٢٦.

(٤) قُتل في السنة الثالثة من الهجرة. ينظر: الطبري، التاريخ ٢/ ٤٨٧.



(٣٩)

بـــابُ

مَنْ جَحَدَ شيئاً من الأسْمَاءِ والصفات

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:/ بابُ مَن جَحَد شيئاً من الأسماء [٧٤/ب] والصفات. وقولِ الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الآية [الرعد: ٣٠].

ت: سببُ نزول الآية معلوم، وهو: أنَّ قريشاً جحدوا اسمَ الرحمن عناداً؛ قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] فالرحمنُ: اسمُه وصفته. فالرحمةُ[(١)]: وصفهُ القائم به. فإذا كان المشركون جَحدوا اسماً من أسمائه الذي دلَّ على كماله تعالى، فجُحودُ[(٢)] معناه كجحودِ لفظه، فإنَّ الجهمية يزعُمون أنها لا تدل على صفةٍ قائمة بالله تعالى، وتبِعهم على ذلك طوائفُ من المعتزلة والأشاعرة؛ فلهذا كفّرهم كثيرٌ من أهل السنة. قال العلاّمةُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

ولقد تقلَّد كفرَهم خمسون في ... عشرٍ من العلماء في البلدان
واللاَّلكائيُّ الإِمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني[(٣)]

فإنَّ هؤلاء الجهمية ــ ومَن وافقهم من أهل الكلام على التعطيل ــ

---

(١) لأن أسماء الله تعالى أعلامٌ وأوصاف، ودلالتها على الذات والصفة التي اشتُقت منها بالمطابقة ودلالتها على الصفة وحدها بالتضمن ودلالتها على غيرها من الصفات بالالتزام.

(٢) (ط): فجحدوا. تحريف.

(٣) ابن القيم، الكافية الشافية، البيتان ٦٣٣، ٦٣٤.

جَحدوا ما وصف اللهُ به نفسه، ووصفه به رسولُه[١] ﷺ؛ من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيلَ على أصلٍ فاسد أصّلوه من عند أنفسهم، ولم يفهموا من صفات الله إلاّ ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين. فشبَّهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه، ثم عطّلوه من صفات كماله، وشبَّهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات. فشبّهوا أولا، وعطلوا ثانياً، وشبّهوا ثالثاً بكل ناقص أو معدوم، فتركوا ما دلّ عليه صريحُ الكتاب والسنة، وما عليه سلفُ الأمة: من إثبات ما وصف اللهُ به نفسه ووصفه به رسولُه على ما يليق بجلاله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وقد صنّف أئمةُ السنة ـ لما حدثت بدعةُ الجهمية ـ مصنفاتٌ كثيرة في الرد عليهم: كالإمام أحمد، وابنه عبد الله، والخلّال، وأبي بكر الأثرم، وعثمان بن سعيد الدارمي، وإمامِ الأئمة محمَّد بن خُزيمة، وأبي عثمان الصابوني[٢]، وخلقٍ/ من أهل[٣] السنة لا يمكن حصرهم. وكذلك مَن [٧٥/أ] بعدهم: كأبي محمد عبد الله بن محمد[٤] موفّق الدين، وشيخِ الإسلام ابن

(١) (ط): رسول الله.

(٢) وأبي عثمان الصابوني. ليست في (ص).

(٣) (ط): أئمه.

(٤) عبد الله بن محمد. ليست في (ط). والصواب: عبد الله بن أحمد.

تيمية، وابن القيّم[١]، ومَن في طبقتهم: كالعماد ابن كثير[٢]، وابن رجب، والذهبي، وغيرِهم من أهل السنة والجماعة[٣]. فلله الحمدُ على ظهور الحق ونشره، والدعوةِ إليه والمحافظة عليه.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في صحيح البخاري، قال عليٌّ: حَدِّثوا الناسَ بما يعرفُون، أَتُريدُون أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُهُ[٤].

ت: قولُه: (قال عليٌّ: حدِّثوا الناسَ بما يعرفُون، أتُريدونَ أن يُكَذَّب اللهُ ورسولُه).

وهذا، ـ والله أعلم ـ، قاله حين كثُر القُصّاص في خلافته، وصاروا يذكرون أحاديثَ ليست من الأحاديث المعروفة؛ ولهذا كثُر الوضع بهذا السبب.

وغيرُ المعروف: يحُتمل أن يكون فيه ما يصح وفيه ما لا يصح، فإذا سمعه من لم يعرفه أنكره وربما كان حقا. فلا ينبغي التحديثُ إلا بما صح وثبت واشتهر عند المُحدثين والفقهاء، وما ليس كذلك فلا ينبغي أن يحدَّث به؛ لاحتمال أن يكون غير صحيح، وقد كان أميرُ المؤمنين معاويةُ بن أبي سفيان ينهى عن القَصص، لما فيه من التساهل في النقل، ويقول: لا يقصُّ إلا أميرٌ أو مأمور[٥].

---

(١) (ط): القيم الجوزية.

(٢) (ط)زيادة: والحافظ ابن الهادي.

(٣) (ط): زيادة: وكتبهم مشهورة موجودة بين أهل السنة والجماعة. اهـ. وعامةُ هذه الكتب مطبوعة متداولة.

(٤) البخاري، في الصحيح رقم ١٢٧.

(٥) أخرجه من حديث عوف بن مالك مرفوعا: أحمد، في المسند ٦/ ٢٢، ٢٣، ٢٧، =

قـال المـصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وروى عبـد الـرزَّاق، عـن مَعْمَـر، عـن ابـنِ طاوُس، عن أبيه، عن ابن عباس: أَنَهُ رأى رَجُلاً انْتَفَضَ لمَّـا سَـمِعَ حـديثاً عـن النبـي ﷺ في الـصِّفاَتِ استنكاراً لـذلك، فقـال: مَـا فَـرَقُ هَـؤُلاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَةً عِنْدَ محُكْمِهِ ويهلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟ انتهى[١].

ش: قولُه: (وروى عبـد الـرزاق) هـو: ابـنُ همّـام الـصنعاني[٢]، محدِّثُ اليمن صاحبُ التصانيف، أكثر الرواية عن مَعْمَر بن راشد صـاحب الزهـري، وهو شيخُ عبد الرزاق يروي عنه كثيراً[٣].

و(مَعْمَر): بفتح الميمين وسكون العين، أبـو عُـروة ابـن أبي[٤] عمـرو راشد[٥] الأزدي الحراني[٦]، ثم اليماني، مـن أصـحاب محمـد بـن شـهاب الزهري، ويروي عنه كثيراً[٧].

قولُه: (عن ابن طاوُس) هو: عبد الله بن طاوُس اليماني، قال مَعْمر: كـان

= ٢٩، ومن حديث عبد الله بن عمرو: ابن ماجه، في الـسنن رقـم ٣٧٥٣، وأحمد، في المسند ٢/ ١٧٨، ١٨٣.

(١) عبد الرزاق، في التفسير ٢/ ٢٣٩.

(٢) (ط) زيادة: المحدث.

(٣) ينظر: في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٦٠٧.

(٤) (ط): أبي. ساقطه.

(٥) الأصل (ص): بن راشد. تحريف.

(٦) هكذا في جمع النسخ، والصواب: الحُدّاني. ينظر: المِزّي، التهذيب ٢٨/ ٣٠٣.

(٧) ينظر: في ترجمته: المزي، المصدر السابق.

من أعلم الناس بالعربية. وقال ابنُ عُيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة[١].

قولُه: (عن أبيه) هو طاوُس بن كَيسان الجَنَدي ـ بفتح الجيم والنون[٢] ـ، قيل: اسمهُ ذكوان. قاله ابنُ الجوزي[٣].

قلتُ: وهو من / أئمة التفسير، و[٤] أوعية العلم؛ قال في تهذيب [٧٥/ب] الكَمال: عن الوليد الموقَّري، عن الزهري، قال: قدمتُ على عبد الملك بن مروان، فقال: من أين قدمتَ يا زُهري. قال: قلتُ: من مكة، قال: من خلّفت يسودُها وأهلَها ؟ قلتُ: عطاء بن أبي رباح، قال: فمن العَرَب أم من المَوالي ؟ قلتُ: من المَوالي. قال: فبم سادهم؟ قال: قلتُ: بالديانة والرواية. قال: إنّ أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا. قال: فمن يسود أهلَ اليمن؟ قلت: طاوُس بن كَيسان. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلتُ: من الموالي. قال: فبم سادهم؟ قلتُ: بما ساد به عطاء. قال: إنه لينبغي ذلك. قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلتُ: يزيد بن أبي حبيب. قال: فمن العرب أم من المَوالي. قال: قلت: من المَوالي. قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلتُ: مكحول. قال: فمن العرب أم من الموالي ؟ قال: قلتُ: من المَوالي، عبد نُوبي أعتقته امرأةٌ من هُذيل. قال: فمن يسود أهلَ الجزيرة ؟ قلت: ميمون بن مِهران. قال: فمن العرب أم من المَوالي ؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهلَ خُراسان؟ قال: قلت: الضحاك بن مُزاحم.

---

(١) ينظر: في ترجمته: ابن حجر، التقريب ٥١٦.

(٢) (ط) زيادة: الإمام العالم.

(٣) ينظر: في ترجمة طاوُس: ابن حجر، التقريب ٤٦٢.

(٤) (ط): ومن.

قال: فمن العرب أم من الـمَوالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال: قلت: الحسن البصري. قال: فمن العرب أم من الـمَوالي. قال: قلتُ: من الموالي. قال: ويلك، ومن يَسود أهلَ الكوفة؟ قال: قلتُ: إبراهيم النخعي. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلتُ: من العرب. قال: ويلك يا زُهري فرّجت عني، والله لتسودن الـمَوالي على العرب حتى يخُطب لها على المنابر والعرب تحتها. قال: قلتُ: يا أمير المؤمنين، إنما هو دينٌ من حفظه ساد ومن ضيّعه سقط[١].

قولُه: (مَا فَرقُ هؤلاءِ) يستفهم من أصحابه، يُشير إلى أُناس ممن يحضُر[٢] مجلسه. فإذا سمعوا شيئاً من مُحكم القرآن حصل معهم[٣] فَرَقٌ. أي: خوف. فإذا سمعوا شيئاً من أحاديث الصفات انتفضوا، كالمُنكرين للمعنى.

ولا يتم الإيمانُ إلا بقبول اللفظ بمعناه الذي دلَّ عليه ظاهراً، فإن لم يقبل معناه و[٤] ردَّه أو شك فيه: لم يكن مؤمناً به، فيكون هلاكا/ . [٧٦/أ]

وقد ظهر من البدع في وقت[٥] ابن عباس بدعةُ القدرية؛ كما في

(١) المزي، تهذيب الكمال ٢٠/ ٨١، وفيه الموقَّري. قال ابن حجر، في التقريب ١٠٤١: متروك.

(٢) (ط): يحضرون.

(٣) (ط): منهم.

(٤) (ط): أو.

(٥) (ط): زمن.

صحيح مسلم[١]، وغيره. فقُتل من دُعاتهم غَيلان، قتله هشامُ بن عبد الملك لمّا أصرّ على قوله بنفي القَدَر[٢]. ثم بعد ذلك أظهر الجعدُ ابن دِرهم بدعةَ الجهمية، فقتله[٣] خالدُ بن عبد الله القَسْري يوم الأضحى، فضحى به[٤] بعد صلاة العيد[٥].

قال الذهبيُّ: حدثنا[٦] وكيع، عن إسرائيل، بحديث: إذَا جَلَسَ الرَّبُّ على الكُرْسِيّ. فاقشعر رجلٌ عند وكيع. فغضب وكيع، وقال: أدركنا الأعمش وسُفيان يُحدِّثون بهذه الأحاديث، ولا ينكرونها. أخرجه عبد الله، في الرد على الجهمية[٧].

والواقع من أهل البدع، وتحريفهم لمعنى الآيات: يبينّ معنى قول ابن عباس. وسببُ هذه البدع: جهلُ أهلها وقصورُهم في الفهم، وعدمُ أخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقّيها من أهلها العارفين لمعناها، الذين وفقهم الله تعالى: لمعرفة المراد، والتوفيق بين النصوص، والقطعِ بأنَّ بعضها لا يُخالف بعضا، ورد المتشابه إلى المُحكم. وهذه طريقةُ أهل السنة

---

(١) مسلم، في الصحيح رقم٨. وأخرجه عبد الله بن أحمد، في السنة رقم ٩٠١، والفريابي، في كتاب القدر رقم ٢٠٩-٢١٢.

(٢) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ١٣/ ١٥٥.

(٣) (ط): فقُتل، قتله.

(٤) (ط): فضحى به. ساقط.

(٥) أخرجه البخاري، في كتاب خلق أفعال العباد رقم ٣، وينظر في ترجمة الجعد: ابن كثير، البداية والنهاية ١٣/ ١٤٧.

(٦) هكذا في جميع النسخ. والصواب: حدّث.

(٧) عبد الله بن أحمد، الرد على الجهمية (كتاب السنة) رقم ٥٨٧.

والجماعة في كل زمان ومكان، فلله الحمدُ لا نُحصي ثناءً عليه.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رسولَ الله ﷺ يَذْكُرُ الرَّحمنَ أَنْكرُوا ذَلِكَ؛ فأنزلَ اللهُ فيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

ش: روى ابنُ جرير، عن ابن عباس، قال: كان النبيُّ ﷺ يدعو ساجداً «**يا رحمن يا رحيم**» فقال المشركون: هذا يزعُم أنه يدعو واحداً وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(1) [الإسراء: ١١٠].



(١) ابن جرير، التفسير ١٥/ ١٢٣.

(٤٠)

بــابُ

قولِ الله تعالى ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣] قال مجاهدٌ ما معناه: هو قولُ الرَّجُلِ: هذا مالي، ورِثْتُهُ عن آبائي. وقال عَوْنُ بن عبد الله: يقولون: لَولا فلانٌ لم يكنْ كذا.

ش: قولُه: (بابُ قولِ الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣] قال ابنُ جرير: فإنَّ أَهلَ التأويل اختلفوا في المعنيِّ بالنعمة. فذَكر: عن سُفيان، عن السُّدي ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ قال: محمد ﷺ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يعرفون أنَّ ما عدَّد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله، وأن الله هو المُنعم عليهم بذلك، ولكنهم يُنكرون ذلك فيزعُمون أنَّهم ورثوه عن آبائهم؛ وأخرج عن مجاهد / [٧٦/ ب] ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ قال: هي المساكن والأنعام وما يُرزقون منها، والسرابيلُ من الحديد والثياب. يَعرفُ هذا كفَّارُ قريش ثم ينكرونه، بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا فورّثونا إياه.

[١]وقال آخرون: ما ذكره المصنفُ[١]، عن[٢] عون بن عبد الله: يقولون: لَوْلاَ فلانٌ لمَ يَكُنْ كَذَا[٣].

وعون، هو[٤]: بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود الهُذلي، أبو عبد الله الكوفي، الزاهد. عن: أبيه، وعائشة، وابنِ عباس. وعنه: قتادةُ، وأبو الزبير، والزهري. وثَّقه أحمدُ، وابنُ مَعين. قال البخاريُّ: مات بعد العشرين ومائة[٥].

واختار ابنُ جرير: القولَ الأول[٦]. واختار غيرُه: أنَّ الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها، وهو الصواب[٧].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية: يَذمُّ سبحانَهُ مَنْ يُضيفُ إنعامَه إلى غَيْرِهِ، ويُشركُ بِهِ. قال بعضُ السَّلَفِ: هو كقَولهِمْ: كانت الريحُ طيّبةً، والملَّاحُ حاذِقاً، ونحوِ ذلك ممَّا هو جارٍ على ألسنةِ كثيرٍ. انتهى[٨].

---

(١) ما بينهما ساقطٌ من (ط).

(٢) (ط): قوله: وقال.

(٣) ابن جرير، التفسير ١٤/ ٣٢٥-٣٢٦.

(٤) (ط): هو. ساقطة.

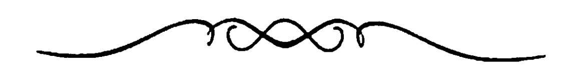
(٥) هكذا في جمع النسخ، والصواب: قبل العشرين ومائه. ينظر: المزي، تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٦٠ وابن حجر، التقريب ٧٥٨.

(٦) ابن جرير، التفسير ١٤/ ٣٢٦.

(٧) ينظر: ابن كثير، التفسير ٨/ ٣٣٩.

(٨) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٨/ ٣٣.

ت: وكلامُ شيخ الإسلام: يدلُّ على أنَّ حكم هذه الآية عامٌّ فيمن نَسب النعمَ إلى غير الله، وإسنادِ[١] أسبابها إلى غيره. وذلك من أنواع الشرك في الربوبية[٢] كما لا يخفى؛ كما هو مذكورٌ في كلام المفسرين المذكور هنا[٣]،[٤] قال شيخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه اجتماعُ الضِّدَّين في القلب، وتسميةُ هذا الكلام إنكاراً للنعمة.



---

(١) (ط): وأسند.

(٢) في الربوبية. ليست في (ط).

(٣) في (ط) تقديم وتأخير.

(٤) من هنا إلى آخر الباب ساقطٌ من (ط) وهما: المسألتان الرابعة والثالثة.



(٤١)
بـــابُ
قولِ الله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢٢].

ت: النِّد: المَثل والنظير. وجعْلُ النِّد لله: هو صرفُ أنواع العبادة أو شيءٍ منها لغير الله، كحال عبَدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه أو[(١)] رجوه أنه ينفعهم أو[(١)] يدفع عنهم، ويشفع لهم؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾.

قال العماد ابن كثير، في تفسيره: قال أبو العالية: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: عُدلاءَ شُركاء. وهكذا قال: الربيعُ بن أنس، وقتادة، والسدي، وأبو مالك، وإسماعيل بن أبي خالد.

وقال ابنُ عباس: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ أي: لا تُشركوا بالله شيئاً من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه ربُّكم لا يرزقكم غيرُه، وقد علِمتم أنَّ الذي يدعوكم الرسولُ إليه مِن توحيده هو الحقُّ الذي لا شكَّ فيه/ . وقال مجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ [٧٧/أ]

(١) (ط): و.

﴿تَعۡلَمُونَ ۝٢٢﴾ قال: تعلمون أنه إلهٌ واحد في التوراة والإنجيل[١].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن ابن عباس، في الآية: الأَنْدَادُ: هو الشِّرْكُ. أَخْفى من دَبِيبِ النَّمْلِ على صَفاةٍ سوداءَ في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وهو أن تقولَ: والله وحَياتِكِ يا فلانةُ[٢]، وحَياتي. وتقُولُ: لَوْلا كُلَيْبَةُ هذا لأَتانا اللُّصُوصُ، ولولا البَطُّ في الدَّارِ لأتى اللُّصُوصُ. وقولُ الرجل لصاحبه: ما شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. وقولُ الرجلِ: لولا اللهُ وفلانٌ. لا تجْعَلْ فِيهاَ فُلاَناً؛ هذا كلُّه بِهِ شِرْك. رواه ابنُ أبي حاتم[٣].

ش: وهذا من ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: تنبيهٌ بالأدنى من الشرك على الأعلى.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» رواه الترمذيُّ وحسنه، وصححه الحاكم[٤].

ش: يحُتمل أنْ يكون شكّاً من الراوي، ويُحتمل أن يكون[٥] أو: بمعنى

(١) ابن كثير، التفسير ١/ ١١٠. والآثارُ: أخرجها ابن جرير، في التفسير ١/ ٣٩١- ٣٩٣، وابنُ أبي حاتم، في التفسير، الأرقام ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) (ط): فلان.

(٣) ابن أبي حاتم، في التفسير رقم ٢٣٠ بإسناد جيد، كما في تيسير العزيز الحميد ٥٨٧.

(٤) الترمذي، في الجامع رقم ١٥٣٥، والحاكم، في المستدرك ١/ ١٨، ٤/ ٢٩٧ وصححه ووافقه الذهبي. عن ابن عمر. وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٣٤، ٤٧، ٦٧، ٨٧، ١٢٥. وأخرجه بمعناه: أحمد، في المسند ١/ ٤٧ عن عمر.

(٥) (ط): تكون.

الواو. فيكون قد كفر وأشرك، ويكون من باب: كفرٌ دون كفر.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال ابنُ مسعود: لأنْ أَحلِفَ بالله كاذِباً أَحبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَحلِفَ بغَيْرِهِ صَادِقاً[1].

ت: ومن المعلوم أنَّ الحلفَ بالله كاذباً من الكبائر، لكن الشرك أكبرُ من الكبائر وإنْ كان أصغر، كما تقدم.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن حُذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «لاَ تَقولوا: ما شاءَ اللهُ وشاء فُلانٌ، ولكنْ قُولُوا: مَا شاَءَ اللهُ ثُمَّ شاَءَ فلان» رواه أبو داود بسند صحيح[2].

ت: وذلك لأن العطفَ بالواو يقتضي المساواة؛ لأنها ــ في وضعها ــ لغة[3]: لمطلق الجمع. بخلاف الفاء، وثم.

وتسويةُ المخلوق بالخالق، بكل نوعٍ من العبادة: شركٌ. وهذا ونحوُه، من الشرك الأصغر[4]. وقد يكون أكبر، كما قاله العلامةُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق، في المصنف ٨/ ٤٦٩، وابن أبي شيبة، في المصنف ٧/ ٥٤٩، وصححه المنذريُّ، في الترغيب والترهيب ٣/ ٦٠٧.

(٢) أبو داود، في السنن رقم ٤٩٨٠، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨، وصححه النوويُّ، في الأذكار ٣٠٨.

(٣) (ط): لغة. ساقطه.

(٤) من هنا. إلى قوله: رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ليس في (ط). والنقل عن ابن القيم، في مدارج السالكين ١/ ٣٤٤.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن إبراهيم النَّخَعي: أنه يُكره أن يقول الرجلُ: أعوذُ بالله وبكَ. ويجَوز أنْ يَقولَ: بالله ثُمَّ بكَ. قال: ويقول: لَوْلاَ اللهُ ثُمَّ فُلاَن. ولا يَقول: لولا اللهُ وفُلاَنٌ(١).

ت: إبراهيمُ، هو: النَّخَعي. وهذا فيما يقدر عليه الحيُّ الحاضر، بخلاف من ليس كذلك. ممن لا يسمع كلاماً ولا يَردُّ جواباً، كالأموات والغائبين. / [٧٧/ب]



(١) أخرجه عبد الرزاق، في المصنف ١١/ ٢٧.

(٤٢)
بـــابُ
ما جاء فيمن لم يقْنعْ بالحلِفِ بالله

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء فيمن لم يَقْنع بالحلِف بالله، عن ابن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «لاَ تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بالله فَلْيَصْدُقْ، وَمن حُلِفُ له بالله فَلْيَرْضَ، ومن لم يَرْضَ فليس من الله» رواه ابن ماجه، بسندٍ حسن[1].

ت: قولُه: «لا تحلِفوا بآبائِكم» تقدّم أنهّ لا يجوز الحَلِفُ بغير الله في حق كلِّ أحد.

قوله: «مَن حلَف بالله فليصدُق» هذا مما أوجبه اللهُ على عباده؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥].

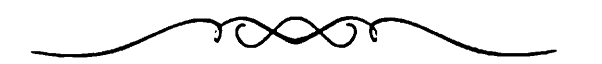
قولُه: «ومَنْ حُلِفَ لَهُ باللهِ فَلْيَرْضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله» هذا من حقِّ المُسلم على المسلم: أن يقبل منه إذا حَلَف لهُ معتذراً؛ والحديثُ يدل على الوجوب.

ومِن حقِّه عليه: أن يحُسن به الظن إذا لم يتبيَّن كذِبه؛ كما في الأثر، عن

---

(١) ابن ماجه، في السنن رقم ٢١٠١، وإسنادُه حسن، كما قال ابن حجر في الفتح ١١/ ٥٣٥، وصححه البُوصيري، في مصباح الزجاجة ٢/ ١٤٣.

عمـر: وَلاَ تَظُنَّنَّ بكَلَمِةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ شَرّاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الخَير مَحْملاً[١]. وهو من حُسن الخُلق، ومكارم الأخلاق، وكمالِ العقل وقوّة الدين.



(١) أخرجه أحمد، في الزهد، كما في الدر المنثور ١٣/ ٥٦٦.

(٤٣)

بـــابُ

قولِ: مَا شاءَ اللهُ وشِئْتَ

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: بابُ قولِ: ما شاء اللهُ وشِئْتَ، عن قُتيلة: أن يهودياً أتى النبيَّ ﷺ، فقال: إنَّكـمْ تُشْرِكون؛ تقولون: ما شاءَ اللهُ وشِئْتَ. وتقولون: والكَعْبَةِ. فأمرَهم النبيُّ ﷺ إذَا أرادُوا أَنْ يحْلِفُوا أن يقولوا: ورَبِّ الكَعْبَة. وأن يقولوا: ما شاء اللهُ ثُمَّ شِئْتَ. رواه النسائيُّ وصحّحه[١].

ت: قولُه: (قُتيلةَ). بمثنَّاة مصغَّرة[٢]، بنت صيفي الأنصارية[٣]، صحابيةٌ مهاجرة، لها حديثٌ في سُنن النسائي، ـ وهو المذكور في الباب ـ ورواه عنها: عبد الله بن يسار الجُعفي[٤]. وفيه: قبولُ الحق ممن جاء به. وفيه: بيانُ النهي عن الحلِف بالكعبة وغيرها، مع أنها بيتُ الله التي حجّها وقصدُها بالحج والعمرة فريضة.

وأنت ترى ما وقع مما يخُالف ذلك: من الحلِف بالكعبة، ودعائها، وكذا مقام إبراهيم. وقلَّ من يَسلم مِن هذا، ممن يحج ـ من أهل الآفاق

---

(١) النسائي، في المجتبى ٧/ ٦، وأخرجه أحمد، في المسند ٦/ ٣٧١، ٣٧٢، وصححه ابنُ حجر، في الاصابه ١٤/ ١٣١.

(٢) (ط): مصغرة. ساقطة.

(٣) هكذا في جمع النسخ. والصواب: الجُهنية. ينظر: ابن حجر، المصدر السابق.

(٤) ينظر: في ترجمتها: ابن حجر،الاصابة ١٤/ ١٣٠.

وأهل مكة ـ كما كان يفعل بغيرها، كما تقدم بيانُه فيما سلف(١).

والكعبةُ عظَّمها الله؛ بأن جعل حجّها رُكناً على مَن استطاع، وشرع العبادةَ عندها، وخصَّها/ بالفضل. فالمشروعُ: إنما هو الطواف بها، والصلاةُ إليها. لا الحلِفُ بها، ونحوه من الشرك في العبادة: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] [٧٨/أ]

قولُه: (إنكم تُشرِكون، تقولون: ما شاءَ اللهُ وشئتَ) والعبد وإن كان(٢) له مشيئةٌ، فمشيئتهُ تابعةٌ لمشيئة الله؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

وفي هذه الآية والحديث: الردُّ على القَدرية، والمُعتزلة نفاةِ القدَر: الذين يُثبتون للعبد مشيئةً تخالف ما أراده اللهُ من العبد(٣) وشاءه؛ وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢] .

وفي الحديث: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتبْ، فَجَرَى بِمَا هُو كَائِنٌ إلى يَوْمِ القيامَة**» وهو في الصحيحين، وغيرهما(٤).

---

(١) (ط): كما تقدم بيانُه فيما سلف. ساقط.

(٢) (ط): كانت.

(٣) (ط): وما.

(٤) هكذا في جميع النسخ، والحديث أخرجه: أبو داود، في السنن رقم ٤٧٠٠ =

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وله أيضاً، عن ابن عباس: أنّ رجلاً قال للنبي ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. فقال: «أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[1].

ت: وهذا[2]: يُبيِّن ما تقدم، من أنَّ هذا شرك؛ لأن العطف بالواو يسوِّي[3] المعطوف بالمعطوف عليه، لأن الواو وُضعت لمطلق الجمع. فلا يجوز أن يجعل المخلوقَ مثلَ الخالق في شيءٍ من الإلهية والربوبية، ولو في أقل شيء؛ كما تقدّم: في الرجلين اللذين قدّم[4] أحدُهما ذُبابا للصنم، فدخل النار. وفيه: أنَّ النبي ﷺ حَمَى حِمَى التوحيد، وسدَّ طُرُقَ الشرك في الأقوال والأعمال.

= والترمذي، في الجامع رقم ٢١٥٥، ٣٣١٩ وقال حسنٌ صحيح، وأحمد، في المسند ٥/ ٣١٧، وحسنه ابن المديني، كما في النكت لابن حجر ٤/ ٢٦١ من حديث عُبادة بن الصامت، وله شاهدٌ من حديث ابن عباس موقوفاً أخرجه: عبد الرزاق، في التفسير ٢/ ٣٠٧ والحاكم، في المستدرك ٢/ ٤٩٨ وابن جرير، في التفسير ٢٣/ ١٤٠ والضياء، في المختارة١٠/ ١٨.

(١) النسائي، في السنن الكبرى ٩/ ٣٦٢، وأخرجه ابن ماجه، في السنن رقم ٢١١٧، وأحمد، في المسند ١/ ٢١٤، ٢٢٤ ، ٢٨٣، ٣٤٧، وصححه ابن القيم، في الداء والدواء ٣١٠، وقال البوصيري في المصباح ٢/ ١٥١: له شاهد من حديث قُتيلة.

(٢) (ط): هذا.

(٣) (ط): المعطوف بالواو يساوي.

(٤) (ط): قرب.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ولابن ماجه، عن الطُّفَيلِ أَخي عائِشةَ لأُمِّها، قال: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتيْتُ على نَفَرٍ من اليهودِ، فقلتُ: إِنَّكُمْ لأَنتُم القَومُ، لَوْلاَ أَنَّكُمْ تقولون: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ. قالوا: وأنتم لأَنتُمُ القَومُ، لولا أَنَّكم تقولون: ما شاء اللهُ وشاء محمدٌ. ثم مررتُ بنفرٍ من النصارى، فقلت: إنكم لأنتمُ القَومُ، لولا أنكم تقولون: المسيحُ ابنُ الله. قالوا: وأنتم لأنتم القَومُ، لولا أنكم تقولون: ما شاء اللهُ وشاء محمدٌ. فلمَّا أصبحتُ أخبرتُ بها مَن أخبرتُ، ثم أتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتهُ. فقال: «هل أخبرتَ بها أحداً؟» قلتُ: نعم. قال: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عليه، ثم قال: «أَمَّا بعدُ؛ فإنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيا، أَخْبَرَ بها مَن أخبر منكم، وإنكم قلتم كَلِمةً كان يَمْنَعُني/ [٧٨/ب] كذا وكذا أَنْ أَنهَاكُمْ عنها، فلا تقولوا: ما شاءَ اللهُ وشاء محمدٌ. ولكن قولوا: ما شاء اللهُ وحدَهُ»(١).

ت: قولُه: (عن الطُّفَيْل) هو: الطُّفيل بن عبد الله بن سَخْبَرة، أخو عائشة لأمها، له حديثٌ عند ابن ماجه، وهو ما ذكره المصنفُ في الباب(٢).

وهذه الرؤيا حقٌّ، أقرها رسولُ الله ﷺ وعمل بمقتضاها. فنهاهم عن(٣) أن يقولوا: ما شاء اللهُ وشاء محمدٌ. وأمرهم أن يقولوا: ما شاء اللهُ وحدَه.

---

(١) ابن ماجه، في السنن رقم ٢١١٨، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٧٢، ٣٩٣، وصححه البُوصيري في مصباح الزجاجة ٢/ ١٥٢.

(٢) ينظر: في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٥/ ٤٠٠.

(٣) (ص) (ط): عن. ساقطه.

وقد بلَّغ ﷺ البلاغَ المُبين، وأنذر عن الشرك وحذَّر عن قليله وكثيره. فانظر إلى ما وقع من الشرك العظيم في هذه الأمة، يُنادون الميت من مسافة شهر أو شهرين أو أكثر، ويعتقدون فيه: أنَّه ينفع ويضر، ويسمع ـ من تلك المسافة ـ ويستجيب[١]. جعلوا[٢] الأموات شُركاءَ لله[٣]: في المُلك والتدبير وعلم الغيب، وغير ذلك من خصائص الربوبية. وتركوا نبيَّهم وما جاء به، وما قاله[٤] وما نهى عنه ﷺ، كأنهم لم يسمعوا كتاباً ولا سنة.

وقد بعث اللهُ نبيَّه[٥] بالنهي عن الشرك، كما ترى. فما زال يدعو الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، حتى أكمل اللهُ لهم به الدين وأتم عليهم النعمة. لكن رجعوا من الكَمال إلى الضلال، ومن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك. وهذه وإنْ كانت رُؤيا منام فقد أقرَّها رسولُ الله ﷺ، وأخبر أنها حق.



---

(١) (ط): تقديم وتأخير.

(٢) (ط): وجعلوا.

(٣) (ط): له.

(٤) (ط): ما. ساقطه.

(٥) (ط): بعثه الله.

(٤٤)

بـــابٌ
من سَبَّ الدَّهْرَ فقد آذى اللهَ

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ من سبَّ الدهرَ فقد آذى الله، وقولُ الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ت: قال العماد بن كثير في تفسيره: يُخبر الله تعالى عن دهريَّة الكفار ومَن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد[(١)] ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: ما ثَمَّ إلا هذه الدار، يموت قومٌ ويعيش آخرون، ولا ثَمَّ مَعادٌ ولا قيامة. وهذا يقوله مُشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقولُه الفلاسفةُ الإلهيون[(٢)] منهم. وهم يُنكرون البداءة والرجعة؛ ولهذا قال[(٣)] ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾. قال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: يتوهَّمون ويتخيَّلون[(٤)].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الصحيح، عن أبي هُريرة، قال/ : قال [٧٩/أ] **رسولُ الله ﷺ: «قال الله تعالى: يُؤْذِيني ابنُ آدمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وأنا الدَّهرُ**

---

(١) (ط): الميعاد. تحريف.

(٢) الفلاسفة الإلهيون: طائفةٌ يثبتون ما يسمّونه واجبَ الوجود، ويعتقدون قِدم العالم، منهم الفارابي وابن سينا. ينظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٩، ٧/ ٣٨٤.

(٣) (ط): قال عنهم.

(٤) ابن كثير، التفسير ١٢/ ٣٦٣.

بيدي الأمرُ، أُقَلِّبُ الليلَ والنَّهار»(١)، وفي رواية «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فإنَّ اللهَ هو الدَّهرُ»(٢).

ت: قال في شرح السُّنة: حديثٌ متفقٌ على صحته، أخرجاه: من طريق مَعْمر من أَوجه، عن أبي هريرة.

قال: ومعناه: أنّ العرب كانت من شأنها ذمُّ الدهر وسبُّه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبُهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارعُ الدهر، وأبادهم الدهر. فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد: سبُّوا فاعلَها؛ فكان مرجعُ سبِّها إلى الله عز وجل ـ إذ هو الفاعلُ في الحقيقة للأمور التي يصفونها ـ فنُهوا عن سب الدهر. انتهى باختصار(٣).

ونسبةُ الفعل إلى الدهر، ومَسَّبتهُ: كثيرةٌ في أشعار المولَّدين؛ كابن المعتزّ(٤)، والمُتنبي(٥)، وغيرِهما.

---

(١) أخرجه البخاري، في الصحيح رقم ٤٨٢٦، ٦١٨١، ٧٤٩١، ومسلم، في الصحيح رقم ٢٢٤٦، وأحمد، في المسند ٢/ ٢٣٨، ٢٧٢، ٢٧٥.

(٢) أخرجه مسلم، في الصحيح رقم ٢٢٤٦، وأحمد، في المسند ٢/ ٣٩٥، ٤٩١، ٤٩٦، ٤٩٩.

(٣) البغوي، شرح السنة ١٢/ ٣٥٧.

(٤) عبد الله بن محمد بن جعفر الهاشمي، ابن المعتز، أبو العباس البغدادي، أديبٌ وشاعر، وتولَّى الخلافةَ ثم خُلع وقُتل عام ٢٩٦هـ، له كتاب البديع، وطبقات الشعراء. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ١٤/ ٧٥٢.

(٥) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجُعفي، أبو الطيب الكوفي، الملقب =

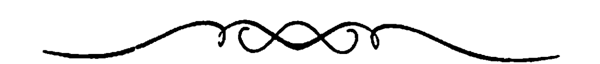
وليس منه وصفُ السنين بالشدة؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف: ٤٨] الآية[1].

وقال بعضُ الشعراء:

إنَّ الليالي من الزمان مهولةٌ ... تُطْوَى وَتُنْشَرُ بينها الأعمارُ
فقصارُهن مع الهموم طويلةٌ ... وطوالهن مع السرور قصارُ

وقال أبو تمّام[2]:

أعوامُ وصلٍ كاد يُنسي طيبَها ... ذكرُ النوى فكأنها أيامُ
ثم انبرت أيام هجر أعقبت ... نحوي أسىً فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنونُ وأهلُها ... فكأنها وكأنهم أحلامُ[3]



= بالمتنبي، شاعرٌ مشهور، سار ديوانُه في الآفاق. مات سنة ٣٥٤هـ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ١٥/ ٢٧٢.

(١) (ط): قال.

(٢) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمّام الدمشقي البغدادي، أديبٌ وشاعر، له كتاب الحماسة، وللصولي كتابٌ في أخباره وأشعاره. مات سنة ٢٣١هـ ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ١٤/ ٢٩٦.

(٣) أبو تمام، الديوان ٢٨٢.

(٤٥)
بـــابُ
التسمِّي بقاضي القُضاة ونحوِه

قـال المـصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بـابُ التـسمِّي بقـاضي القـضاة ونحـوه، في الصحيح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «إنَّ أخْنَعَ اسمٍ عندَ الله رجلٌ تسمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ، لاَ مالِكَ، إلاّ اللهُ» قال سُفيان: مِثلُ شاهانْ شاه(١).

ت: لأن هذا اللفظَ إنما يصدُق على الله تعالى. فهو ملِكُ الأملاك؛ لأنه هـو الملِـكُ في الحقيقـة ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغـابن: ١] يتصرَّف في الملوك وغيرهم بمشيئته وإرادته؛ كـما قـال تعـالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ / مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]. [٧٩/ ب]

فلا ينبغي أن يُعظَّم المخلوقُ بما يُشبه أن يُعظَّم(٢) به الخالق جل وعـلا، وما كان مثلُ ذلك فينُهى عنه كالذي ترجم بـه المـصنفُ؛ لأنـه لا يـصدُق هـذا المعنى إلا على الله. فلا يصلُح أن يُسمّى بـه المخلـوق؛ لأن كـل لفـظٍ يقتـضي التعظيمَ والكمال لا يكون إلا له تعالى وتقدّس دون غيره.

قولُه (قـال سُـفيان(٣): مثـلُ شـاهان شـاه) عنـد العَجَـم: عبـارةٌ عـن ملِـك

---

(١) البخاري، في الصحيح رقـم ٦٢٠٦، ومسلم، في الـصحيح رقـم ٢١٤٣ واللفـظُ لـه، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٢٤٤.

(٢) (ط): ما عظم.

(٣) (ط): أبو سفيان. تحريف.

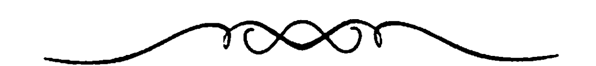
الأملاك؛ ولهذا مثَّل به سُفيان.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي رواية: «أغيظُ رَجُلٍ على الله يوم القِيامَةِ وَأَخْبَثُهُ»(١). قولُه: «أَخْنَع» يعني: أَوْضَع(٢).

ت: قولُه: (وفي رواية: «أَغْيَظُ رَجُلٍ على اللهِ» أغيظُ: من الغيظ، وهو مثلُ الغضب والبُغض، فيكون بغيضاً إلى الله مغضوباً عليه. وهذا من الصفات التي تمُرّ كما جاءت: من غير تحريف ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل(٣).

قولُه «وَأَخْبَثُهُ» يدل(٤) أيضاً: على أنّ هذا خبيثٌ عند الله إذا رضي بذلك؛ لتعظيم الناس له بما لا يستحقه، وعدمِ إنكاره وكراهته لذلك.

قولُه (أخْنَع يعني: أوْضع) وهذا المذكورُ يُنافي كمالَ التوحيد الذي دلّت عليه كلمةُ الإخلاص، فيكون فيه شائبةٌ من الشرك وإنْ لم يكن أكبر.



(١) أخرجه مسلم، في الصحيح رقم ٢١٤٣، وأحمد في المسند ٢/ ٣١٥.

(٢) أخرجه مسلم، في الصحيح ٣/ ١٦٨٨ عن الإمام أحمد، قال: سألت أبا عمرو الشيباني. فذكره.

(٣) (ط): زيادة: والله أعلم.

(٤) (ص) (ط): وهو يدل.

(٤٦)

بـــابُ

احترامِ أسماء الله وتغييرِ الاسم لأجل ذلك

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ احترام أسماء الله وتغييرِ الاسم لأجل ذلك، عن أبي شُرَيْحٍ: أنه كان يُكْنَى أبا الحكم. فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الله هو الحَكَمُ، وإليه الحُكْمُ» فقال: إنّ قَوْمِي إذا اخْتلفُوا في شيءٍ أتَوني، فَحَكَمْتُ بينهم، فرضي كلا الفريقين. فقال: «ما أحسن هذا. فما لَكَ من الوَلَدِ» قلتُ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلمٌ، وعبد الله. قال: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ. قال: «فأنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» رواه أبو داود، وغيرُه[1].

ت: قولُه (عن أبي شُريح) هو: أبو شُريح[2] الخُزاعي، اسمُه: خُويلد بن عمرو[3]،

---

(١) أبو داود، في السنن رقم ٤٩٥٥، والنسائي، في المجتبى ٨/ ٢٢٧، وابن حبان، في الصحيح رقم ٥٠٤، والحاكم، في المستدرك ١/ ٢٣- ٢٤، ٤/ ٢٧٩ وصححه ووافقه الذهبيُّ.

(٢) (ط): أبو شريح. ساقط.

(٣) كما في الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ٢٩٥، وذهب ابنُ حجر في الإصابة ١١/ ٢٠٢ إلى: أنَّ اسمه: هانئ بن يزيد المذحجي، وكذلك في النسخة المُعتمدة من الإتحاف ١٣/ ٦١٤. واختار المِزّي في التهذيب ٣٠/ ١٤٦، وتحفة الأشراف ٩/ ٦٨: أنَّ اسمه: هانئ بن يزيد الحارثي. وعند الذهبي في المقتنى ١/ ٣٠٤: هانئ بن يزيد. وقال سليمان، في التيسير ٦١٥: اسمُه: هانئ بن يزيد الكِندي، ولا عبرة بقول من قال إنه الخُزاعي. فالله أعلم.

أسلم(١) يوم الفتح(٢). له عُشرون حديثا: اتُّفقا على حديثين، وانفرد البخاريُّ بحديث. وعنه: أبو سعيد المقبُري، ونافع بن جُبير، وطائفة. قال ابنُ سَعد: مات سنة ثمان وستين.

قوله (يُكنى) الكُنية: ما صُدّر بأب أو أم ونحو ذلك، كأبي محمد. واللقبُ: ما ليس كذلك، كزين العابدين.

قولُه ﷺ «إن الله هُوَ الْحَكَمُ وإليه الْحُكْمُ» فهو(٣) سبحانه الحَكم في الدنيا والآخرة، يحكم بين خلقه في الدنيا(٤) بوحيه الذي/ أنزله على أنبيائه ورُسله. [٨٠/أ]

وما من قضيَّةٍ إلاّ وله فيها حُكم ـ مما أنزله على نبيِّه من الكتاب والحِكمة ـ لكن قد يخفى على المجتهد. فالمجتهدون(٥) وإنْ اختلفوا في بعض الأحكام، فلا بد أن يكون المصيبُ فيهم واحدا. فمَن رزقه الله قوَّةَ الفهم، وأعطاه مَلَكةً(٦) يقتدرُ بها على فهم الصواب من أقوال العلماء: أدركَ ما هو الصوابُ من ذلك.

---

(١) (ط): وأسلم.

(٢) هكذا في جميع النسخ، وتهذيب الكمال ٣٣/ ٤٠٠، وتحُفة الأشراف ٩/ ٢٢٣. وفي طبقات ابن سعد ٤/ ٢٩٥، والإصابة ١٢/ ٢٤٤: أسلم قبل الفتح.

(٣) (ط): أي هو.

(٤) (ط): في الدنيا. ساقطه.

(٥) (ط): فإن المجتهدين.

(٦) (ط): حكمه.

قولُه: «وإليه الحُكم» في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية [النساء: ٥٩].

فالحكمُ إلى الله: هو الحكم إلى كتابه. والحكمُ إلى الرسول[1]: هو الحكم إليه في حياته، وإلى سُنَّته بعد وفاته.

قولُه: (فإنَّ قَوْمِي إذَا اخْتَلَفُوا في شَيء أَتَوْني فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِي كِلاَ الْفَرِيقَيْنِ) والمعنى ـ والله أعلم ـ أنَّ أبا شُريح كان مَرْضياً عندهم يتحرّى ما يُصلحهم إذا اختلفوا، فيرضون صُلحه؛ فسمَّوه حَكماً.

وأمّا ما يحكم به الجهلةُ من الأعرَاب ونحوهم: من سوالفِ آبائهم وأهوائهم. فليس من هذا الباب؛ لما فيه من النهي الشديد، والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يُخالفه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وهذا كثيرٌ، فمن الناس: مَن يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم: مَن يتَّبع في ذلك سلفَه، ويحكم بما كانوا يحكمون به. وهذا كفرٌ؛ إذا غلب واستقر[2] على من تصدَّى لذلك، ممن يرجع الناسُ إليه إذا اختلفوا.

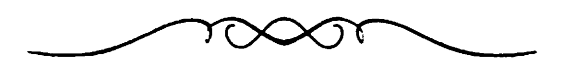
قولُه ﷺ: «فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ»، قلت: شُرَيحٌ ومُسْلِمٌ وعبد الله. قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيحٌ. قال: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيحٍ» رواه أبو داود،

---

(١) (ط): رسوله.

(٢) (ط): استقر وغلب.

وغيره[١]. فكنَّاه بالكبير ـ وهو السنة ـ وغيَّر كُنيتَه بأبي الحكم؛ لأن الله هو الحَكَم على الإطلاق[٢].



(١) رواه أبو داود وغيره. ليست في (ط).

(٢) (ط): زيادة: ومنه تسميةُ الأئمة بالحكام. فينبغي تركُ ذلك، والنهيُ عنه؛ لهذا الحديث وهذا قد حَدَث في الناس قريبا.

(٤٧)

بـــابُ

من هَزَل بشيءٍ فيه ذِكرُ الله أو القرآنِ أو الرسول

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ مَن هَزَل بشيءٍ فيه ذِكْرُ اللهِ أو القرآن أو الرسول؛ وقولِ الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

ت: قولُه: (بابُ من هَزَلَ بشيءٍ فيه ذِكْرُ الله أو القرآنِ أو الرَّسُول) أي: فقد كفر.

قولُه: وقولِ الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥].

قال العمادُ بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في تفسيره: قال أبو معْشَر المدني/ ، عن [٨٠/ب] محمد بن كعب القُرَظي وغيره، قالوا: قال رجلٌ من المنافقين: مَا أرَى قُرَّءَنَا هؤلاَء إلاَّ أَرْغَبَنَا بُطُوناً، وَأَكْذَبَنَا أَلسِنَةً، وَأَجْبَنَنا عِنْدَ اللِّقاءِ. فرُفع ذلك إلى رسول[1] الله ﷺ[2] ـ وقد ارتحل وركب ناقته ـ فقال: يا رسول الله: ﴿إِنَّمَا

---

(١) (ط): الرسول.

(٢) في المصدر، زيادة: فجاء إلى رسول الله.

﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾. فقال: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾؟ إلى قوله ﴿مُجْرِمِينَ﴾ وإنَّ رِجْلَيْهِ لَيَنسِفانِ الحجارَةَ، وما يلتفتُ إليه رسولُ الله ﷺ، وهو متعلِّقٌ بِنِسْعَةِ[١] ناقةِ رسول الله ﷺ[٢].

قولُه: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾ أي: لا يُعفى عن جميعكم، ولا بُدَّ من عذاب بعضكم، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ بهذه[٣] المقالة الفاجرة الخاطئة. انتهى[٤].

قال[٥] شيخُ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد أمره اللهُ أنْ يقول: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ وقولُ مَن يقول: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كُفرهم أوَّلاً بقلوبهم. لا يصح؛ لأن الإيمان باللسان مع كُفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم. فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن

---

(١) النِّسعة: سيرٌ يُنسج عريضا تُشد به الرِّحال. الفيروز آبادي، القاموس ٤/ ٣٦٤.

(٢) ابن كثير، التفسير ٤/ ١١١، والحديث: أخرجه الطبري، في التفسير ١١/ ٥٤٥ مُرسلاً، وله شاهدٌ من حديث ابن عمر: أخرجه الطبري، في التفسير ١١/ ٥٤٣، وابن أبي حاتم، في التفسير ٦/ ١٨٢٩ بإسناد رجالُه ثقات. وعبد الله بن صالح، صدوق ثبت في كتابه. ينظر: ابن حجر، التقريب ٥١٥.

(٣) (ط): لهذه.

(٤) ابن كثير، التفسير ٤/ ١١٣.

(٥) (ط): وقال.

أُريد: إنكم أظهرتم الكفرَ بعد إظهاركم الإيمان. فهم لم يُظهروا للناس إلا لخواصهم، وهم مع خواصِّهم ما زالوا كذلك؛ ولا يدل اللفظُ على أنهم ما زالوا منافقين. انتهى[1].

وفيه بيانُ أنَّ الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلَّم بها أو عملٍ يعمل به. وأشدُّها خطراً إراداتُ القلوب، فهي كالبحر الذي لا ساحل له. ومن هذا الباب: الاستهزاءُ بالعلم وأهله، وعدمُ احترامهم لأجله.



(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٧/ ٢٧٢.



(٤٨)

بـــابُ

قولِ الله تعالى

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب قولِ[1] الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ الآية [فصلت: ٥٠].

ش: ذكر المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن ابن عباس، وغيرِه من المفسرين في معنى[2] هذه الآية وما بعدها[3]: ما يكفي ويشفي في المعنى.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال مجاهدٌ: هَذا بِعَمَلي، وَأَنا مَحْقُوقٌ بِهِ[4]. وقال ابنُ عباس: يُريدُ: من عندي[5].

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]. **قال قتادةُ: على علم مِنِّي بوُجُوه المكاسِبِ[6]. وقال آخرون: على علم مِن الله أنِّي له**

---

(١) (ط): بابُ ما جاء في قول.

(٢) (ط): معنى. ساقطه.

(٣) (ط): وما بعدها. ساقط.

(٤) أخرجه ابن جرير، في التفسير ٢٠/ ٤٥٨، ٤٥٩، وعبد بن حُميد، كما في الدر المنثور ١٣/ ١٢٦.

(٥) نقله القرطبي، في التفسير ١٨/ ٤٣٥.

(٦) نقله القرطبي، في التفسير ١٨/ ٢٩٢، وأخرج نحوه: عبد الرزاق، في التفسير =

أهلٌ(١). وَهذا معنى قولِ مجاهد: أُوتيتُهُ عَلَى شَرَفٍ(٢).

[٨١/أ] / ت: وليس ما ذكروه اختلافاً، وإنما(٣) هي أفرادُ المعنى.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن أبي هُريرة: أنه سمع رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبرصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى. فَأَرادَ اللهُ أنْ يَبْتَلِيهُمْ، فَبَعَثَ إليهِمْ مَلَكا. فأَتَى الأَبْرَصَ، فقال: أيُ شَيْءٍ أَحَبُّ إليك؟ قال: لونٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الذي قَدْ قَذِرَني النَّاسُ به. قال: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبُ عنه قَذَرُهُ، وأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَناً وَجلْداً حَسَناً. قال: فأَيُّ المال أَحَبُّ إليك؟ قال: الإبلُ أو البقرُ ـ شَكَّ إسْحَاقُ(٤) ـ فأُعْطِيَ ناقَةً عُشَرَاءَ، وقال: بارَكَ اللهُ لَكَ فيها. قال: فَأَتى الأَقْرَعَ، فقال: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إليك؟ قال: شَعْرٌ حسن، وَيَذْهب عنِّي الذي قَذِرَني الناسُ به. فَمَسَحَهُ فذهب عنه، وأُعْطِيَ شَعْراً حسناً. قال: فأيُّ المال أَحَبُّ إليك؟ قال: البَقَرُ، أو الإبلُ، فَأُعْطِي بَقَرةً حامِلاً، وقال: باركَ اللهُ لَكَ فيها. فأَتى الأعْمَى، فقال: أَيُّ شَيْءٍ أَحبُّ إليك؟ قال: أنْ يَرُدَّ اللهُ عليَّ بَصَري فأُبْصِرَ بِهِ النـاسَ. فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ

= ٢/ ١٧٤ وابن أبي حاتم، في التفسير ٩/ ٣٠١٢، والطبري، في التفسير ٢٠/ ٢٢١.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، في التفسير ٩/ ٣٠١٢، عن السدي.

(٢) أخرجه الطبري، في التفسير ٢٠/ ٢٢١، والفريابي، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، كما في الدر المنثور ١٢/ ٦٧٠.

(٣) (ط): هو.

(٤) عُلّق في هامش (ص): بالمد غير منصرف. ابن عبد الله بن أبي طلحة اهـ. ينظر في ترجمته: ابن حجر، التقريب ١٣٠.

إليهِ بَصَرَهُ، قال: فأَيُّ المال أَحَبُّ إليك؟ قال: الغَنَمُ. فأُعْطِي شاةً وَالِدًا؛ فأَنْتجَ[1] هَذَانِ وَوَلَّدَ هذا. فكان لهذا وادٍ مِنَ الإبِلِ، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغَنَم. قال: ثُم إِنَّهُ أتى الأبْرَصَ في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فقال: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابنُ سبيل، قَدِ انْقَطَعَتْ بي الحِبَالُ في سفَري، فَلاَ بَلاَغَ لي اليومَ إلاَّ بالله ثُمَّ بكَ، أَسْأَلُكَ بالذي أعْطاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، والمال، بَعيراً أَتبَلَّغُ بِهِ في سَفرِي. فقال: الحُقُوقُ كثِيرَةٌ. فقال له: كَأَنِّي أعْرِفُكَ، ألَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فقيراً، فأَعْطاكَ اللهُ عز وجل المالَ؟ فقال: إِنَّمَا وَرِثْتُ هذا المالَ كابراً[2] عن كابر. فقال: إنْ كُنْتَ كاذِباً فصَيَّرَكَ اللهُ إلى ما كُنْتَ. قال: ثُمّ أتى الأَقْرَعَ في صُورتِهِ، فقال له مثلَ ما قال لهذا، وردَّ عليه مثلَ ما ردَّ عليه هذا. فقال: إنْ كُنْتَ كاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إلى ما كُنْتَ. ثُمّ أَتَى الأعْمَى في صُورَتِهِ وَهَيئتِهِ، فقال: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبيلٍ، قد انْقَطَعَتْ بي الحِبَالُ في سَفَري. فلا بلاغ لي اليومَ إلاَّ بالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بالّذِي رَدَّ عليك بَصَرَكَ شاةً أَتَبَلَّغُ بها فِي سَفَرِي./ [٨١/ب] فقال: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إليَّ بَصَرِي، فَخذْ ما شِئْتَ وَدَعْ ما شِئْتَ، فوالله لا أَجْهَدُكَ اليومَ بشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لله. فقال: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُليتُمْ، فقدَ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» أخرجاه[3].

---

(١) قال الأزهري، في التهذيب ١١/ ٥: إذا وضعت الناقةُ من تلقاء نفسها، قيل: قد أنتَجت. وإذا وليها أحدٌ، قيل: نُتجت وهو في الإبل والبقر خاصة.

(٢) عُلّق في هامش (ص): نُصب على الحال.

(٣) البخاري في لصحيح رقم ٣٤٦٤، ٦٦٥٣، ومسلم في الصحيح رقم ٢٩٦٤.

ت: هذا[١] حديثٌ عظيم، يُبيِّنُ: حالَ مَن كفر النِّعَمَ، وحالَ مَن شكرها.

قال ابنُ القيم: أصلُ الشُّكر: الاعتراف[٢] بإنعام المُنعم، على وجه الخُضوع له والذُّل والمحبة. فمَن لم يعرف النعمةَ بل كان جاهلاً بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يَعرف المُنعم بها لم يشكرها أيضاً، ومن عَرف النعمةَ والمُنعم لكن جحدَها كما يجحد المُنكر لنعمة المُنعم عليه بها[٣] فقد كفرها، ومن عَرف النعمةَ والمُنعم بها[٤]، وأقرَّ بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ويحبَّه ويَرض به وعنه لم يشكرها أيضا، ومَن عرفها وعرف المُنعم بها، وأقرَّ بها وخضع للمُنعم بها وأحبَّه ورضي به و[٥] عنه، واستعملها في محابّه وطاعته فهذا هو الشاكرُ لها. فلا بد في الشكر من علم القلب، وعملٍ يتبع العلم: وهو الميلُ إلى المُنعم، ومحبتِهِ والخضوع له. انتهى[٦].

قوله: «قَذِرَني الناسُ به» أي: بكراهة رؤيته وقُربه منهم.



(١) (ط): وهذا.

(٢) (ط): هو الاعتراف.

(٣) (ط): عليه بها. ساقط.

(٤) (ص) (ط): بها. ساقطة.

(٥) (ط): به و. ساقط.

(٦) ابن القيم، طريق الهجرتين ١/ ٢٠٣.

(٤٩)

بابُ

قولِ الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٠].

ت: قال الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى هذه الآية: حدثنا عبد الصمد، حدثنا[١]: عمرُ بن إبراهيم، حدثنا: قتادةُ، عن الحسن، عن سمُرة، عن النبي ﷺ، قال: «لمَّا وَلَدَتْ حَوَّاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ - وَكَانَ لاَ يَعِيشُ لها وَلَدٌ - فَقَالَ: سمِّيهِ عبد الحَارِثِ فَإِنَّهُ يَعِيشُ. فَسَمَّتْهُ عبد الحارِثِ؛ فَعَاشَ. فَكَانَ ذلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيطَانِ وَأَمْرِهِ»[٢].

وقال ابنُ جرير: حدثنا ابنُ وكيع، حدثنا: سهلُ بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن. ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ قال: كان هذا في بعض أهل

---

(١) عبد الصمد، حدثنا. ليست في (ط).

(٢) أحمد، في المسند ٥/ ١١، وأخرجه: الترمذي، في الجامع رقم ٣٠٧٩، وقال: حسنٌ غريب، والحاكم، في المستدرك ٢/ ٥٤٥، وصححه ووافقه الذهبيُّ. وقال ابنُ كثير: هذا الحديثُ معلولٌ، والصواب وقفُه. ينظر: ابن كثير، التفسير ٣/ ٥٣٩، والبداية والنهاية ١/ ٢٢٦.

الملل، ولم يكن بآدم(١).

وعن ابن عباس، قال: كانت حواءُ تلد لآدم عليه السلام أولاداً فتُعبِّدهم لله، وتسميه: عبد الله، وعبيد الله ونحو ذلك. فيصيبُهم الموتُ، فأتاها إبليسُ(٢) وآدمَ، فقال: أما إنكما لو تسمِّيانه بغير الذي تسمِّيانه(٣) به لعاش. فولدت رجلاً، فسمَّاه(٤) عبد الحارث؛ ففيه أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] إلى آخر الآية(٥).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قالَ ابنُ حَزْمٍ: اتَّفقُوا عَلَى تحْريمِ كُلِّ اسْمٍ مُعبد لِغَيْر الله، كعبدِ(٦) عُمَرَ، وعبد الكعْبَةِ، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطَّلب(٧).

[٨٢/أ] **ت:** قولُه: (قال ابنُ حَزم) هو عالمُ/ الأندلُس، أبو محمد، عليُّ بن أحمد بن سعيد(٨) بن حَزم، القُرطبي الظاهري، صاحبُ التصانيف. تُوفي

---

(١) الطبري، في التفسير ١٠/ ٦٢٩، وصححه ابنُ كثير، في التفسير ٣/ ٥٣٠ واختاره.

(٢) (ط): فأتاها وآدم إبليس.

(٣) (ط): بغير الذي تسميانه. ساقط.

(٤) (ط): فسمياه.

(٥) أخرجه ابن جرير، في التفسير ١٠/ ٦٢٤.

(٦) في المصدر: عمرو.

(٧) ابن حزم، مراتب الإجماع ٢٤٩.

(٨) (ط): سعد.

سنة ست وخمسين وأربعمائة، وله اثنتان وسبعون سنة[١].

قولُه: (اتفقوا علَى تحريمِ كُلِّ اسمٍ مُعبدٍ لغيرِ الله، كعبدِ عُمرَ وعبد الكعبةِ وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطَّلِبِ)[٢] وعبد المطلب هذا: جدُّ رسول الله ﷺ، وهو: ابنُ هاشم بن عبد مناف بن قُصي بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤي بن غالب ابن فِهر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن مَعدّ بن عَدنان. وما فوقَ عدنان مختلفٌ فيه، ولا ريب أنهم[٣] من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام[٤].

حكى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتفاقَ العلماء على تحريم كلِّ ما عبد لغير الله؛ لأنه شركٌ في الربوبية والإلهية، لأن الخلق كلَّهم ملكٌ لله وعبيد له، استعبدَهم بعبادته وحدَه وتوحيدهِ في ربوبيته وإلهيته. فمنهم مَن عبد الله وحده في ربوبيته وإلهيته، ومنهم مَن أشرك به في إلهيته وأقرَّ له بربوبيته وأسمائه وصفاته.

وأحكامُه القَدَرية: جاريةٌ عليهم ولا بدّ؛ كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] فهذه هي[٥] العبوديةُ العامة. وأما العبوديةُ الخاصة: فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة؛ كما

---

(١) ينظر: في ترجمته: ابن كثير، البداية والنهاية ١٥/ ٧٩٥.

(٢) (ط): زيادة: قلت.

(٣) (ط) أنهم. ساقطه.

(٤) ينظر: الطبري، التاريخ ٢/ ٢٣٩، وابن كثير، البداية والنهاية ٣/ ٢٠٣، ٣٥٣.

(٥) (ط): هي. ساقطه.

قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦] ونحوها.

قولُه: (حَاشاَ عبدَ المُطَّلِبِ) هذا استثناءٌ من العموم؛ لأنه ليس المقصودُ منه عبودية الرق، وإنما هو اسمٌ عِلِقه[1] لما أتى به عمُّه المطلب من عند أخواله بني النجّار من المدينة وهو صبيٌّ، فرأته قريشُ حين جاء به وقد تغيّر لونُه من السفر، فقالوا: عبد المطلب. ثم تبيَّن لهم أنه ابنُ أخيه هاشم، فصارت العبوديةُ في هذا الاسم لا حقيقة لها ولا قصد، لكن غلب عليه فصار لا يُسمّى إلاّ به، وإلاّ فاسمُهُ في الأصل: شيبة[2]. وقد صار عبد المطلب معظَّماً في قريش والعرب، فهو سيِّدُ قريش وأشرفُهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم ـ وما جرى له في حفرها مذكورٌ في السير وكتُب الحديث[3] ـ وصارت السقايةُ له وفي ذريته.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في الآية، قال: لَمّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فأتاهما إبليسُ، فقال: إنِّي صاحِبُكمَا الَّذي أَخْرَجْتُكُماَ من الجنَّةِ لَتُطِيعانِّني أو لأَجْعَلَنَّ لهَ قَرْنيْ أيِّلٍ، فَيَخْرُجُ منْ بطنك فَيشُقُّهُ، ولأَفْعَلَنَّ ولأَفْعَلن ـ يخُوِّفُهُما ـ سمِّياهُ عبدَ الحَارِثِ. فأَبياَ أنْ يُطيعاهُ، فخرج ميتاً. ثم

---

(١) (ط): علق به.

(٢) قال ابن القيم، في تحفة المودود ١٦٧: ولا وجه لتخصيص أبي محمد ابن حزم ذلك بعبد المطلب خاصة، فقد كان الصحابة يسمُّون بني عبد شمس، وبني عبد الدار بأسمائهم، ولا يُنكر عليهم ﷺ. فبابُ الأخبار أوسع من باب الإنشاء، فيجوز فيه ما لا يجوز في الإنشاء.

(٣) ينظر: الطبري، التاريخ ٢/ ٢٤٦.

حَمَلَتْ، فأتاهما، فقال: مثلَ قوله. فأبيا أنْ يُطيعاه، فخرج ميّتاً. ثم حملت، فأتاهما فذَكرَ لهما. فأَدْرَكهُماَ حُبُّ الولد، فَسَمَّياهُ عبدَ الحَارِث؛ فذلك قَوْلُهُ ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ رواه ابنُ أبي حاتم[١].

وله، بسندٍ صحيح، عن قتادة، قالَ: ﴿شُرَكَآءَ﴾ في طَاعَتِهِ، ولم يكن في عبادته[٢]. وله، بسند صحيحٍ، عن مُجاهد، في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قال: أَشْفَقا أن لا يكون إِنْسَاناً[٣]. وُذكر معناه عن الحسن[٤]، وسعيد[٥]، وغيرِهما.

ت: قال شيخُنا/ في معنى قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ أنّ هذا الشركَ بمجرَّد تسميته،لم يَقصدا[٦] حقيقتَها[٧]. [٨٢/ب]

وهو محملٌ حسنٌ، يُبيّن أنَّ ما وقع من الأبوين لم يقصدا[٦] حقيقتَه

---

(١) ابن أبي حاتم، في التفسير ٥/ ١٦٣٤، وأخرجه سعيدُ بن منصور، في السنن رقم ٩٧٣، والطبري، في التفسير ١٠/ ٦٢٤.

(٢) ابن أبي حاتم، في التفسير ٥/ ١٦٣٤، وأخرجه الطبري، في التفسير ١٠/ ٦٢٦ ورجح الطبريُّ هذا المعنى ينظر: التفسير ١٠/ ٦٢٩.

(٣) ابن أبي حاتم في التفسير ٥/ ١٦٣٣.

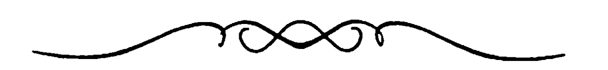
(٤) أخرجه عبد الرزاق، في التفسير ١/ ٢٤٨، وابن جرير، في التفسير ١٠/ ٦٢٠.

(٥) أخرجه ابن جرير، في التفسير ١٠/ ٦٢١ وابن أبي حاتم، في التفسير ٥/ ١٦٣٢ عن سعيد بن جُبير.

(٦) ما بينهما ساقطٌ من (ط).

(٧) المسألة الثالثة.

التي أرادها إبليسُ منهما[١]. وهذا يُزيل الإشكال، وهذا معنى قولِ قتادة: شُركاءَ في طاعته، ولم يكن في عبادته.



(١) (ط): منها. ساقطه.

(٥٠)

بـــابُ

قولِ الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ذَكَرَ ابْنُ أبي حاتم، عَن ابْن عَبَّاس ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾: يُشْركون[(١)]. وعنه: سَمَّوُا اللَّاتَ مِنَ الإلهِ، والعُزَّى مِنَ العَزيز[(٢)]. وعن الأعْمَش: يُدْخِلُونَ فِيها ما لَيْسَ مِنْها[(٣)].

ت: أراد المصنِّفُ[(٤)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الباب[(٥)]: الردَّ على من يتوسَّل بذوات الأموات، وأنَّ المشروعَ: هو التوسلُ بالأسماء والصفات والأعمال الصالحة.

---

(١) ابن أبي حاتم، في التفسير ٥/ ١٦٢٣ عن قتادة، وأخرجه عبد الرزاق، في التفسير ١/ ٢٤٤، وابن جرير الطبري، في التفسير ١٠/ ٥٩٧.

(٢) ابن أبي حاتم، في التفسير ٥/ ١٦٢٣، وأخرجه الطبري، في التفسير ١٠/ ٥٩٧.

(٣) ابن أبي حاتم، في التفسير ٥/ ١٦٢٣.

(٤) المصنّف. ليست في (ط).

(٥) (ط): بهذه الترجمة.

عن(١) أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ للَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مائه إلا واحداً(٢)، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ» أخرجاه في الصحيحين، من حديث سُفيان(٣).

وأخرجه الجُرجاني(٤)، عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شُعيب بسنده مثلَه. وزاد بعد قوله يحُب الوتر: «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمنُ، الرحيم، الملكُ، القُدُّوس، السَّلام، المؤْمِن، المهيمن، العزيز، الجبّار، المتكبِّر، الخالقُ، البارئ، المصوّر، الغفَّار، القهَّار، الوهّاب، الرزَّاق، الفتَّاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المُعزُّ، المذلّ، السميع، البصير، الحكَم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشَّكور، العليّ، الكبير، الحفيظ، المُقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرَّقيب، المُجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المَجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القويّ، المتين، الوليُّ، الحميد، المُحصي، المبدئ، المُعيد، المحيي، المميت، الحيُّ، القيّوم، الواحد، الماجد، الفرد، الصمد(٥)،

(١) (ط): وعن.

(٢) الأصل (ص): واحد.

(٣) البخاري، في الصحيح رقم ٦٤١٠، ومسلم، في الصحيح رقم ٢٦٧٧، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٤٥٨، ٤٩٩.

(٤) هكذا في جميع النسخ، والصواب: وأخرجه الترمذيُّ، عن الجوز جاني.

(٥) (ط): الواحد، الأحد، الماجد، الفرد، الصمد ا.هـ وفي مصادر التخريج: القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد.

القادر، المقتدر، المقدِّم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المُتعالي، البَرُّ، التوّاب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالكُ الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسِط، الجامع/ ، الغني، المُغني، المعطي[1]، المانع، النافع، [٨٣/أ] الضار، النورُ، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»[2].

قال[3] الترمذي: ولا نعلم في كثيرٍ من الروايات ذكرَ الأسماء[4]، إلا[5] في هذا الحديث[6].

والذي عند بعض الحفَّاظ: أنَّ سرد الأسماء في هذا الحديث مُدرج[7].

هذا ما ذكره العمادُ ابن كثير في تفسيره. ثم قال: ليُعلم أن الأسماء الحُسنى ليس[8] منحصرةً في تسعة وتسعين؛ بدليل ما رواه أحمد، عن يزيد بن هارون، عن فُضيل بن مرزوق، عن أبي سلمة الجُهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ، قال: «مَا

---

(١) المعطي. ليست من طريق الوليد بن مسلم.

(٢) الترمذي، في الجامع رقم ٣٥٠٢، وأخرجه ابن حبان، في الصحيح رقم ٨٠٨، والحاكم، في المستدرك ١/ ١٦.

(٣) (ط): ثم قال.

(٤) في جامع الترمذي ٩/ ١٧٤: لا نعلم في كبير شيء من الروايات له إسنادٌ صحيح ذكرَ الأسماء.

(٥) (ط): الحسنى إلا.

(٦) الترمذي، الجامع ٩/ ١٧٤.

(٧) ينظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، المجموع ٢٢/ ٤٨٢ وابن القيم، المدارج ٣/ ٤١٥، وابن حجر، فتح الباري ١١/ ٢١٦.

(٨) (ط): الأسماء ليست.

أَصَابَ أحداً قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ، فَقَالَ: اللّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ ابنُ عَبدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِك، مَاضٍ فيَّ حُكْمكَ عَدْلٌ فيَّ قَضاؤُك، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُو لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أو عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَن تجْعَلَ الْقرآنَ الْعَظِيم رَبيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي، وذَهَابَ حُزْنِي وَجلاءَ همِّي وَغمِّي، إلاَّ أَذْهَبَ اللهُ همَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكانَهُ فَرَحاً»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله: أَلاَ نَتَعَلَّمهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لمِنْ سَمِعهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»، وقد أخرجه: أبو حاتم، ابنُ[1] حبان في صحيحه[2].

قال[3] قتادةُ؛ في قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ قال: يُشرِكُونَ[4]. وقال ابنُ أبي طلحة، عن ابن عباس: الإلحادُ: التكذيب[5].

قلتُ: والشركُ: تكذيبٌ من المُشرك لما أنزله اللهُ في كتابه وبعث به رسولَه، كما جرى من قُريش وغيرهم مع النبي ﷺ وأصحابه، وكما جرى من المشركين من هذه الأمة. فلم يأخذوا بالآيات المُحكمات في تحريم الشرك وَالنَّهي عَنْهُ، بل كذَّبوا بالصِّدق، واعتمدوا على الكذبِ على الله وعلى كتابه ورسوله.

---

(١) (ط): وابن.

(٢) أحمد، في المسند ١/ ٣٩١، ٤٥٢، وابن حبان، في الصحيح رقم ٩٧٢، وصححه ابنُ القيم، في بدائع الفوائد ١/ ٢٩٣، والهيثمي، في مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٦.

(٣) (ط): وقال.

(٤) تقدم تخريجه عن قتادة في أول الباب، وكأن المصنف يُريد تصحيح نسبة هذا الأثر.

(٥) أخرجه الطبري، في التفسير ١٠/ ٥٩٧، وابن أبي حاتم، في التفسير ٥/ ١٦٢٣.

وأصلُ الإلحاد في كلام العرب: العدولُ عن[(١)] القصد، والميلُ[(٢)].

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

وحقيقــةُ الإلحــاد فيهــا الميــلُ بــالإشراكِ والتعطيـل والنكـرانِ[(٣)]

وأسماءُ الرب تعالى: كلُّها أسماءُ وأوصاف دلّت على كماله جل وعلا.

والـذي/ عليـه أهـلُ السنة والجماعـة قاطبـة متقـدمُهم ومتـأخرهم: إثبـاتُ [٨٣/ب] الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسولُه ﷺ، على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأنَّ الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، يُحتذى حذوه ومثاله[(٤)]. فكما أنه يجب العلم بأنّ لله ذاتاً حقيقة لا تُشبه شيئاً من ذوات المخلوقين، فله صفاتٌ حقيقة لا تُشبه شيئاً من صفات المخلوقين. فمن جَحد شيئاً مما وصف اللهُ به نفسَه أو وصفه به رسولُه، أو تأوّله على غير ما ظهر من معناه: فهو جهميٌّ، قد اتبع غيرَ سبيل المؤمنين.

قال ابن[(٥)] القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فائدةٌ جليلة: ما يجري صفةً أو خبراً على الرب تعالى أقسام:

---

(١) (ط): من.

(٢) ينظر: ابن كثير، التفسير ٣/ ٥١٦.

(٣) ابن القيم، الكافية الشافية، البيت رقم ٣٤٢٨.

(٤) (ط): ومثاله. ساقطه.

(٥) (ط): العلامه ابن.

أحدُها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذاتٌ، وموجود.

الثـاني: مـا يرجـع إلى صـفات معنويـة(١)، كـالعليم والقـدير والـسميع والبصير.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله، كالخالق والرازق.

الرابع: التنزيهُ المحض، ولا بد مـن تـضمُّنه ثبوتـاً؛ إذ لا كـمال في العـدم المحض، كالقدّوس السلام.

الخـامس: ولم يـذكره أكثـرُ النـاس، وهـو: الاسـمُ الـدال عـلى جُملـة أوصاف لا تـختص(٢) بصفة معيّنة. بل دالٌّ على معانٍ: نحـو المجيـد العظيم الصمد؛ فإن المجيد من اتصف بصفات مُتعددة مـن صـفات الكـمال؛ ولفظُـه يدل على هذا. فإنّه موضوعٌ للسعة والكثرة وزيادة(٣)، فمنه: اسـتمجَدَ المـرْخُ والعَفَار(٤)، وأمجد الناقة: علفها. ومنه: رب الْعَرْشِ الـمَجِيد. صفةٌ للعـرش، لسعته وعظمته وشرفه.

وتأمّل كيف جاء هذا الاسمُ مقترناً بطلـب الـصلاة مـن الله عـلى رسـوله، كما علّمنا ﷺ؛ لأنه في مقـام طلـب المزيـد، والتعـرُّضِ لـسعة العطـاء وكثرتـه

---

(١) (ط): منعوته.

(٢) (ط)، والمصدر: أوصاف عديدة لا يختص.

(٣) (ط)، والمصدر: والزيادة.

(٤) (ط): العقار. وعلق في هامش (ص): عفار . كسحاب. اهـ. والمعنى: استكثرا من النار. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط ٤/ ٢٠٥.

ودوامه. فأتى في هذا المطلوب: باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم. فهو راجعٌ إلى التوسل إليه[١] بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه، ومنه: الحديثُ الذي في المسند، والترمذي: «**أَلِظُّوا بِيَاذَا الجَلاَلِ والإِكْرَام**»[٢]، ومنه: «**اللَّهُمّ إنِّي أَسْأَلُكَ/ بأَنَّ لَكَ الحمد لاَ إلهَ إلا أَنْتَ المنَّانُ بَدِيعُ السَّماوَات وَالأَرْض، يَاذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرام**»[٣]. [٨٤/أ]

فهذا سؤالٌ له، وتوسلٌ إليه[٤] بحمده، وأنَّه لا إله إلَّا هو المنان. فهو توسلٌ إليه[٤] بأسمائه وصفاته. وما[٥] أحقُّ ذلك بالإجابة، وأعظمه موقعاً عند المسئول، وهذا بابٌ عظيم من أبواب التوحيد.

السادس: صفةٌ تحصل من اقتران[٦] أحد الاسمين أو[٧] الوصفين بالآخر، وذلك قدرٌ زائد على مفرديهما، نحو: الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد. وهكذا عامةُ الصفات المُقترنة، والأسماء المزدوجة في

---

(١) (ط): إليه ساقطه.

(٢) أحمد، في المسند ٤/ ١٧٧، والترمذي، في الجامع رقم ٣٥٢٢، وأخرجه الحاكم، في المستدرك ١/ ٤٩٩، وصححه ووافقه الذهبيُّ، من حديث ربيعه وأنس.

(٣) أخرجه أبو داود، في السنن رقم ١٤٩٥، والنسائي، في المجتبى ٣/ ٥٢، وأحمد، في المسند ٣/ ١٥٨، ٢٤٥، ٢٦٥، وصححه ابنُ القيم، في شفاء العليل ٤٥٨، من حديث أنس.

(٤) ما بينهما ساقطٌ من (ط) وهو انتقال نظر.

(٥) (ط): فما.

(٦) اقتران. معلقٌ في هامش الأصل وعليه كلمة صح. وساقطٌ من (ص).

(٧) (ص) (ط): و.

القرآن؛ فإنّ الغنى صفةُ كمال والحمدُ كذلك، واجتماعُ الغنى مع الحمد كمالٌ آخر. فله ثناءٌ من غَنائه وثناء من حمده وثناءٌ من اجتماعهما، وكذلك الغفور القدير، والمجيد الحميد[1]، والعزيز الحكيم. فتأمله، فإنه من أشرف المعارف[2].



(١) (ط): والحميد المجيد.

(٢) ابن القيم،بدائع الفوائد ١/ ٢٨٠ – ٢٨٣.

(٥١)
بـــابٌ
لا يُقالُ السلامُ على الله

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ لا يُقالُ السلامُ على الله. في الصحيح، عن ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كُنَّا إذا كنَّا مع النبيِّ ﷺ في الصلاة، قُلْنَا: السَّلامُ على الله من عبادِه، السَّلامُ على فلان. فقال النَّبيُّ ﷺ: «لا تقولوا السَّلَامُ على الله، فإن اللهَ هو السَّلامُ»(١).

ت: هذا الحديثُ: رواه البخاريُّ، ومسلم، وأبو داود، وغيرُهم، عن ابن مسعود. وفي هذا الحديث: النهيُ عن ذلك، وقد كان النبيُّ ﷺ إذا انصرف من الصلاة(٢) استغفر ثلاثا، وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، ومِنْكَ السلامُ، تَبارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»(٣)، وفي الحديث: أن هذا هو تحيةُ أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى(٤).

---

(١) البخاري، في الصحيح رقم ٨٣٥، ومسلم، في الصحيح رقم ٤٠٢، وأبو داود، في السنن رقم ٩٦٨.

(٢) (ط): من الصلاة المكتوبة.

(٣) أخرجه مسلم، في الصحيح رقم ٥١٩، وأحمد، في المسند ٥/ ٢٧٥، ٢٧٩ عن ثوبان.

(٤) تقدم في حديثٍ مُرسل في الباب رقم: ٣٦، ويَشهد لذلك قولُه تعالى ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٤].

قولُه: «فإنَّ اللهَ هو السلامُ» فهو(١) تعالى سالمٌ من كل نقص ومن كل تمثيل، فهو الموصوفُ بكل كمال، المنزّهُ عن كل عيب ونقص.

قال في البدائع: السلامُ: اسمُ مصدر، وهو من ألفاظ الدعاء يتضمَّن الإنشاءَ والإخبار. فجهةُ الخبرية فيه لا تُناقض الجهة الإنشائية، وهو معنى السلامِ المطلوب عند التحية، وفيه قولان مشهوران:

الأول: أنَّ السلام هنا هو الله عز وجل، ومعنى الكلام(٢): نزلت بركتُه عليكم، ونحو هذا. فاختير في هذا المعنى من أسمائه عز وجل اسمُ السلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: أنَّ السلام مصدرٌ بمعنى السلامة، وهو المطلوب المدعوُّ به عند/ التحية. ومن حُجة أصحاب هذا القول: أنّه يأتي منكَّراً، فيقول المسلِّم: سلامٌ عليكم. ولو كان اسماً من أسماء الله لم يُستعمل كذا. ومن حجتهم: أنّه ليس المقصودُ من السلام هذا المعنى، وإنما المقصودُ منه: الإيذانُ بالسلامة، خبراً أو دعاء(٣). [٨/ب]

قال ابن القيم(٤) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفصلُ الخطاب، أن يقال: الحقُّ في مجموع القولين. فكلٌّ منهما معه بعضُ الحق، والصوابُ في مجموعهما، وإنما يتبيَّنُ

---

(١) (ط): أي هو.

(٢) (ط): السلام.

(٣) ابن القيم، بدائع الفوائد ٢/ ٦٠٦، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١٤.

(٤) ابن القيم. ليست في (ط).

ذلك بقاعدة، وهي: أنَّ حق مَن دعا الله بأسمائه الحسنى أن يسأل في كل مطلوب، ويتوسل(١) بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسبِ لحصوله، حتى إنّ الداعي متشفِّعٌ إلى الله تعالى متوسلٌ به إليه. فإذا قال: رب اغفر لي وتُب عليّ، إنك أنت(٢) التوابُ الغفور. فقد سأله أمرين(٣)، وتوسل إليه باسمين من أسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه. فالمقامُ لما كان مقامَ طلب السلامة ــ التي هي أهمُّ عند الرجل ــ أتى في لفظها بصيغة اسمٍ من أسمائه(٤)، وهو السلام الذي(٥) تُطلب منه السلامة، وهو مقصودُ المسلِّم، فقد تضمَّن سلامٌ عليكم: اسماً من أسماء الله تعالى وطلبَ السلامة منه، فتأمل هذه الفائدة(٦).

وحقيقتُه: البراءةُ والخلاص والنجاةُ من الشر والعيوب، وعلى هذا المعنى تدورُ تصاريفهُ، فمن ذلك قولك: سلَّمك الله. ومنه(٧) دعاءُ المؤمنين على الصراط: اللهم سلِّم سلّم. ومنه: سَلِم الشيءُ لفلان، أي: خَلَص له وحده؛ قال(٨) تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا

---

(١) (ط): أن يتوسل في كل مطلب ويسأل.

(٢) أنت. ليست في (ط).

(٣) (ط): بأمرين.

(٤) (ط): أسماء الله.

(٥) الأصل و(ص): التي.

(٦) ابن القيم، بدائع الفوائد ٢/ ٦١٥، ٦١٦.

(٧) الأصل(ص): وفيه.

(٨) (ط): كما قال.

لِرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩] أي: خالصاً له وحدَه لا يملكه معه غيرُه. ومنه: السِّلْم ضدُّ الحرب؛ لأن كل واحد من المتحاربَين يخلَص ويسلم من أذى الآخر؛ ولهذا بُني فيه على المُفاعلة[(١)]، فيقال: المسالمة، مثل المشاركة. ومنه القلبُ السليم، وهو النقي من الدَّغَل والعيب، وحقيقتُه: الذي قد سلِم لله وحدَه فخلَص من دَغَل الشرك وغلِّهِ ودغل الذنوب والمخالفات، بل هو المستقيم على صِدقِ حبه وحُسن معاملته. وهذا هو الذي ضمن له النجاةَ من عذابه والفوزَ بكرامته. ومنه أُخذ الإسلام؛ فإنه من هذه المادة؛ لأنه الاستسلام والانقيادُ له والتخلُّص من شوائب الشرك، فسلِم لربه وخلَص له، كالعبد الذي سلم[(٢)]/ لمولاه، ليس له فيه شُركاء متشاكسون؛ ولهذا ضرب [٨٥/أ] سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه، وللمشرك به[(٣)].



(١) الأصل: الفاعليه.

(٢) (ط): خلص.

(٣) ابن القيم، بدائع الفوائد ٢/ ٥٩٩، ٦٠٠.

(٥٢)

بـــابُ

قولِ: اللهم اغفر لي إنْ شِئتَ

قـال المـصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: بـابُ قـولِ: اللهـم اغفـر لي إنْ شِـئتَ. في الصحيح، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «لا يَقُل أحدُكم: اللهم اغفْر لي إن شِئْتَ، اللهـم ارْحمنِـي إن شـئتَ، لِيعْزمِ المسألةَ؛ فـإنَّ الله لا مُكْرِهَ لَهَ»[١].

ت: بخلاف العبد، فإنه قد يُعطي السائل مسألتَه: لحاجته إليه أو لخوفِه و[٢]رجائه، فيُعطيه مسألتَه وهو كاره. فاللائقُ بالسائل للمخلوق أن يعلِّق حصولَ مسألته على مشيئة المسؤول مخافةَ أن يُعطيه وهو كاره، بخلاف رب العالمين فإنه يعطي عبدَه ما أراد بفضله وكرمه وإحسانه.

فالأدبُ مع الله: أن لا يعلِّق مسألته لربه بشيءٍ؛ لسعة فضله وإحسانه وجوده وكرمه، وفي الحديث «لِيَعْزم المَسْأَلَةَ»، وفي الحديث: «يَمينُ اللهِ مَلأى لاَ يَغِيضُها نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ»[٣] الحديث.

---

(١) البخاري، في الصحيح رقم ٦٣٣٩، ٧٤٧٧، ومسلم، في الصحيح رقم ٢٦٧٩، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ١٣، ٤٦٤، ٤٨٦.

(٢) (ط): أو.

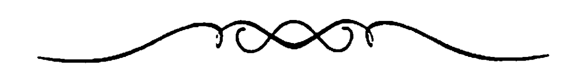
(٣) أخرجه البخاري، في الصحيح رقم ٤٦٨٤، ومسلم، في الصحيح رقم ٩٩٣، وأحمد، في المسند ٢/ ٢٤٢ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قـال المـصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولمسلم «ولـيُعَظِّمِ الرَّغْبَـةَ؛ فـإِنَّ الله لا يَتَعاظَمُهُ شَيءٌ أَعطاهُ»(١).

ت: قولُه: (ولمسلم: وَلْيعَظِّم الرَّغْبَةَ) أي(٢): في سُؤالِهِ رَبَّهُ حاجتهُ؛ فإِنَّهُ يُعطِي الْعَظائمَ كَرَماً وَجوداً وَإِحْساناً «فإِنَّ اللهَ لاَ يتعاظَمُه شَيْءٌ أَعْطَاهُ» أي: ليس ما أعطى عبدَه مما سأله بعظيمٍ عنده؛ لكمالِ فضله وجُوده، وقد قال بعضُ الشعراء في مخلوقٍ يمدحه:

ويعظمُ في عين الصغيرِ صغارُها ويصغرُ في عين العظيم العظائمُ(٣)

والله تعالى أحقُّ بكل مِدحةٍ وثناء.



---

(١) مسلم، في الصحيح رقم ٢٦٧٩، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٣١٨.
(٢) (ط): أي. ساقطه.
(٣) المتنبي، الديوان ٢٩٠.

(٥٣)
بـــابٌ
لا يقول: عَبْدي وأمَتي

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ لا يقول: عَبْدي وأَمَتي. في الصحيح، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «لا يقولنَّ أحدُكم: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئ رَبَّكَ. وَلْيَقُلْ: سيدي ومولايَ. ولا يقل أحدُكم: عَبْدي وَأَمتي. وليقل: فَتَاي وَفتاَتي وَغُلاَمي»(١).

ش: هذه الألفاظُ المنهيُّ عنها: وإنْ كانت تُطلق لغةً، فالنَّبيُّ ﷺ نهى عنها؛ تحقيقاً للتوحيد، وسداً لذرائع الشرك؛ لما فيها من التشريك في اللفظ.

لأن الله هو ربُّ العباد جميعهم، فإذا أُطلق على غيره ما يُطلق عليه وقع الشَّبهُ في اللفظ. فينبغي أن يُجتنب هذا اللفظ، في حق المخلوق(٢). فأرشدهم ﷺ إلى ما يقوم مقامَ هذا اللفظ، وهو قولُه: «سيدي ومولاي»، وكذلك قوله: «ولا يقل أحدُكم/ عَبْدي وَأَمتِي»؛ لأن العبيدَ عبيدُ الله، والإماءَ [٨٥/ ب] إماءُ الله؛ قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ الآية [مريم: ٩٣].

---

(١) البخاري، في الصحيح رقم ٢٥٥٢، ومسلم، في الصحيح رقم ٢٢٤٩، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٣١٦.

(٢) (ط) زيادة: من ذلك.

(٥٤)

بــــابٌ
لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ لا يُردُّ مَنْ سَأَلَ باللهِ. عن ابن عمر، قال: قال رسولُ الله ﷺ «مَنِ اسْتَعاذَ بالله فَأَعيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بالله فأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فأَجيبوُهُ، ومَنْ صَنَعَ إليكم مَعْرُوفاً فَكافِئُوهُ، فإنْ لم تَجِدُوا مَا تُكافِئُوهُ، فَادْعُوا لهُ حتىَّ تُرَوا أَنَّكُم قَدْ كافأْتمُوهُ» رواه أبو داود، والنسائيُّ بسندٍ صحيح[١].

ت: ظاهُر الحديث: النهيُ عن رد السائل إذا سأل بالله، ويحُتمل أن يكون المرادُ: فيما لا مشقة فيه على المسئول ولا ضرر. فيكونُ من باب[٢] مكارم الأخلاق، ومعالي الشيم. وربما كان السائلُ محُتاجا أو مضطراً، فيجب أن يُعطى ما سأله ويأثم المسئول على[٣] منعه، فيُؤخذ من ماله أضعاف ما منع على وجه يكرهه، كما جرى لبعض الناس[٤].

فباعتبار هذه الأمور: ينبغي لمن أعطاه اللهُ نعمةً أنْ يؤدي حقَّ الله فيها، ويُعطي مَن سأله من فُضول نعمة الله عليه، خصوصاً إذا سأل بالله تعالى.

---

(١) أبو داود، في السنن رقم ١٦٧٢، والنسائي، في المجتبى ٥/ ٨٢، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٦٨، ٩٩، ١٢٧، وصححه النوويُّ في رياض الصالحين ٦٥٣.

(٢) (ط): باب. ساقطه.

(٣) (ط): في.

(٤) (ط): كما جرى لبعض الناس. ساقط.

فيكون إعطاؤه تعظيماً لمن سأل به، وهو الله تعالى.

قولُه: «مَنْ اسْتَعَاذَ بالله فَأَعِيذُوهُ» تعظيماً لله تعالى، وتقرُّباً إليه بذلك.

قولُه: «وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ» هذا من حق[1] المسلم على المسلم، ومن أسباب الأُلفة وسلامة الصدور؛ إكراماً للداعي[2].

قولُه: «ومَنْ صَنَعَ إِلَيكُمْ مَعْرُوفاً فكافِئُوهُ» أي: ينبغي المكافأة على المعروف، وهو: من مكارم الأخلاق. وفيه: السلامةُ من البخل وما يُذم به.

[3]قولُه: «فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له» فيه: أنَّ الدعاءَ يقوم مقامَ المكافأة، في حق مَن لم يجد ما يُكافئ[3] به[4].

قولُه: (حتى تُرَوا) بضم التاء. أي: تظنوا.

وفي روايــة أبي نَهيـك، عــن ابــن عبــاس: «**مَــنْ سَــأَلَكُمَ بِوَجْــهِ اللهِ فَأَعْطُوهُ**»[5].

---

(١) (ص) (ط): حقوق.

(٢) (ط): الصدر وإكرام الداعي.

(٣) ما بينهما ساقط من (ط).

(٤) المسألة الخامسة.

(٥) أبو داود، في السنن رقم ٥١٠٨، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٢٥٠، وأبو يعلى الموصلي، في المسند رقم ٢٥٣٦، ٢٧٥٥، وله شاهدٌ من حديث أبي موسى الأشعري، بلفظ «ملعون من سُئل بوجه الله فمنع سائلَه ما لم يسأله هُجْراً» أخرجه الطبراني، في الدعاء رقم ٢١١٢، والمعجم الكبير، كما في مجمع الزوائد ٣/ ١٠٣، وصححه المنذري، في الترغيب ٢/ ١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد، وذكره الألباني في صحيحته ٥/ ٣٦٣.

(٥٥)
بـــابٌ
لا يُسألُ بوجهِ الله إلَّا الـجَنَّة

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ لا يُسْأَلُ بِوجْهِ الله إلَّا الـجَنَّةَ. عن جابر، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ الله إلا الجنَّةَ» رواه أبو داود[١].

ت: ذكر فيه حديثَ جابر[٢]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاَ يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إلَّا الجنَّةَ» وهُنا سؤالٌ، وهو: أنه قد ورد في دُعاء النبي ﷺ عند مُنصرفه من الطائف ـ حين كذَّبته ثقيف ـ دعا بالدعاء/ المأثور: «اللَّهُمَّ أَشْكُو إِلَيْكَ [٨٦/أ] ضَعْفَ قُوَّتِي، وقِلَّةَ حيلتي، وهواني على النَّاسِ، أَنْت ربُّ المُسْتَضْعَفِينَ، وأنتَ ربيِّ. إلى مَنْ تَكِلُني؟ إلى بَعيدٍ يَتَجَهَّمُني، أَوْ إلى عَدُوٍ مَلَّكْتَهُ أَمْري، إنْ لمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عليَّ فلا أُبالي، غير أَنَّ عافِيَتَكَ هي أَوْسَعُ لي، أَعُوذُ بِنُور وجهكَ الذَّي أَشْرَقَتْ لهُ الظُّلُمَات، وصَلُح علَيْه أمر الدُّنْيا والآخرة، أنْ يَحِلَّ عليَّ غضبُك أَوْ ينزلَ بي سَخَطُكَ، لك العُتْبَى حتىَّ ترضَى، ولا حول ولا قُوَّة إلاَّ بك»[٣]، والحديثُ المروي في الأذكار: «اللَّهُمَّ أَنتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ،

---

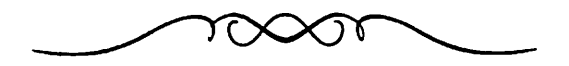
(١) أبو داود، في السنن رقم ١٦٧١، وله شاهدٌ من حديث أبي موسى الأشعري، بلفظ «ملعون من سأل بوجه الله» أخرجه الطبرانيُّ، في كتاب الدعاء رقم ٢١١٢، والمعجم الكبير، كما في مجمع الزوائد ٣/ ١٠٣، وصححه، وصححه المنذري في الترغيب ٢/ ١٧.

(٢) (ط): زيادة. رواه أبو داود.

(٣) أخرجه الطبراني، في كتاب الدعاء رقم ١٠٣٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد=

وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ» وفي آخره: «أَعُوذُ بِنورِ وَجْهِكَ الَّذي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّماواتُ وَالأَرْضُ»(١) ونحوهُ في الأحاديث المرفوعة.

فيُحتمل(٢) أنَّ هذا فيما يكرهه العبد دون(٣) ما يُحبه ويتمنَّاه، ويُحتمل غير هذا(٤)، والله أعلم.



= ٦/ ٣٥: فيه ابنُ إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. وأصلُه: أخرجه البخاري، في الصحيح رقم ٣٢٣١، ومسلم، في الصحيح رقم، ١٧٩٥، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(١) أخرجه الطبراني، في المعجم الكبير رقم ٨٠٢٧، وضعَّفه الهيثمي، في مجمع الزوائد ١٠/ ١١٧ من حديث أبي أُمامة.

(٢) (ط): يحتمل.

(٣) (ط): لا فيما.

(٤) واختار المؤلف في الشرح ٢/ ٧٦٢: أن ذلك مختص بسؤال الجنة أو ما يقرِّب إليها، أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة. بخلاف ما يختص بالدنيا، كسؤاله المال والرزق والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا. وهذا هو الموافق لحديث الباب.

(٥٦)
بــابُ
ما جاء في اللَّوِّ

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاء في اللَّوِّ.

ت: أي: مِن النهي[١] عنه عند الأُمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدرُ ونحوها.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ت: قاله بعضُ المنافقين يوم أُحد؛ لخوفهم وجَزعهم وخوَرهم.

قال ابنُ إسحاق: فحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن أبيه[٢]، عبد الله بن الزُّبير، قال: قال الزُّبيرُ: لَقَدْ رَأَيتُني مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْنَا الخوفُ أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْنَا النَّوْمَ، فَمَا مِنَّا رَجُلٌ إلاَّ ذَقنُهُ في صَدْرِهِ، قَالَ: فَو الله إِني لأَسْمَعُ قولَ مُعتِّب بن قُشير ـ ما أسمعه إلا كالحُلم ـ: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا. فحفظْتُها منه؛ وفي ذلك أنزل اللهُ عز وجل: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ لقول مُعتِّب، رواه ابنُ

---

(١) (ط): من الوعيد والنهي.

(٢) (ط): عن أبيه، عبد الله بن الزبير. ساقط. وفي مصدر التخريج: عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير. وفي تهذيب الكمال ٣١/ ٣٩٤: روى عن أبيه عباد، وعن جده عبد الله بن الزبير.

أبي حاتم(١).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

ت: وقال مجُاهد: عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآيةُ في عبد الله بن أُبي(٢). يعني: أنه هو الذي قال ذلك.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الصحيح، عن أبي هريرة: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «احْرِصْ عَلَى ما يَنْفَعُك، وَاسْتَعِنْ بالله وَلا تَعْجِزَنَّ. وَإِن أَصَابكَ شَيْءٌ فلا تقل: لَو أَنِّي فَعَلْتُ لكان كذا وكذا. ولكن قُلْ: قَدَرُ الله وما شاء فعل؛ فإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٣).

ت: اختصر المصنفُ هذا الحديث، وتمامهُ: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلَى الله/ مِنَ المؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفي كُلٍّ خَيْرٌ»(٤). /ب]

قولُه: «احْرِص عَلَى ما يَنْفَعُكَ» أي: في دُنياك وأُخراك، وخصَّ ما ينفع دون ما ليس كذلك مما فيه ضررٌ أو عدمُ نفع، وذلك لا يخرج عن الواجب

---

(١) ابن إسحاق، في المغازي، كما في تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٦، وابن أبي حاتم، في التفسير ٣/ ٧٩٥، وأخرجه ابن جرير، في التفسير ٦/ ١٦٨، قال ابنُ حجر، في الإصابة ١٠/ ٢٦٤ في ترجمة معتب: وقيل: إنه تاب.

(٢) أخرجه ابن جرير، في التفسير ٦/ ٢٢٧.

(٣) مسلم، في الصحيح رقم ٢٦٦٤، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٣٦٦، ٣٧٠.

(٤) (ط): زيادة: إلى آخره.

والمُستحب والمبُاح إذا كان نافعاً.

قولُه[١]: «واسْتَعِنْ بِالله»؛ لأنه لا يحصل ذلك[٢] إلَّا إذا كان مُستعيناً[٣] بالله.

قولُه: «وَلا تَعْجِزَن» نهاه عن العجز؛ لأنه مما يُذمّ به عقلاً وشرعاً، فما أكثرَ ذلك في الناس. فكم فوَّت الإنسانُ على نفسه من الخير، وهو يقدر عليه إذا رغب فيه واستعان بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قولُه: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا» لأن ما قُدِّر يكن، فيجب الإيمانُ بالقَدر والتسليم. وأرشده أن[٤] يقول: «قَدَر الله» أي: هذا قَدَرُ الله. والمبتدأُ محذوف، تقديرُه[٥]: هذا قدَرَ الله «وَمَا شَاءَ فَعَل» لأن أفعاله تعالى إنما تصدرُ: عن حِكمة، وعلم، وفضل، وعدل ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

قولُه: «فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[٦] لما فيها من التأسف على ما فات، والحُزْن ـ فيأثم في ذلك، وذلك من عمل الشيطان ـ والتعنُّتِ على القَدَر وملامتِه[٧].

---

(١) قوله: ليست في الأصل و(ص).

(٢) (ص) (ط): له ذلك.

(٣) الأصل: مستغنياً.

(٤) (ط): إلى أن.

(٥) (ط): وتقديره.

(٦) (ط): أي: لما.

(٧) والتعنت على القدر وملامته. ليست في (ط).

(٥٧)

بـــابُ

النهيِ عن سَبِّ الرِّيح

قـال المـصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بـابُ النهـي عـن سَـبِّ الـرِّيح. عـن أُبيِّ بـن كَعْبٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ، فإذا رَأَيْتُمْ ما تكرهـون، فقولوا: اللهُم إنَّـا نَسْأَلُكَ خيرَ[١] هـذه الـرِّيح، وخيرَ ما فيها، وَخيرَ ما أُمِرَتْ به، وَنعوذُ بك من شَرِّ هذه الرِّيح وشَرِّ ما فيها وشَرِّ ما أُمِرَتْ به» صَحَّحَهُ الترمذيُّ[٢].

ت: لأن الريح خلقٌ من خلْقِ الله مدبَّر، وإنما تَهُبُّ بمشيئة الله وقدَره[٣]، فيرجع السبُّ إلى مَن خلقها وسخَّرها. وأرشد النبيُّ ﷺ أمته أن[٤] يقولوا ما ذُكر في الحديث: وهو سؤالُه تعالى خيرَها[٥] وخيرَ ما فيها، والاستعاذةُ به من شرِّها وشر ما فيها.

وقد شرع اللهُ لعباده: أنْ يسألوه ما ينفعهم ويستعيذوا به من شرِّ ما

---

(١) (ط): ومصدر التخريج: من خير.

(٢) الترمذي، في الجامع رقم ٢٢٥٣، وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٢٣، وأخرج جُمل الدعوات: مسلم، في الصحيح رقم ٨٩٩.

(٣) (ط): وقدرته.

(٤) (ص) (ط): إلى أن.

(٥) خيرها و. ليست في الأصل.

يضرُّهم، وأن يكون ذلك منهم عبوديةً لله وحده، وطاعة له وإيماناً بالله[١].

وهذه حالُ أهل التوحيد والإيمان، خلافاً لحال أهل الشرك والبدع.



(١) (ص) (ط): به.

(٥٨)
بـــابُ
قولِ الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ / ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. [٨٧/أ]

ت: وهذه الآيةُ ذكرها اللهُ تعالى في سياق قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] يعني: أهل الإيمان والثباتِ والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأنَّ الله تعالى ينصر رسولَه ﷺ ويُنجز له(١) مأموله؛ ولهذا قال: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ يعني: لا يغشاهم النعاسُ من القلَق والجزَع والخوف: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح: ١٢] وهَكذا هؤلاء، اعتقدوا أنّ المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنّوا أنها الفيصَلة، وأنَّ الإسلام قد باد وأهلُه. وهذا شأنُ أهل الرَّيب والشك، إذا حصل أمرٌ من الأمور تحصل لهم هذه الأمورُ الشنيعة.

قال العلاّمةُ ابنُ القيم: وقد فُسِّر هذا الظن ـ الذي لا يليق بالله سبحانه ـ

---

(١) (ط): له. ساقطه.

بأنه[١] لا ينصر رسولَه، وأنَّ أمره سيضمَحِل. وفُسر: بظنهم أنَّ ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقَدَره[٢]. ففُسِّر بإنكار الحِكمة وإنكار القَدَر، وإنكارِ أنْ يَتم أمرُ رسوله، وأن يُظهره على الدين كلِّه.

وهذا[٣]: هو ظنُّ السَّوء[٤] الذي[٥] ظنَّه المنافقون والمُشركون في سُورة الفتح، وإنما كان هذا ظنَّ السَّوء؛ لأنه ظنٌّ غيرِ ما يليقُ بحكمته[٦] سبحانه، وما يليق بحمده[٧] ووعده الصادق.

فمن ظنَّ أنه يُديلُ الباطلَ على الحق إدالةً مستقرَّة، يَضمحلُّ معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدَره، أو أنكر أن يكون قَدَرُه لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئةٍ مجرَّدة، فذلك ظنُّ الذين كفروا ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

---

(١) (ط): بأن.

(٢) (ط): بقدر الله وحكمته.

(٣) (ط): هذا.

(٤) (ط): زيادة: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾.

(٥) (ط): وهذا هو الذي. ومن هنا إلى قوله ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أُخِّر عن هذا الموضع.

(٦) (ط): به.

(٧) (ط): بحكمه وحمده.

[(١)]وأكثرُ الناس: يظنون بالله ظنَّ[(٢)] السَّوء، فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم. ولا يَسْلَمُ من ذلك إلاّ من عَرَفَ الله وعرف أسماءه[(٣)] وصفاتَه وموجَب حكمته وحمدِه. فليعتن اللبيبُ الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشت مَن فتشت لرأيتَ عنده تعنتاً على القدر وملامةً له، وأنه ينبغي أن يكون كذا وكذا. فمستقِلٌّ ومُستكثِرٌ، وفتش نفسَكَ. هل أنت سالم؟

فإن تَنجُ منها تَنْجُ من ذي عَظيمةٍ   وَإلاّ فإني لا إخالُكَ ناجِياً/[(٤)] [٨٧/ب]

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ الآية [الفتح: ٦].

ت: قال ابنُ جرير، في تفسيره ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ أي: الظانين بالله أنه[(٥)] لن ينصرَك وأهلَ الإيمان بك على أعدائك، وأن[(٦)]يظهر كلمتَه فيجعلَها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السَّوءَ من ظُنونهم التي ذكرَها اللهُ في هذا

---

(١) من هنا إلى قوله: إخالك ناجيا. ساقط من (ط). والبيتُ للفرزدق، كما في طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم ١/ ١٨٢، ٣٦٣.

(٢) (ط): يظنون ظن.

(٣) (ط): عرف الله وأسماءه.

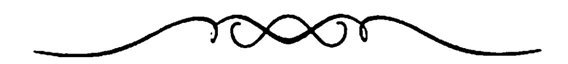
(٤) ابن القيم، زاد المعاد ٣/ ٢٢٨ - ٢٣٠، ٢٣٥. وذكره المصنفُ آخر الباب.

(٥) (ط): أن.

(٦) في المصدر: لن.

الموضع[١].

وقال ابنُ كثير: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ أي: يتهمون الله في حُكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقُتلوا ويذهبوا بالكُلِّية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾[٢].



(١) ابن جرير، التفسير ٢١/ ٢٤٨.

(٢) ابن كثير، التفسير ٧/ ٣١١.

(٥٩)
بــابُ
ما جاءَ في مُنْكِرِي القَدَرِ

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاءَ في مُنكِرِي[١] القَدَر.

ت: أي: مِن الوعيد.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال ابنُ عمر: وَالَّذِي نَفْسُ ابنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لو كان لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبِلَه اللهُ منه حتى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ؛ ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمانُ أَنْ تُؤْمِنَ بالله، وملائكته، وكُتُبه، ورُسله، واليومِ الآخِرِ، وتُؤمنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» رواه مسلم[٢].

ت: حديثُ ابن عمر[٣]: أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابنُ ماجه، عن يحيى بن يَعْمَر[٤]، قال: كان أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ في القَدَر بالبَصرةِ مَعبدُ الجُهَنِيّ[٥]. فانطلقتُ أنا وحُميدُ بن عبد الرحمن

---

(١) الأصل: منكر.

(٢) مسلم، في الصحيح رقم ٨.

(٣) (ط): ابن عمر هذا.

(٤) يحيى بن يَعْمَر البصري، نزيل مرو وقاضيها، ثقةٌ فصيح وكان يُرسل، من الثالثة. مات قبل المائه. ابن حجر، التقريب ١٠٧٠.

(٥) مَعبد بن خالد الجُهني القَدَري، صدوقٌ مبتدع، من الثالثة. قُتل سنة ثمانين. ابن حجر، التقريب ٩٥٧.

الحِمْيري(١)، حاجّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رَسُولِ الله ﷺ فسألناهُ عما يقولُ هؤلاءِ في القَدَرِ. فوفَّقَ الله لنا عبد الله بن عُمَرَ داخلاً المسجدَ، فاكتَنَفْتُه أنا وصاحبي، فَظننتُ أنَّ صَاحبي سَيَكِلُ الكلامَ إليّ، فقلتُ: أبا عبد الرحمنِ، إنَّه قد ظهرَ قِبلَنا أُناسٌ يقرؤنَ القرآن ويتقفَّرونَ العِلْمَ(٢)، يزعَمُونَ أنْ لا قدَرَ وَأنَّ الأمْرَ أُنُفٌ. فقال: إذا لقيتَ أولئك فأخبرهم: أني بَريءٌ منهم، وأنهم بُرَآءُ مِني. وَالَّذِي يحْلفُ به عبد الله بن عُمرَ: لَوْ أنَّ لأحدِهِم مِثْلَ أُحُدٍ ذَهباً فأنفقَه، ما قَبلَه اللهُ مِنْهُ حتَّى يُؤْمنَ بالقَدَرِ.

ثم قال: حدثني عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينا نحن عِنْدَ رسولِ الله ﷺ، إذ طَلَعَ عَلَيْنا رَجلٌ شَديدُ بَيَاضِ الثِّيابِ، شَديدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لاَ يُرى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إلَى النبي ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فخِذَيْهِ، وقَالَ: يَا محمد، أخبرني عن الإسلام. قال: «الإسلامُ أنْ تشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وَتصُومَ رَمَضَانَ، وتحُجَّ الْبَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا» قَالَ: صَدَقْتَ./ [٨٨/أ] فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ ويُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخبِرْنِي عَنِ الإيْمَانِ. قَالَ: «أَنْ تَؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ والْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ. قال: فأَخْبِرْني عَنِ الإحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تعبدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّهُ يَرَاكَ»، قالَ: فَأَخْبِرْنِي عن الساعة. قال: «ما المسؤول عنها

---

(١) (ط): الحميدي. تحريف. وهو حُميد بن عبد الرحمن الحِميري، البصري، ثقةٌ، من الثالثة. ابن حجر، التقريب ٢٧٥.

(٢) يتقفَّرون العلم. أي: يتطلَّبونه ويتبعون أثره. ابن الأثير، النهاية ٤/ ٩٠.

بأعلمَ من السائل» قال: فأخبرني عن أمارَاتِهاَ. قالَ: «أنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتها، وَأَنْ تَرىَ الحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ». قَالَ: فَانْطَلَقَ فَلَبث مَلِيًا، ثُمَّ قال: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم. قَالَ: «إِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١).

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن عُبادَةَ بن الصَّامِتِ، أَنَّه قال لابنه: يا بُنيَّ، إِنَّكَ لن تجِد طَعْمَ الإيمانِ حتى تَعْلَم أنَّ ما أَصَابَكَ لم يكُنْ لِيُخطِئكَ، وما أَخْطَأَكَ لم يكن ليُصِيبَكَ. سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القلَم، فقالَ له: اكتُبْ. فقال: ربِّ، وماذا أَكتبُ. قال: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شيءٍ حتى تَقُومَ السَّاعةُ» يا بُنَيَّ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «منْ مَاتَ على غير هذا فليس مِنِّي»(٢) وفي رواية لأحمد: «إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله تعالى القَلَم، فقال له: اكتُبْ. فَجَرَى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»(٣).

وفي رواية لابن وَهْب: قال رسولُ الله ﷺ: «فَمَنْ لم يُؤْمِن بالقَدَرِ

---

(١) مسلم، في الصحيح رقم ٨، وأبو داود، في السنن رقم ٤٦٩٥، والترمذي، في الجامع رقم ٢٦١٣، والنسائي، في المجتبى ٨/ ٩٧، وابن ماجة في السنن رقم ٦٣، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٥١.

(٢) أخرجه أبو داود، في السنن رقم ٤٧٠٠، والترمذي، في الجامع رقم ٢١٥٦، ٣٣١٦، وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح غريب، وأحمد، في المسند ٥/ ٣١٧، والضياء، في المختاره رقم ٣٣٦.

(٣) أحمد، في المسند ٥/ ٣١٧.

خيرِه و شرِّهِ أحْرَقَهُ اللهُ بِالنارِ»[١].

ش: حديثُه هذا: رواه أبو داود، ورواه الإمامُ أحمد بكماله. قال: حدثنا الحسن بن سَوَّار، حدثنا ليثُ، عن معاوية، عن أيوب بن زياد، حدثني عُبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي، قال: دَخَلْتُ عَلَى عُبادةَ وَهُوَ مَرِيضٌ أتخايلُ فيه الموتَ، فقلت: يا أبتاه أوصِني واجتَهد لي. قال[٢]: أجلِسُوني. قال: يا بُنيَّ إنك لن تجدَ طَعمَ الإيمان، ولن تبلُغَ حقيقةَ العلم: حتى تُؤمنَ بالقَدَر خيرِه وشرِّه. قلت: يا أبتاه وكيفَ أعلَمُ ما خيرُ القَدَر وشرُّه؟ قال: تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليُخطِئك، وما أخطأكَ لم يكن ليُصيبكَ[٣]. يا بُنيَّ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «إنَّ أوَّلَ ما خلقَ اللهُ القلم. فقال له: اكتُبْ. فجرى في تلك الساعةِ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة». يا بُنيَّ إن متَّ ولستَ على ذلك دخلتَ النار[٤]. رواه الترمذيُّ بسنده المتَّصل، إلى عطاء بن أبي رباح.

وفي هذا الحديث: بيانُ شُمول علم الله لكل شيء[٥]، وإحاطتِه بما كان ويكون؛ كما في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]

---

(١) ابن وهب، في كتاب القدر رقم ٢٦، وأخرجه الفريابي، في كتاب القدر رقم ٧٢ - ٧٥.

(٢) (ط): ثم قال.

(٣) (ط): تقديم وتأخير.

(٤) (ص): ورواه.

(٥) (ط): لكل شيء. ساقط.

والآياتُ في إثبات القَدَر كثيرةٌ.

وقد استدلَّ العلماءُ على ثبات القدر: بشُمول القُدرة والعلم؛ كما في الآية.

قال الإمامُ أحمد: القَدَر قُدرة الرحمن[1]. وقال بعضُ الأئمة في نُفاةِ القَدَرِ: ناظروهم بالعلم، فإن أقرُّوا به خُصموا؛ وإن جَحدوا[2] كفروا[3].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي المُسند، والسُّنن، عن ابن الدَّيلَميِّ. قال: أَتَيْتُ أُبيَّ بن كعب، فقلتُ: في نفسي شيءٌ من القَدَرِ، فحدِّثني بشيءٍ، لَعلَّ الله يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي. فقال: لو أَنْفَقْتَ مثل أُحُد ذَهَباً ما قَبِلَهُ اللهُ منك حَتَّى تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ ما أصابك لم يكن لِيُخْطِئَكَ، وما أَخْطأَكَ، لم يكن لِيصِيبَكَ؛ ولو مُتَّ على غير هذا لكنتَ مِنْ أَهل النَّارِ. قال: فَأَتيْتُ عبد الله بن مسعودٍ، وحُذَيْفَةَ بن اليَمَانِ، وزيدَ بن ثابتٍ. فَكُلُّهُمْ حدثني بمثل ذلك، عن النبي ﷺ. حديثٌ صَحِيح، رواه الحاكمُ في صحيحه[4].

---

(١) روايةُ: ابن هانئ. ينظر: ابن هانئ، المسائل رقم ١٨٦٨.

(٢) (ط): جحدوه.

(٣) عن عمر بن عبد العزيز. أخرجه الدارميُّ، في الرد على الجهمية ٧٥.

(٤) أحمد، في المسند ٥/ ١٨٢، ١٨٥، ١٨٩، وأبو داود، في السنن رقم ٤٦٩٩، وابن ماجه، في السنن رقم ٧٧، وأخرجه ابن حبان، في الصحيح رقم ١٨١٧، وصححه الهيثميُّ في مجمع الزوائد ٧/ ١٩٨، ولم أقف عليه في المُستدرك فلعله أراد ابنَ حبان فتصحف.

ت: قولُه: (وفي المُسند، والسنن[١]، عن ابن الديلمي) هو: أبو بُسْر ـ بالسين المُهملة والباء المضمومة ـ ويقال: أبو بِشْر ـ بالشين المُعجمة وكسر الباء ـ وبعضُهم صحَّح الأول. واسمُه: عبد الله/ بن أبي فيروز[٢]. [٨٨/ب]

ولفظُ أبي داود، قال: لو أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أهلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهل أَرْضِهِ لعذَّبَهُمْ وَهو غَيْرُ ظَالِمٍ لهم، ولو رَحِمَهُمْ كانت رَحْمَتُهُ خَيْراً لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِم. وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثل أُحُدٍ ذَهَباً مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ؛ وَلَوْ مُتَّ على غَيْرِ هذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فأتيْتُ عبد الله بن مسعُودٍ، فَقَالَ: مِثْلَ ذلِكَ، ثمَّ أتيتُ [٣]حُذيفة بن اليمان، فقال: مثل ذلك، قال: ثمَّ أتيتُ[٣] زَيْدَ بن ثابتٍ، قال: فحدَّثَنِي عن النبيِّ ﷺ: مثلَ ذلك. وأخرجه ابنُ ماجه.

وهذه الأحاديثُ، وما في معناها: حُجَّةٌ على نُفاة القَدَر من المُعتَزلة وغيرهم، ومَن مذهبُهم تخليد أهل المعاصي في النار. وهذا الذي اعتقدوه: من أكبر[٤] الكبائر وأعظمِ البدع، وكثيرٌ منهم وافقوا الجهمية في نفي صفات الرب تعالى وتقدَّس.

---

(١) الأصل و (ص): وسُنن أبي داود. والمثبت من كتاب التوحيد.

(٢) هكذا في جميع النسخ، والصواب: بن فيروز. ينظر: ابن حجر، التقريب ٥٣٥.

(٣) ما بينهما ليس في (ط).

(٤) الأصل: أكبر. ساقطه.

(٦٠)
بـــابُ
ما جاءَ في المُصوِّرين

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاءَ في المُصوِّرين. عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومن أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يخْلُقُ كَخَلقِي، فَلْيَخْلُقوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلقُوا شَعِيرَةً». أخرجَاهُ[١].

ولهما، عن عائشة: أن رسولَ الله ﷺ، قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذاباً يومَ القيامة الذين يُضَاهِئُونَ بخلق الله»[٢].

ولهما، عن ابن عباس: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «كلُّ مُصَوِّرٍ في النَّار، يجْعلُ لهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بها في جَهَنم»[٣].

ولهما، عنه مرفوعا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً في الدُّنيا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فيها

---

(١) البخاري، في الصحيح رقم ٥٩٥٣، ٧٥٥٩، ومسلم، في الصحيح رقم ٢١١١، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٣١٩.

(٢) البخاري، في الصحيح رقم ٥٩٥٤، ومسلم، في الصحيح رقم ٢١٠٦، وأخرجه أحمد، في المسند ٦/ ٣٦، ٨٣، ٨٥، ١٩٩، ٢١٩.

(٣) البخاري، في الصحيح رقم ٢٢٢٥، ٥٩٦٣، ٧٠٤٢، ومسلم، في الصحيح رقم ٢١١٠، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٣٠٨.

الرَّوحَ، وليس بِنافِخٍ»(١).

ت: قولُه: (بابُ ما جاء في المصوِّرين)، أي: من الوعيد. وقد ذكر النبي ﷺ العلَّة، وهي: المُضاهاة بخلقِ الله؛ لأن الله تعالى له الخلقُ والأمر. فلا يجوز أن يُشبَّه شيءٌ بخلقه(٢) سبحانه؛ لما فيه من المُضاهاة بخلق الله.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولمسلم، عن أبي الهيَّاج، قَالَ: قال لي عليٌّ: ألاَ أبْعَثُكَ على ما بَعَثني عليه رسولُ الله ﷺ «أنْ لا تَدَعَ صُورَةً إلاَّ طَمَسْتَها، ولا قبراً مُشْرِفاً إلاَّ سَوَّيْتَهُ»(٣).

ت: قولُه: (ولمسلم، عن أبي الهيَّاج)، أبو الهيَّاج، هو: الأسدي، حيَّان بن حُصين(٤). و علي، هو: أميرُ المؤمنين.

قولُه: (أَلاَ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَني عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ؟ «أَنْ لاَ تَدَعَ صُورَةً إلاَّ طَمَسْتَهَا، وَلاَ قَبْراً مُشْرِفاً إلاَّ سَوَّيْتَهُ».

فهذا ما صحّ عن النبي ﷺ، من إنكاره(٥) هذه الأمور وإزالتِها؛ ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة: ٥٩]. فأكثروا التصوير

---

(١) البخاري، في الصحيح رقم ٥٩٦٣، ومسلم، في الصحيح رقم ٢١١٠، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٢١٦، ٢٤١، ٢٤٦، ٣٥٠، ٣٥٩.

(٢) (ط): بشيء من خلقه.

(٣) مسلم، في الصحيح رقم ٩٦٩، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٩٦، ١٤٥.

(٤) ينظر: ترجمته: ابن حجر، التقريب ٢٨١.

(٥) (ط): إنكار.

واستعملوه، وأكثروا البناءَ على القبور وزخرفوه[١]، وجعلوها أوثانًا وزعموه دينا. وهو أعظمُ المنكرات وأكبر السيئاتِ، تعظيما للأموات وغُلوًّا، وعبادةً لغير الله بأنواع العبادة التي هي حقُّ الله تعالى على عباده.

قال العلَّامةُ ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومَن جمع بين سُنة رسولِ الله ﷺ في القبور، وما أمر به[٢] ونهى عنه، وما كان عليه أصحابهُ، وبين ما عليه أكثرُ الناس اليوم: رأى أحدَهم مضاداً/ للآخر مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان [٨٩/أ] أبدا[٣].



(١) (ط): وزخرفوها.

(٢) وأمر به. ليس في (ط).

(٣) ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/ ٢١٤.



(٦١)

بـــابُ

ما جاءَ في كَثرة الحَلِف

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاءَ في كثرة الحَلِف.

ت: أي: من النهي عنه، والوعيد.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولِ الله تعالى ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

ت: قال ابنُ جرير: لا تتركوها[١] بغير تكفير[٢]. وذكر غيرُه، عن ابن عباس: يُريد لا تحلِفُوا. وقال آخرون: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ عن الحِنْث، فلا تحنثوا[٣]. والمعنى يعمُّ القولين.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ للسِّلْعَةِ، ممْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ» أخرجاه[٤].

---

(١) (ط): أي لا تتركوها.

(٢) ابن جرير، التفسير ٨/ ٦٥٥.

(٣) ذكره البغوي، في التفسير ٢/ ٦٢. والحِنْث: الإثم، والخُلْفُ في اليمين. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط ١/ ٧٢٢.

(٤) البخاري، في الصحيح رقم ٢٠٨٧، ومسلم، في الصحيح رقم ١٦٠٦، وأبو داود، في السنن رقم ٣٣٣٥، والنسائي، في المجتبى ٧/ ٢٤٦، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٢٣٥، ٢٤٢، ٤١٣.

ت: أي: البخاري، ومسلم. وأخرجه: أبو داود، والنسائي. والمعنى: أنه قد يحلِف على ثمن السلعة بزيادة على ما اشتُريت به أو سيمت به[١]، فيأخذها المشتري لظنه أنه صدق. وهذا وإن كان فيه زيادةٌ فهو يمحق البركة؛ كما في[٢] الحديث.

والواقعُ يشهد بصحته؛ فإنّ ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلالٌ وذهاب.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن سَلْمَانَ: أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «ثَلاثَةٌ لاَ يُكلِّمُهُمُ اللهُ ولا يُزكِّيهمْ ولهم عَذَابٌ أَليمٌ: أُشَيمِطٌ زانٍ، وعَائِلٌ مُسْتكْبرٌ، ورجلٌ جَعَلَ اللهَ بِضاعَتَهُ، لا يشترِي إلاَّ بَيمِينِهِ، ولا يبِيعُ إلاَّ بيمِينِهِ»[٣] رواه الطبرانيُّ بسند صحيح.

ت: وسلمان[٤]، لعله: سلمان الفارسي[٥]، أبو عبد الله. أسلم مقدَم النبي ﷺ المدينة، وشهد الخندق، روى عنه: أبو عثمان النهدي، وشُرَحبيل[٦] ابن

---

(١) (ط): سميت.

(٢) (ط): جاء في.

(٣) الطبراني، في الكبير رقم ٦١١١، والأوسط رقم ٥٥٧٣، والصغير رقم ٨٢١، وصححه المنذريُّ، في الترغيب والترهيب ٢/ ٥٨٧، والهيثمي، في مجمع الزوائد ٤/ ٧٨.

(٤) (ط): زيادة: قوله وعن سلمان.

(٥) صرح الطبراني في معاجمه الثلاثة بذلك. ينظر: المصادر السابقة.

(٦) الأصل: شراحيل. تصحيف ينظر: ابن حجر، التقريب ٤٣٣.

السِّمط وغيرُ هما، قال النبيُّ ﷺ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ»[١]، «إنَّ اللهَ يُحبُّ مِنْ أصحابِي أَرْبَعةً: عَلِيًّا وَأبا ذَرٍ وَسَلْمَانَ وَالمِقْدَادَ» أخرجه الترمذي[٢]. توفي سلمانُ في خلافة عُثمان[٣]، ويُحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضَّبي[٤].

قولُه: «ثلاثة لاَ يُكلِّمُهُمُ اللهُ» وهذا[٥] وعيدٌ شديد في حقهم؛ لأنه قد تواتر أنه يكلِّم أهلَ الإيمان ويكلِّمونه في عَرَصَات القيامة، وفي الجنة[٦].

والأدلةُ على ذلك في الكتاب والسنة أظهرُ شيءٍ وأبينُه، وفيه: الردُّ على الجهمية والأشاعرة، نُفاة الكلام.

قولُه: «وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» هذا من تمام العُقوبة عليهم، وفي هذا الوعيدِ الشديد ما يزجرُ من له عقلٌ عن هذه الأعمال السيئة ونحوها.

قولُه: «أُشَيْمِطٌ زَانٍ» صغَّره تحقيراً له/ ، وذلك لأنَّ داعي المعصية [٨٩/ ب] ضعُف في حقه، فدل على أنَّ الحامل له على الزنا محبتُه[٧] المعصية والفجور وعدمُ خشية الله. وكذلك العَائِلُ المُستكْبِر: ليس له ما يحملُه على

---

(١) أخرجه الطبراني، في الكبير رقم ٦٠٤٠، والحاكم، في المستدرك ٣/ ٥٩٨ وصححه وضعفه الذهبي، من حديث عمرو المزني.

(٢) الترمذي، في الجامع رقم ٣٧٢ وقال: حديثٌ حسن غريب، وأحمد، في المسند ٥/ ٣٥٦، ٣٠١ عن بريدة.

(٣) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٤/ ٢٠٢.

(٤) ينظر في ترجمته: ابن حجر، الإصابة ٤/ ٢٠١.

(٥) (ط): هذا.

(٦) وفي الجنة. ليست في (ط).

(٧) (ص): محبة.

الكِبر، فدل على أنه خُلقٌ له، فعظمت العقوبةُ في حقه؛ لعدم الداعي إلى هذا الخُلقِ الذميم، الذي هو من أكبر المعاصي.

قولُه: «وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ» بنصب الاسم الشريف، يعني: اليمين بالله، جعلَه بضاعةً له لكثرة استعماله.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي الصحيح، عن عِمْرَان بن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْني، ثمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ـ قال عِمْرَانُ: فلا أدري أَذَكَرَ بعد قَرْنِهِ مرتين أو ثلاثاً ـ ثُمَّ إنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ[1] يَشْهدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتمَنُونَ، ويَنْذُرُونَ ولا يُوفُونَ، ويظهر فيهم السِّمَن»[2].

ت: قولُه: (وفي الصحيح) أي: صحيح مسلم. وأخرجه: أبو داود، والترمذي، ورواه البخاريُّ بلفظ «خيركم».

قولُه: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْني» لكثرة الخيرِ فيهم وقلة الشر، وشدة الإنكار على مَن خالف الحقَّ وابتدع: كالخوارج، والقدرية، والجهمية، ونحوهم «ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهم» فُضِّلوا على مَن بعدهم؛ لظهور الإسلام فيهم، وكثرةِ العلم

---

(١) (ط): قوماً. اهـ. وهكذا في إحدى نسخ كتاب التوحيد الخطية، قال ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٧: قوماً. كذا للأكثر، ولبعضهم: قوم.

(٢) البخاري، في الصحيح رقم ٣٦٥٠، ومسلم، في الصحيح رقم ٢٥٣٥، وأبو داود، في السنن رقم ٤٦٥٧، والترمذي، في الجامع رقم ٢٢٢٢، ٢٢٢٣، وأخرجه أحمد، في المسند ٤/ ٤٣٦، وأخرجه البخاري، في الصحيح رقم ٢٦٥١، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥، بلفظ: خيركم.

والعلماء. وأما القرنُ الثالث: فظهرت فيه[١] البدع، لكن أنكرها العلماءُ، وتصدَّى كثيرٌ منهم لإنكارها والرد على مَن قالها، وهم كثيرون.

قوله: (فَلاَ أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَينِ أَوْ ثَلاَثاً) هذا شكٌّ من راوي الحديث، عمران بن حصين. ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة: من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء فقال: «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ[٢] يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهدُونَ» لاستخفافهم بأمر الشهادة، وعدمِ تحري الصدق[٣].

فحدَث التفرُّقُ والاختلافُ في الدين، وحدث الغلوُّ في أهل البيت من بني بُويه في المشرق[٤] لمّا كان لهم دولة، وبنوا المساجد على القُبور وغلوا في أربابها. وظهرت دولةُ القرامطة، وظهر فيهم الكُفرُ والإلحاد في شرائع الدين، ومذهبُهم معروف[٥]. وظهرت دولةُ بني عُبيد القدَّاح في مصر، والمغرب[٥]. وظهر فيهم من البدع ما يطول ذكرُه[٦]، وكثُر الاختلافُ والخوض في أصول

---

(١) (ط): فيهم.

(٢) (ط): قوماً.

(٣) (ص) (ط): تحريهم الصدق. وفي (ط): زيادة: وكذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم. قوله: «وَيخُونُونَ وَلاَ يُؤْتمَنُونَ» يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم، أو أكثرهم «وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يُوفُونَ» أي: لا يؤدون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم. وفي حديث أنس: «لاَ يَأْتِي عَلَى النَّاس زَمَانٌ إلاَّ وَالَّذي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» قال أنس: سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم، فما زال الشرُّ يزيد في الأمة، حتى ظهر فيهم الشركُ والبدع في كثير منهم، حتى فيمن انتسب إلى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف.

(٤) ينظر: في أخبارهم. ابنُ كثير، البداية والنهاية ١٥/ ١٦٨، ٣٠٥، ٤٥٤.

(٥) ما بينهما ساقط من (ط).

(٦) (ط): عده. اهـ. وينظر في أخبار القرامطة وبني عُبيد القداح: ابن كثير، البداية =

الدين. وما زال أهلُ السنة على الحق، ولكن كثُرت البدع والأهواء: حتى عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً، نشأ على هذا الصَّغيرُ وهرِم عليه الكبير.

[٩٠/أ] قولُه: «وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ» لرغبتهم في الدنيا وشهواتها،/ وقلَّةِ الإيمان باليوم الآخر[١].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه، عن ابن مسعود: أن النَّبي ﷺ، قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْني، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثمَّ يجَيءُ قَوْمٌ تَسْبقُ شَهادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، ويَمِينُهُ شَهادَتَهُ».

قال إبراهيمُ: كانُوا يَضْربُونَنَا على الشَّهادَةِ وَالْعَهْد ونحن صِغَارٌ[٢].

ش: في هذا الحديث: أنَّ خيرَ القرون ثلاثةٌ، من غير شك.

قولُه: «ثُمَّ يجَيءُ قَوْمٌ» إلخ. وذلك لضعف الإيمان، والرغبةِ في الدنيا، وأخذها بالقلوب، وكثرةِ المعاصي والذنوب.

قولُه: (قال إبراهيمُ: كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ) هكذا حالُ السلف الصالح؛ محافظةً منهم على الدين الذي أكرمهم اللهُ به، فلا يتركون شيئاً مما يُكره إلا أنكروه، وفيه: تمرينُ الصغار على دينهم بالتعليم والإنكار[٣].

= ١٥/ ٣٩ وما بعدها.

(١) (ط): تقديم وتأخير.

(٢) البخاري، في الصحيح رقم ٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨، ومسلم، في الصحيح رقم ٢٥٣٣، وأخرجه أحمد، في المسند ١/ ٣٧٨، ٤٤٢.

(٣) (ط): والإنكار. ساقطه. وينظر: المسألة الثامنة.

(٦٢)
بــــابُ
ما جاءَ في ذِمَّةِ الله وَذمَّةِ نَبيِّه

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاءَ في ذِمَّةِ اللهِ وذِمَّةِ نبيِّه. وقولِ الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل: ٩١]

ت: قال العمادُ ابن كثير: وهذا مما يأمر اللهُ تعالى به، وهو الوفاءُ بالعهُود والمواثيق والمحافظةُ على الأيمان؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.

وهذه[1][2] الأيمانُ، المراد بها: الداخلةُ في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حث أو منع.

قولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديدٌ ووعيد[3].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن بُرَيْدَةَ، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أَمَّرَ أَمِيراً على جيشٍ أو سَرِيَّةٍ: أَوصاهُ بِتَقْوى اللهِ، ومَن معه من المسلمين خَيْراً، فقال: «اغْزُوا بِسم اللهِ في سَبِيل الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بالله. اغْزُوا ولا

---

(١) (ط): زيادة: قوله: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.

(٢) (ط): هذه.

(٣) ابن كثير، التفسير ٤/ ٥١٦.

تَغُلُّوا ولا تَغدِرُوا، ولا تُمَثِّلُوا، ولا تَقْتُلُوا وَليداً. وإذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المشركينَ، فادعُهُمْ إلى ثلاَثِ خِصالٍ ـ أو خِلاَلٍ ـ فأَيَّتَهُنَّ مَا أجابُوكَ فَاقْبَلْ منهم وكُفَّ عنهم. ثمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسلام، فإن أجابُوك فاقْبَلْ منهم، ثم ادْعُهُم إلى التَحَوُّلِ مِنْ دارِهْم إلى دارِ المُهاجِرِينَ. وأَخْبرْهُم: أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمُهاجِرِينَ، وعليهم ما على المُهاجِرين. فإن أَبَوْا أنْ يَتَحَوَّلُوا منها، فأَخْبِرْهُم: أنهم يَكُونُون كأَعْراب المسلمين، يجْرِي عليهم حكمُ الله تعالى، ولا يكونُ لهم في الغَنِيمَةِ والفَيْءِ شَيْءٌ إلاَّ أَن يجُاهِدُوا مع المسلمين. فإنْ هُمْ أَبَوْا، فاسْأَلهُم الجِزْيَةَ. فإن هُمْ أجابُوكَ، فاقبَل منهم وكُفَّ عنهم. فإن هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعنْ بِالله، وقاتِلْهُمْ. وإذا حاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فأَرادُوكَ أَن تجْعَلَ لهم ذِمَّةَ الله وَذِمَّة نَبِيِّه. فلا تجْعَل لهم ذِمَّةَ الله وذِمَّة نَبِيِّه، ولكن اجْعَلْ لهم ذِمَّتك وذِمَّةَ أَصْحَابِكَ؛ فإنكم أنْ تخْفِرُوا ذِممَكُمْ وذِمَّة[1] أَصْحَابِكُمْ أهْوَنُ مِنْ أن تخْفِرُوا ذِمَّةَ الله وذِمَّةَ نَبِيِّهِ. وإذا حاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فأَرَادُوكَ أن تُنزلهم عَلَى حُكمِ الله، فلا تُنْزِلْهُمْ على حكم الله، ولكن أَنْزِلهُمْ على حكمك؛ فإنَّك لا تدْرِي أتصيبُ فِيهم حُكمَ الله أمْ لا» رواه مسلم[2].

ش: قولُه: (عن برُيدة) هو ابن الحُصَيب الأسلمي، وهذا الحديثُ من رواية ابنه سُليمان عنه.

---

(١) في مصادر التخريج، وبعض نسخ كتاب التوحيد الخطية: وذمم.

(٢) مسلم، في الصحيح رقم ١٧٣١، وأخرجه أحمد، في المسند ٥/ ٣٥٢، ٣٥٨.

قولُه: (كان رسولُ الله ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيراً على جَيشٍ أوْ سَرِيَّةٍ: أَوْصاهُ بِتَقْوَى الله) فيه من الفقه: تأميرُ الأُمراء، ووصيَّتُهم. قال الحرَبي: السَّريةُ: الخيلُ تبلغ أربعمائة ونحوها، والجيشُ: ما كان أكثرَ من ذلك، وتقوى الله: التحرزُ بطاعته من عقوبته(١).

قولُه: (وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسلِمِينَ خَيْرًا) أي: ووصَّاه بمن معه أنْ يفعل معهم خيراً: من الرفق بهم، والإحسانِ إليهم، وخفضِ الجناح لهم، وتركِ التعاظم عليهم.

قولُه: «اغزُوا بِاسْمَ الله» أي: اشرعوا في الغزو مُستعينين بالله مخلصين له، فتكون الباء في بسم الله هنا(٢): للاستعانة بالله، والتوكل عليه.

قولُه: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله» هذا العموم يشمل جميعَ أهل الكفر المُحاربين، من أهل الكتاب وغيرهم. واستثنى منهم: من له عهدٌ/ ، وكذلك [٩٠/ب] الذراري والأولاد(٣) والنساء والرُّهبان فلا يُقتلون.

قولُه: «وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا ولاَ تمَثِّلُوا» الغُلُولُ: الأخذُ من الغنيمة من غير قسمتها؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]. والغدْرُ: نقضُ العهد. والتمثيلُ هنا: التشويهُ بالقتِيل(٤)، كقطع أنفه وأُذنه والعبثِ به.

---

(١) (ط): من عقوبته بطاعته. اهـ. ينظر: القرطبي، المفهم ٣/ ٥١١ وفيه النقل عن إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ).

(٢) (ط): تقديم وتأخير.

(٣) (ط): والأولاد. ساقطه.

(٤) (ط): بالقتل.

قولُه: «وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ أو خِلاَلٍ» الرواية: بأَو، التي هي للشك، والمعنى واحد.

قولُه: «فَأَيَّتهُنَّ مَا أَجَابُوكَ» منصوبٌ بأجابوا.

قولُه: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ» كذا وقعت الروايةُ في جميع نُسخ كتاب مسلم: ثم ادعُهُم. بزيادة ثم[(١)].

قولُه: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِن دَارِهِمْ إِلَى دَارِ المهَاجِرِينَ» يعني: المدينة إذ ذاك. وهذا يدلُّ: على أنَّ الهجرة واجبةٌ على كل من آمن وهو في بلد شرك[(٢)]، وكذلك إذا ظهرت المعاصي في بلدة؛ كما[(٣)] نص عليه الفقهاءُ في كتبهم[(٤)].

قولُه: «فَإِنْ هُمْ[(٥)] أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلوا مِنْهَا» يعني: أنَّ مَن أسلم ولم يُجاهد[(٦)] ولم يُهاجر من البداوة، لم يُعط من الخُمُس ولا من الفيء شيئاً.

قولُه: «فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الجِزْيَةَ» فيه: حجةٌ لمالك وأصحابه، والأوزاعي: في أخذ الجِزية من كل كافر، عربياً كان أو غيره، كتابياً كان أو

---

(١) قال المؤلف في فتح المجيد ٢/ ٨٢١: والصواب إسقاطها؛ لأن ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث الخصال.

(٢) (ط): الشرك.

(٣) (ط): كما. ساقطه.

(٤) ينظر: المرداوي، الإنصاف ١٠/ ٣٥.

(٥) هم: ليست في مصادر التخريج ولا نسخ كتاب التوحيد الخطية.

(٦) من هنا يبدأ السقط الثاني في نسخة (ص).

غيره(١).

وقد اختُلف في القدْر المفروض من الجِزية، فقال مالك: أربعةُ دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهماً على أهل الوَرِق. وقال الشافعي: دينارٌ على الغني والفقير. وقال أبو حنيفة: على الغني ثمانيةٌ وأربعون درهما، والوسط أربعةٌ وعشرون درهما، والفقير اثنا عشرَ درهما. وهو قولُ أحمد بن حنبل(٢). وعند مالك، وكافة العلماء: على الرجال الأحرار البالغين دون غيرهم(٣).

وإنما تُؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين، لا ممن نأى بداره. ويجب تحويلُ النائي إلى بلاد المسلمين، أو حربهُم.

قولُه: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ» إلى آخره. فيه: حجةٌ لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول: إنّ المُصيب في مسائل الاجتهاد واحد، وهو المعروفُ من مذهب مالك وغيره(٤).

قولُه: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ» إلى آخره(٥). الذِّمةُ: العَهْد، وتخْفِر: تَنقُض، يُقال: أخفرتَ الرجل: نقضت عهده/ [٩١/أ]، وخفرته: أجرته. لأنه لا يُؤمَن على مَن أعطى ذمةً أن يخفِرها، فخفرُ ذمته أهونُ من أن يخفِر ذمةَ الله تعالى.

---

(١) المذهب عند الحنابلة: لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب ومن له شُبهةُ كتاب. ينظر: المرداوي، الإنصاف ١٠/ ٣٩٤، ٤١١.

(٢) ينظر: المرداوي، الإنصاف ١٠/ ٤٢٥.

(٣) الأصل: دونهم. وينظر: المرداوي، المصدر السابق ١٠/ ٤١٣.

(٤) وهو المذهب عند الحنابلة، وقول عامة أهل العلم. ينظر: المرداوي، التحبير شرح التحرير ٨/ ٣٩٣٣.

(٥) (ص) (ط): إلى آخره. ساقطة.

(٦٣)
بـــابُ
ما جاءَ في الإقْسامِ على الله

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابُ ما جاءَ في الإقْسامِ على الله.

ت: ذكر المصنِّفُ فيه حديثَ جُندَبِ بن عبد الله، قال: قال رسولُ الله ﷺ: الحديث.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن جُنْدَبِ بن عبد الله، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال رجلٌ: واللهِ لا يُغفِرُ اللهُ لِفُلاَنٍ، فقال الله عز وجل: مَنْ ذا الّذي يَتَألَّى عليَّ[١] أن لاَ أَغْفِرَ لفلانٍ؟ إنِّي قد غفرتُ له وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» رواه مسلم[٢].

وفي حديث أبي هريرة: أنَّ القائلَ رجلٌ عابدٌ. قال أبو هريرة: تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقَتْ دُنياه وآخِرتَه[٣].

ت: قولُه: «يَتَأَلَّى» أي: يحلِف، والأليَّةُ بالتشديد: الحلِف، وصح من حديث أبي هريرة ـ ورواه أبو داود عن أبي هريرة ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كانَ رَجُلاَنِ في بَني إِسْرَائيلَ مُتَوَاخِيَيْن، فكانَ أحدُهما يُذْنِبُ،

---

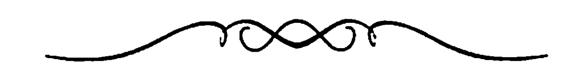
(١) الأصل: عليه.

(٢) مسلم، في الصحيح رقم ٢٦٢١.

(٣) أخرجه أبو داود، في السنن رقم ٤٩٠١، وأحمد، في المسند ٢/ ٣٢٣، ٣٦٣ وابن، حبان، في الصحيح رقم ٥٧١٢.

والآخَرُ مجْتَهِدٌ في العبادةِ. فكانَ لا يَزَالُ المُجْتَهِدُ يَرى الآخَرَ على الذَّنْبِ، فيقُولُ: أقْصِرْ. فوجَدَهُ يوماً على ذَنْبٍ، فقالَ لهُ: أقصِرْ. فَقَالَ: خَلِّني وربِّي، أَبُعِثْت عليَّ رقِيباً؟ فقالَ: والله لا يَغفرُ اللهُ لكَ، ولا يُدْخلُكَ الجَنَّةَ. فَقَبضَ أَرْوَاحَهُمَا، فاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالمِينَ. فقالَ لِهَذَا المُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عالماً أو على ما في يَدِي قَادِراً؟ وقالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ برحمَتي، وقالَ للآخَرِ: اذْهَبُوا بهِ إلى النَّارِ»(١).

قولُه: (وفي حديث أبي هريرة: أن القائِل رَجُلٌ عَابِدٌ) يُشير إلى قوله في هذا الحديث: «أَحَدُهمَا مجْتَهِدٌ فِي العِبَادَةِ»، وفيه: معنى قوله ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ ليَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَه بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»(٢).



(١) أبو داود، في السنن رقم ٤٩٠١.

(٢) أخرجه الترمذي، في الجامع رقم ٢٣١٩ وقال: حديثٌ حسن صحيح، وابن ماجه، في السنن رقم ٣٩٦٩، وأحمد، في المسند ٣/ ٤٦٩ من حديث بلال المُزني.

(٦٤)
بـــابٌ
لا يُسْتشْفعُ بالله على خلْقِه

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ لا يُسْتشْفعُ بالله على خَلْقِهِ.

عن جُبَيْرِ بن مُطْعم، قال: جاءَ أعْرَابيٌّ إلى النبِّي ﷺ، فقال: يا رَسُولَ الله، نُهِكتِ الأَنفُس، وَجاعَ العِيالُ، وهَلكَتِ الأمْوالُ، فاسْتسْقِ لنَا رَبَّكَ، فإنَّا نَسْتَشْفعُ بالله عليك، وبك على الله. فقال النَّبيُّ ﷺ: «سُبْحَان الله! سُبْحَانَ الله!» فما زال يُسَبِّحُ حتى عُرِفَ ذلك في وُجوه أصحابه، ثم قال: «وَيحَكَ، أَتَدْرِي ما اللهُ؟ إنَّ شَأْن الله أعْظَمُ من ذلك، إنَّه لا يُسْتَشْفعُ بالله على أحَدٍ» وذكر الحديثَ. رواه أبو داود[١].

ت: قولُه: (بابٌ لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ عَلَى خَلْقِهِ). وذكر الحديثَ، وسياقُ أبي داود أتمُّ مما ذكره المصنف، ولفظُه: عن جُبير بن محمد بن جُبير بن مُطعم، عن أبيه، عن جده، قال: أتى النبِّي ﷺ أعرابيٌّ، فقال: يَا رَسُولَ الله جَهِدَتِ الأَنْفُسُ وضاعت[٢] الْعِيَالُ، ونُهِكَتِ الأَمْوَالُ وهلكت الأنعام، فَاسْتَسْقِ لَنَا؛ فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ وَنَسْتَشْفِعُ باللهِ عَلَيْكَ. فقال النبيُّ ﷺ

---

(١) أبو داود، في السنن رقم ٤٧٢٦، وصححه ابن القيم، في تهذيب السنن ٧/ ٩٥، وابن كثير، في البداية والنهاية ١/ ١٨.

(٢) (ط): وضاع.

«وَيحْكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟» وَسبَّح رسولُ الله[(١)] ﷺ. فما زال يسبِّح حتى عُرِفَ ذلك في وُجُوهِ أصحابِهِ، ثم قال: «وَيحْكَ، إِنَّهُ لاَ يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ/ الله أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ. وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ كَهكَذَا ـ وَقَالَ بِإِصْبعِهِ[(٢)] مِثْلَ الْقُبَّةِ عليه[(٣)] ـ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بالرَّاكِبِ». قال ابنُ يسار[(٤)] في حديثه: اللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ. [٩١/ب]

قولُه: «ويحكَ، إنه لا يُستشفعُ بالله على أحدٍ من خَلْقه» وَيحَكَ: كلمةٌ تُقال للزجر.

قولُه: «أَتَدْرِي مَا اللهُ» فيه: إشارةٌ إلى قلَّة علمه بعظمة الله[(٥)]؛ لأن الأمر كلَّه بيده تعالى، ليس في يد المخلوق منه شيءٌ. لا مانع لما أَعطى ولا مُعطي لما منع، تعالى وتقدّس.

وفي هذا الحديث: الردُّ على الجهمية، وإثباتُ العلو.

وهذا الحديثُ: رواه أبو داود، ورضيهُ على عادته فيما كان عنده صحيحاً أو حسناً وسكت عليه.

---

(١) إلى هنا ينتهي السقطُ الثاني في (ص).

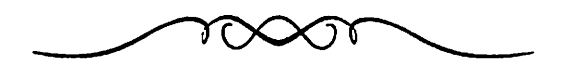
(٢) الأصل: بأصبعيه.

(٣) (ط): عليه. ساقطه.

(٤) هكذا في جميع النسخ، والصواب: ابن بشَّار، كما في سنن أبي داود ٥/ ٩٥.

(٥) (ط): زيادة: وجلاله. قوله: (إنه لا يشفع بالله على أحد من خلقه).

وأما الاستشفاعُ بالرسول ﷺ في حياته: فإنما هو بدُعائه ﷺ؛ ودعاؤه مُستجاب. وأما بعد وفاته: فلا يجوز الاستشفاع به؛ كما تقدم تقريرُه في باب الشفاعة وما قَبله. والله تعالى نهى عن اتخاذ الشُّفعاء في مواضع كثيرة من القرآن، ونفاها في حق من سألها من غير الله تعالى.



(٦٥)

بـــابُ

ما جاءَ في حِمَايةِ النبيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّه طُرُقَ الشِّرْكِ

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: بابُ ما جاءَ في حِمايةِ النبيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّه طُرُقَ الشِّرْكِ.

عن عبد الله بن الشِّخِّير، قال: انْطَلَقْتُ في وفد بني عامرٍ إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنتَ سَيِّدُنا، فقال: «السَّيِّدُ اللهُ تبارك وتعالى»، قلنا: وأفْضَلُنَا فضْلاً، وَأَعْظَمُنا طَوْلاً. فقال: «قولوا بقولكم. أو بعض قَوْلِكمْ، ولا يَسْتجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» رواه أبو داود[1] بسندٍ جيِّدٍ.

وعن أنس: أنَّ ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خَيْرَنا وابْنَ خيْرِناَ، وَسَيِّدَنا وابنَ سَيِّدِنا. فقال: «يا أيها النَّاسُ، قُولوا بِقَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أنَا مُحَمَّدٌ، عبد الله ورسولُه. مَا أُحِبُّ أن تَرْفَعُوني فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتي أنْزَلَني الله عَزَّ وجل» رواه النسائيُّ بسندٍ جيدٍ[2].

---

(١) أبو داود، في السنن رقم ٤٨٠٦، وأخرجه أحمد، في المسند ٤/ ٢٤، ٢٥ وصححه ابنُ حجر، في الفتح ٥/ ١٧٩. وقد جاء في بعض نسخ كتاب التوحيد الخطية: (ولا يسخرنكم الشيطان).

(٢) النسائي، في السنن الكبرى رقم ١٠٠٠٦، ١٠٠٠٧، وأخرجه أحمد، في المسند ٣/ ١٥٣، ٢٤١، ٢٤٩، وصححه ابن عبد الهادي، في الصارم المُنكي ٣٨٥.

ت: قولُه: (بابُ ما جاءَ في حماية النبيِّ ﷺ[١] حِمَى التَّوحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ) حمايتُه ﷺ حِمَى التوحيد عمَّا يشوبُه من الأقوال والأعمال التي يضمَحلُّ معها التوحيدُ أو ينقص.

وقد اشتمل هذا الكتابُ ـ مع[٢] اختصاره ـ على أكثر ذلك، والنهيِ عما يُنافي التوحيد أو يُضعِفَه. يَعرفُ ذلك مَن تدبَّره، وعرف ما تضمَّنه باباً باباً.

قولُه في حديث (أنس: أَنَّ نَاسًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وابنَ سَيِّدِنا. فقال: «يا أيها النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[٣]. كره ذلك؛ لئلا يكون وسيلةً إلى الغلو فيه والإطراء، كما تقدم في قوله: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبدٌ. فقولوا: عبد الله ورسولُه**» وهذا من كمال نُصحه للأُمة وشفقتِه عليهم؛ حذَّرهم مما يكون ذريعةً إلى الغلو فيه.

قولُه: «أَنَا مُحَمَّدٌ، عبدُ اللهِ ورسولُهُ» فأعلى مَراتبِ العبد هاتان الصفتان[٤]: العبوديةُ الخاصة، والرسالة. وللنبي ﷺ أكملُها، وقد أخبر تعالى أنه وملائكتَه يُصلُّون عليه، وأمر أمَّته أن يصلوا عليه/ [٩/أ]، وأثنى عليه بأحسن ثناء وأبلغِه، وشرح له صدرَه، ووضع عنه وِزره، ورفع له ذِكرَه؛ فلا يُذكرُ في الأذان والتشهد والخُطب إلا ذُكر معه، صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) في بعض نسخ كتاب التوحيد، وكتاب فتح المجيد: المصطفى.

(٢) (ط): على.

(٣) (ط): الحديث.

(٤) الأصل و(ص): هاتين الصفتين.

وأما إطلاقُ السيد: فقد ذكر ابنُ القيم في بدائع الفوائد، ما نصه: اختلف العلماءُ في جواز إطلاق السيد على البشر. فمنعه قومٌ، ونُقل عن مالك؛ واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: أنت سيِّدُنا، فقال: «السَّيِّدُ اللهُ». وجوَّزه قومٌ، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «قُومُوا إلى[1] سَيِّدِكمْ»[2] وهذا أصحُّ من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحدُ ما يُضاف إليه. فلا يُقال للتميمي: سيدُ كِندة. ولا يقال للملَك: سيد البشر. قال: وعلى هذا، فلا يجوز أن يُطلق على الله هذا الاسم. وفي هذا نظر؛ فإن السيد إذا أُطلق عليه تعالى: فهو في منزلة الملِك والمولى والرب، لا بمعنى الذي يُطلق على المخلوق. انتهى[3].

قلتُ: فقد صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال في معنى قولِ الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾: إنه السيد الذي كمُل فيه جميعُ أنواع السؤدد[4]. وقال أبو وائل: هو السيدُ الذي انتهى سؤددُه[5].

---

(١) من هنا يبدأ السقطُ الثالث في (ص).

(٢) أخرجه البخاري، في الصحيح رقم ٣٠٤٣، ٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢، ومسلم، في الصحيح رقم ١٧٦٨، وأحمد، في المسند ٣/ ٢٢، ٧١ من حديث أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ابن القيم، بدائع الفوائد ٣/ ١١٧٥ - ١١٧٦.

(٤) أخرجه ابن جرير، في التفسير ٢٤/ ٧٣٦.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم، في السنة ١/ ٢٢٩، وابن جرير، في التفسير ٢٤/ ٧٣٥ عن أبي وائل، عن ابن مسعود.

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن ابن مسعود، قال: جاءَ حَبْرٌ من الأحْبَار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا مُحَمَّدُ، إنَّا نَجدُ أنَّ الله يَجْعَلُ السَّماواتِ عَلَى إصْبَعٍ، والأرَضِين على إصْبَعٍ، وَالشَّجَر عَلَى إِصْبَعٍ، وَالماءَ على إصْبَعٍ، وَالثَّرَى على إصْبَعٍ، وَسائرَ الخَلْقِ عَلَى إصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبيُّ ﷺ حتىَّ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقاً/ لقولِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ: [/ب] ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية.

وفي رواية لمسلم: وَالجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فيقولُ: أنَا المَلكُ، أنا الله.

وفي رواية للبخاري: يَجْعَلُ السَّمَاواتِ عَلَى إصْبَعٍ، والماءَ والثَّرى على إصبَعٍ، وسائِرَ الخلق عَلَى إصبَعٍ. أخرجاه[١].

ش: قولُه: (عن ابن مسعود، قال: جاء حَبرٌ من الأحبار إلى رسول الله[٢] ﷺ، فقال: يَا مُحَمَّدُ إنَّا نَجِدُ أنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّماوَاتِ على إصْبَعٍ) الحديث.

رواه[٣]: البخاريُّ، ومسلم، والنسائي، من طُرق عن الأعمش، به.

---

(١) البخاري، في الصحيح رقم ٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣، ومسلم، في الصحيح رقم ٢٧٨٦، وأخرجه النسائي، في الكبرى رقم ١١٣٨٨، وأحمد، في المسند ١/ ٤٥٧.

(٢) (ط): النبي.

(٣) (ط): هكذا رواه.

وقال البخاريُّ: حدثنا سعيد بن عُفير، قال: حدثنا الليث، حدثني عبد الرحمن بن مُسافر[١]، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أنّ أبا هريرة، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟**» تفرّد به من هذا الوجه[٢].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلمسلم، عن ابن عمر مرفوعاً: «يَطْوِي اللهُ عز وجل السَّمَاواتِ، ثم يأخذهن بيده اليُمْنَى، ثم يقولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ؟ ثم يطوي الأَرَضَ بشِمَاله، ثم يقول: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ؟»[٣].

وَرُوِي عن ابن عباس، قال: ما السَّمَاواتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السّبْعُ في كفِّ الرحْمنِ إلاَّ كَخَرْدَلةٍ في يَدِ أَحَدِكُمْ[٤].

وقال ابنُ جريرٍ: حدثني يونُسُ، أخبرنا ابنُ وَهْبٍ، قال: قال ابنُ زَيْدٍ: حدثني أبي، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما السَّماواتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إلا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ في تُرْسٍ» قال: وقال أَبُو ذَرٍّ: سمعتُ رسول الله

---

(١) عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي، أمير مصر، صدوقٌ من السابعة، مات سنة سبع وعشرين (بعد المائة). ابن حجر، التقريب ٥٧٦.

(٢) البخاري، في الصحيح رقم ٤٨١٢، ٦٥١٩، ٧٣٨٢، ٧٤١٣.

(٣) مسلم، في الصحيح رقم ٢٧٨٨ من طُرق مع بعض الاختلاف، ولفظُ: بشماله. جاءت من طريق واحد تفرد به مسلم، وانتقد هذه الرواية: البيهقي في الأسماء والصفات ٣٢٤.

(٤) أخرجه ابن جرير، في التفسير: ٢/ ٢٤٦.

ﷺ يقول: «ما الكُرْسِيُّ في العَرْش إلاَّ كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاَةٍ مِنَ الأرض»[١].

وعن ابن مسعود، قال: بَين السماءِ الدُّنْيَا والتي تَلِيها خَمْسُمائَةِ عـام، وبين كلِّ سماءٍ خَمْسُمائَةِ عَام، وَبين السماءِ السَّابَعةِ والكُرْسيِّ خَمْسُمائَةِ عام، وبين الكُرْسِيِّ والماءِ خَمْسُمائة عَام، والعَرْشُ فوق الماء، واللهُ فوق العَرْشِ. لا يَخْفَى عليه شيءٌ من أَعْمَالِكُمْ. أخرجه: ابنُ مَهدِي، عن حَمَّاد بن سَلَمَةَ، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبد الله[٢]. ورواه بنحوه: المَسْعُودِيُ عن عاصمٍ، عن أبي وائِل، عن عبد الله. قاله الحافِظُ الذَّهَبيُّ، قال: وله طُرُقٌ[٣].

ت: قولُهُ: (ولمسلم، عن ابن عمر مرفوعا: «يطوي اللهُ عز وجل السماوات، ثم يأخذهُن بيده اليمنى، ثم يقول: أنَا المَلِكُ، أيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرْضَ[٤] بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المتَكَبِرُونَ؟» كذا في رواية مسلم، قال الحُميدي: وهي أتَمّ[٥].

---

(١) ابن جرير، في التفسير ٤/ ٥٣٩. وضعَّفه ابنُ كثير، في البداية والنهاية ١/ ٢٤.

(٢) أخرجه الدارمي، في الرد على الجهمية ٢٦، وابن خزيمة، في كتاب التوحيد رقم ٥٩٤، والطبراني، في المعجم الكبير رقم ٨٩٨٧، وصححه الهيثميُّ، في مجمع الزوائد ١/ ٨٦.

(٣) الذهبي، كتاب العلو ٦٤.

(٤) في الصحيح: الأرضين. وفي بعض نسخ كتاب التوحيد الخطية وفتح المجيد ٢/ ٨٤٤: الأرضين السبع ثم يأخذهن.

(٥) الحميدي، الجمع بين الصحيحين ٢/ ١٨٤.

قلتُ: وهذه الأحاديثُ وما في معناها ـ وهي كثيرةٌ جدا ـ تدلُّ على عظمةِ الله وكمالهِ وعظيم قُدرته. وفيها: الردُّ على الجهمية والأشاعرة، ونحوهم أيضا. وكلُّ ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسولُه: يدل على كماله وعظمته وجلاله، وأنّ العبادة لا تصلُح إلا له سبحانه وبحمده، لا يصلُح منها شيءٌ لملَك مقرَّب ولا نبي مُرسل، ولا لمن دونهما.

قال شيخُ الإسلام أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: وهذا كتابُ الله من أوّله إلى آخره، وسنةُ رسوله ﷺ وكلامُ الصحابة والتابعين، وكلامُ سائر الأئمة: مملوءٌ ـ بما هو إمَّا نصٌّ أو ظاهرٌ ـ أنَّ الله تعالى فوقَ كل شيء، وأنه فوقَ العرش فوق السماوات، مستوٍ على عرشه. وذكرَ ما يدلُّ على ذلك من الكتاب والسنة[1].

قال[2] الأوزاعيُّ: كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إنَّ الله تعالى ذِكْرُهُ فوقَ عرشه، ونؤمن بما وردت به السنةُ[3].

وقال أبو عُمر الطَّلَمَنْكيُّ، في كتاب الأصول: أجمع المسلمون من أهل السنة على أنَّ الله مستوٍ على عرشه بذاته. ذَكرَه الذهبيُّ في كتاب العلو[4].

وقال أبو عُمر الطَّلَمَنْكيُّ في هذا الكتاب أيضا: أجمع المسلمون من[5]

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوي ٥/ ١٢.

(٢) (ط): وقال.

(٣) أخرجه البيهقي، في الأسماء والصفات ٥١٥، وسندُه جيد، كما قال ابنُ حجر، في الفتح ١٣/ ٤٠٦.

(٤) الذهبي، كتاب العلو ٢٤٦.

(٥) المسلمون من. ليست في (ط).

أهل السنة، على أن الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة[١] لا على المجاز.

ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة، أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحوِ ذلك من القرآن: أن ذلك علمُه، وأن الله/ فوقَ السماوات بذاته، مستوٍ على عرشه كيف شاء. هذا لفظُه في كتابه[٢]. [٩٣/أ]

وقال الحافظُ الذهبي: وأولُ مقالةٍ سُمعت، مقالةُ مَن أنكر أنَّ الله تعالى فوق العرش: هو الجَعد بن درهم، وكذلك أنكرَ جميعَ الصفات. فقتله خالدُ بن عبد الله القَسْري، وقصتُه مشهورة[٣].

وأخذ هذه المقالة عنه: الجهمُ بن صفوان، إمامُ الجهمية. فأظهرَها، واحتج لها بالشبهات. وكان ذلك في آخر عصر التابعين، فأنكر مقالتَه أئمةُ ذلك العصر: مثل الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومَن بعدهم من أئمة الهدى[٤]. كالإمام أحمد، وخَلْقٌ من أهل السنة كثير[٥].

---

(١) (ط): بالحقيقة.

(٢) الذهبي، كتاب العلو ٢٤٦، ونقله ابنُ القيِّم في اجتماع الجيوش الإسلامية ١٤٢.

(٣) نظر في القصة أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية ١٣/ ١٤٧.

(٤) الذهبي، كتاب العرش ٢/ ١٧٣ - ١٧٥.

(٥) كثير. ليست في (ط).

قال الإمامُ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: لله أسماءٌ وصفاتٌ لا يسع أحداً ردُّها، ومَن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد[١] كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنَّه يُعذر بالجهل، ونُثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه؛ كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. انتهى، من فتح الباري[٢].

قال المصنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن العباس بن عبد المَطَّلِبِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السماءِ والأرضِ؟» قلنا: اللهُ وَرَسُولُهُ أعلم. قال: «بينهما مسيرةُ خَمْسِمائَةِ سَنةِ، وَمِنْ كلِّ سَماءٍ إلى سماءٍ مسيرَةُ خَمسِمائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كلِّ سَماءٍ مسيرَةُ خَمْسِمائَةِ سنةٍ، وبين السماء السابعة والعرشِ بَحرٌ، بين أسفلِه وأعلاهُ كما بين السماء والأرض، واللهُ سبحانه وتعالى فَوقَ ذلك، وليس يَخْفَى عليه شيءٌ من أعمال بني آدمَ» أخرجه أبو داود، وغيرُه[٣].

ت: قولُه: (وعن العباس بن عبد المطلب) ساقه المصنِّفُ مختصراً، والذي في سُنن أبي داود، عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنتُ في البطحاءِ في عِصَابة فيهم رسولُ الله ﷺ، فمرَّتْ بهم سحابةٌ فنظر إليها، فقال:

---

(١) (ط): فقد. ساقطه.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٤٠٧.

(٣) أبو داود، في السنن رقم ٤٧٢٣، والترمذي، في الجامع رقم ٣٣١٧ وقال: هذا حديثٌ حسن غريب، وابن ماجه، في السنن رقم ١٩٣، وأحمد، في المسند ١/ ٢٠٦، ٢٠٧.

«مَا تُسَمُّونَ هذِهِ؟» قَالُوا: السَّحَابَ. قَالَ: «وَالمُزْنَ» قَالُوا: وَالمُزنَ. قَالَ: «وَالْعَنَانَ» قَالُوا: وَالْعَنَانَ ـ قال أبو داود: وَلمَ أُتْقِنِ الْعَنَانَ جِداً ـ قال: «هَلْ تَدْرُون مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّماَء وَالأَرْضِ؟» قالُوا: لاَ نَدْرِي. قال: «إنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهمَا إمَّا واحدة أو ثِنْتَانِ أَو ثَلاَثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كذلك ـ حتىَّ عد[1] سبع سماواتٍ ـ ثم فوقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاَهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سمَاءٍ إلى سماء، ثم فوقَ ذلكَ ثمانيةُ أوعالٍ بينَ أَظْلاَفِهِمْ وَرُكَبِهِم مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إلَى سماء، ثُمَّ على ظُهورِهِم العرشُ بينَ أَسْفَلِهِ وَأعلاه[2] مَا بينَ سماءٍ إلى سماء، ثم اللهُ تباركَ وتعالى فوقَ ذلكَ». قال الحافظ الذهبيُّ: رواه أبو داود بإسناد حسن.

وروى الترمذيُّ نحوه، من حديث أبي هريرة، وفيه: «بُعْدُ مَا بَيْنَ سماءٍ إلَى سَمَاء خَمْسُمِائَةِ عَامٍ»[3] قال: ولا مُنافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على/ سير القافلة مثلا، ونيِّفٌ وسبعون سنة على سير البريد[4]. [/ب]

قلتُ: وهذا الحديثُ له شواهدُ في الصحيحين وغيرهما[5]، مع ما يدل عليه صريحُ القرآن، فلا عِبرة بقول من ضعّفه[6].

---

(١) (ط): عدد.

(٢) (ط): زيادة: مثل.

(٣) الترمذي، في الجامع رقم ٣٢٩٤، وأخرجه أحمد، في المسند ٢/ ٣٧٠.

(٤) الذهبي، كتاب العرش ٢/ ٣٥.

(٥) إلى هنا ينتهي السقطُ الثالث في (ص).

(٦) وصححه ابنُ تيمية، في مجموع الفتاوى ٣/ ١٩٢.

وقد ابتدأ المصنِّفُ هذا المصنَّفَ العظيم: ببيان توحيد الإلهية؛ لأن أكثر الأمة ـ ممن تأخر ـ قد جهلوا هذا التوحيد، وأتوا بما يُنافيه من الشرك والتنديد.

فقام ببيان التوحيد [١]وما يُنافيه من الشرك: على الخاصة والعامة؛ لأنه هو التوحيد[١]؛ الذي دعت إليه الرسل، ونهوا أممَهم[٢] عما كانوا عليه من الشرك المُنافي لهذا التوحيد.

فالدعوةُ إلى ذلك: هي أهمُّ الأمور وأوجبُها، لمن وفَّقه الله لفهمه، وأعطاه القُدرةَ على الدعوة إليه والجهادِ لمن خالفه، ممن أشرك بالله في عبادته.

فقرّر هذا التوحيد ـ كما ترى ـ في هذه الأبواب، ثم ختم كتابَه بتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن أكثر العامة لم يكن لهم التفاتٌ إلى هذا العلم، الذي خاض فيه مَن ينتسب إلى العلم. وأما مَن ينتسب إلى العلم فهم أخذوا عمَّن خاض في هذه العلوم، وأحسنوا الظن بأهل الكلام، وظنوا أنهم على شيء؛ فقبلوا ما وجدوه عنهم، فقرروا مذهب الجهمية، وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات، وخالفوا ما دلَّت عليه نصوصُ الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، وأئمة[٣] التفسير والحديث من المتقدمين.

وما زال أهلُ السنة متمسّكين بذلك، لكنهم قلُّوا. فهدى اللهُ هذا الإمام

---

(١) ما بينهما ساقطٌ من (ط).

(٢) (ط): ونهوهم.

(٣) (ط): الحديث والتفسير.

إلى معرفة أنواع التوحيد، فقررها بأدلتها. فلله الحمدُ على توفيقه وهدايته إلى الحق حين اشتدت غربةُ الإسلام، فضلَّ عنه مَن ضل من أهل القُرى والأمصار وغيرهم، وبالله التوفيق.

فقد اجتمع في هذا المصنَّفِ أنواعُ التوحيد الثلاثة التي أشار إليها العلامةُ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، بقوله:

والعلم أقسامٌ ثلاثٌ ما لها ... من رابع والحقُّ ذو تِبيانِ
علمٌ بأوصاف الإله وفعلِه ... وكذلك الأسماءُ للرحمن
والأمرُ والنهي الذي هو دينُه ... وجزاؤهُ يومَ المعاد الثاني[1]

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه[2]، وسلم تسليما كثيرا[3].



(١) ابن القيم، الشافية الكافية. الأبيات الأرقام ٤٢٥٣-٤٢٥٥.

(٢) (ط): على سيد المرسلين وإمام المتقين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٣) (ط): زيادة: إلى يوم الدين، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الأبـــواب

الرقم	عنـــوان الباب	الصفحة

الرقم	عنـــوان الباب	الصفحة

الرقم	عنـــوان الباب	الصفحة

